فاطمة الزهراء

المرأة النموذجية في الإسلام

تأليف

علامه ابراهيم الأميني

ترجمة

علي جمال الحسيني

فاطمة الزهراء (ع)

المرأة النموذجية في الإسلام

هوية الكتاب

اسم الكتاب : فَاطِمةُ الزَهراء(س) (المرأةُ النموُذجيَةُ في الاسلامِ)

تأليف : الشيخ ابراهيم الأميني

الناشر : انتشارات انصاريان - ايران - قم - ص . ب ١٨٧

العدد : ٣٠٠٠ نسخه

المطبعه : بهمن - قم - ٢٥٠٧٠

العنوان - ايران - قم - شارع الشهداء - مؤسسة أنصاريان
للطباعة والنشر - ص.ب : ١٨٧ - تليفون ٢١٧٤٤ - ٢٥١ - ٠٠٩٨

فاطمة الزهراء «ع»

المرأة النموذجية في الإسلام

تأليف

الشيخ ابراهيم الأميني

ترجمة

علي جمال الحسيني

الإهداء

إلىٰ المرأة النموذجية في الإسلام فاطمة الزهراء (ع)

رباه . .

لا يعلم مقام الشهيد والشهادة الشامخ غيرك . . . أولئك الذين حلّقوا في سماء حبّك وبذلوا كلّ وجودهم من أجلك . . .

ولا يجازي حقّهم علىٰ البشرية سواك ولا يعلو إلىٰ قممهم السامقة سوىٰ لطفك . .

إلهي . .

إن كان لهذه البضاعة المزجاة أجر عندك ، فإني أهدي ثواب هذا العمل المتواضع إلىٰ شهداء الإسلام في طول التاريخ الإسلامي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تختلف الأغراض عند من يقرءون التاريخ ، وتراجم الرجال ، وأعلام النساء .

فمنهم من يقرأ التاريخ ليستمتع ، ويقضي ساعات الفراغ ، ويحفظ ـ في نفس الوقت ـ القصص العجيبة والحوادث الغريبة ، ليسردها في المحافل والمجالس علىٰ الأصدقاء .

ومنهم من يقرأ التاريخ بإمعان وتروّ ، ويطالع حياة الرجال بدقة ، ليستلهم دروس الحياة ، ويتعرف علىٰ مفاتيح التوفيق ، وسرّ العظمة ، فيقتص آثارها ، ويستخرج العلل والأسباب في إخفاق الأمم والشخصيات ، وانحطاطها ، وانهيارها ، وأفول نجمها ، فيحذر منها وَيُحَذِّر المجتمع أيضاً .

والذين يقرءون حياة الأنبياء والمعصومين والأئمة (ع) ورجال الدين ، ينقسمون إلى مجموعتين أيضاً :

مجموعة ليس لها هدف أكبر من قتل الفراغ والتمتع بقراءة مناقب الأئمة والأنبياء ، وحفظ العجائب والغرائب ، وسردها في المجالس والمحافل ، والإكتفاء بثواب الإستماع لفضائل أهل البيت (ع) ومصائبهم .

والمجموعة الأخرىٰ : تقرأ حياة المصطفين الأخيار لتعرف سرّ عظمتهم ومحبوبيتهم ، وطريقة معيشتهم وسلوكهم وحياتهم صراط الدين المستقيم

ويأخذون منها دروس الحياة . والمؤسف أنّ أكثر من يقرأ حياة الأنبياء والأئمة (ع) هم من الصنف الأول ، كما أنّ أكثر الكتب المؤلفة عنهم (ع) تناسب ذوق المجموعة الأولىٰ ، فهي مليئة بالقصص والروايات العجيبة والمغالية أحياناً ، ولم تتعرض إلىٰ سيرتهم الذاتية وحياتهم الإجتماعية والسياسية إلّا باختصار .

إنّ كل مسلم قد سمع أو حفظ قصة أو أكثر من تلك القصص العجيبة في حياة النبي (ص) والأئمة (ع) ، ولكنّه لم يطلع ـ كما ينبغي ـ علىٰ سيرتهم الذاتية وسلوكهم الإجتماعي ، وطريقة تعاملهم مع المجتمع ، والأسرة ، والخلفاء والسلاطين والظالمين .

وغرض المؤلف هو دراسة حياة الزهراء (ع) دراسة تحليلية باللحاظ الثاني ، فإذا ما سقط من القلم شيء من قصص حياتها ومناقبها فلنا في ذلك العذر لأنّ الغرض الأساسي هو دراسة أخلاق الزهراء (ع) وسلوكها وسيرتها الذاتية وليس الإحاطة بكل التفاصيل والدقائق .

وللأسف فإن حياة هذه المرأة العظيمة بقيت غامضة في الظل ، ولم يكتب عنها الكثير في المصادر وأمهات المراجع الإسلامية ، والسبب في ذلك :

أولاً ـ لأنّ عمر الزهراء (ع) كان قصيراً ولم يتجاوز ١٨ سنة ، ونصف هذه المدّة تقريباً كان قبل البلوغ ـ حيث لم يُلتفت إلىٰ هذه الفترة جيداً .

ثانياً ـ لأنّ الزهراء قضت أكثر حياتها داخل البيت ـ باعتبارها امرأة ـ ونادراً ما كان يطلع أحد علىٰ حياتها الداخلية بشكل كامل .

ثالثاً ـ ما اهتم الناس في ذلك الزمان بحياة ابنة رسول الله (ص) ـ لأنّهم لم يدركوا أهمية ذلك ـ فما سجلوا جزئيات حياتها وما دوّنوها .

وعلىٰ كل حال ، فإنّ المؤلّف يسعىٰ في هذا الكتاب بالرغم من أنّ جزئيات حياة تلك المرأة العظيمة لم تسجل وسيرتها الكاملة لم تدوّن ـ إلىٰ

رسم صورة مجسمة للزهراء (ع) من خلال تحليل النصوص ودراستها ، لذا قد نتجاوز طريقة المؤرخين ـ أي نقل ما يجري علىٰ الواقع فحسب ـ ونأخذ بالتجزئة والتحليل والإستنتاج .

المرأة النموذجية :

لقد شرّع الإسلام أحكاماً وقوانين ووضع مناهج كاملة لإعداد المرأة وتربيتها ، وحفظ مصالحها ورعاية شؤونها ورقيّها ، وبناء كيانها ـ ويمكننا مشاهدة المرأة المكرّمة ، ونتائج التربية الإسلامية الرائعة من خلال التعرف علىٰ نساء صدر الإسلام ، وربيبات الوحي والنبوة ، ودراسة حياتهن والإطلاع علىٰ ميزاتهن .

ولا شك أنّ الزهراء (ع) ـ سيّدة نساء العالمين ـ مثال المرأة المسلمة ، لأنّها المرأة الوحيدة التي عاشت في ظل أبيها المعصوم ، وزوجها المعصوم ، وهي معصومة كذلك ـ فالجوّ الذي ترعرعت وكبرت فيه الزهراء (ع) هو جوّ الطهارة والعصمة حيث قضت سني الطفولة في أحضان النبي الأكرم (ص) ـ الذي صُنع علىٰ عين الله ـ وسني الزواج وإدارة البيت وتربية الأبناء في بيت ثاني أكبر شخصية إسلامية ـ علي ابن أبي طالب (ع) ـ وقدّمت للمجتمع خلال هذه الفترة القصيرة من عمرها إمامين معصومين ، الحسن والحسين (ع) ، وإمراتين شجاعتين مضحيتين ، زينب وأم كلثوم .

في مثل هذا البيت نجد الصورة الحية المجسّدة للمرأة التي تعيش في ظلّ الإسلام وقوانينه ومناهجه التربوية .

أسلوبنا :

الكتّاب مجموعتان : فمجموعة تعتمد المصادر السنية وصحاحهم فقط ، وتمتنع عن المصادر الشيعية تماماً ـ إذا انفردت بالرواية ـ وتسيء الظن بها .

ومجموعة أخرىٰ تعتمد المصادر الشيعية فقط ، وتمتنع عن المصادر

السنية تماماً ، إذا انفردت بالرواية .

وبـرأي مؤلّف هـذا الكتــاب أن كـلا المجمــوعتين وقعت في الإفـراط والتفريط ، وتجاهلت حقـائق كثيرة بـدون مبرر ، وذلـك لأنّك تجـد الكثير من الحقائق في كتب أهل السنة ولا تجدهـا في كتب الشيعة ، وكـذلك العكس . والشيعة أصحاب كتب أيضـاً ، وقد نهلوا الكثيـر من الأئمة وأهـل البيت (ع) باعتبارهم مصادر العلم ومنابـع الحكمة ـ كمـا قال النبي (ص) عنهم وعُـرفوا لدىٰ الخلائق بذلك .

والمؤلِّفون الشيعة متقـدمون من النـاحية الـزمانيـة علىٰ المؤلّفين السنة ، وبعيـد عن الإنصاف ، أنّ بعض المؤلفين يتجـاهلون الكتب الشيعية ويكتفـون بنقـل مـا ورد في مصـادر أهـل السنـة ، ويـظنّـون أن كتّـاب المصـادر السنيـة موضوعيـون يعشقون الحقيقـة ، ومنزّهـون عن أيّ تعصّب وإنحياز ، ويكتبـون الحقائق والوقائع كاملة غير منقوصة ، فإن لم يذكروا حدثاً أو واقعة ما ، فهي ـ إذن ـ غير موجودة أساساً ، في حين أنّ هذا الأمر ليس صحيحاً البتة .

إذن فلندرس المصادر السنية دراسة محايدة وموضوعية ، ويقاس بعضهـا إلىٰ بعض ، بل تقاس الطبعات المختلفة للكتاب الـواحد بعضهـا إلى بعض ، ليعــرف هؤلاء أن حسن الـظن ـ بهــذا المستـوىٰ ـ لا أســاس لـه ، ولم يكن أولئك ـ جميعاً ـ منزهين عن التعصب والإنحياز والهوىٰ .

وعلىٰ هـذا فـإننـا استفـدنـا من المصـادر السنيـة والمصـادر الشيعيــة ، واستفدنا من كتب الشيعة لوحدها في بعض الموارد التي امتنع المؤلفـون السنة عن ذكرها ـ لمصلحة ما ـ أو أنّهم أشاروا إليها إشارة عابرة .

إبراهيم الأميني
١٤١٠ هـ

الفصل الأول

من الولادة إلى الزواج

ترتبط شخصية الفرد إرتباطاً وثيقاً بمجتمعه وبيئته وشخصية أبويه الخلقية ، فالأبوان يصبّان الطفل في القالب الأخلاقي والروحي ، ويحدّدان ركائز شخصيته ويقدّمانه للمجتمع . ويمكن القول أنّ شخصية الولد مرآة عاكسة لشخصية الأبوين وتربيتهما .

ولا حاجة إلىٰ مزيد بيان وتوضيح لمعرفة أبي الزهراء (ع) ، وذلك لأنّ الخصائص الأخلاقية ، والعظمة الروحية والهمّة العالية والشجاعة التي امتاز بها والد الزهراء (ع) الرسول الأكرم (ص) ، لا تخفىٰ علىٰ أحد من المسلمين ، بل وغيرهم من ذوي الإطلاع والمعرفة ، وكفاه (ص) ما قاله الله سبحانه فيه ﴿ **وإنّك لعلىٰ خلق عظيم** ﴾[1] .

ولو أردنا أن نخوض غمار البحث في أخلاق أبي الزهراء وأبعاد شخصيته ، لطال بنا الحديث وابتعدنا عن الغرض المقصود .

أم فاطمة (ع) :

كانت خديجة بنت خويلد ـ أم الزهراء (ع) ـ من أسرة أصيلة ، لها مكانة وشرف في قريش عرفت بالعلم والعلماء والتضحية والفداء ، وحماية الكعبة و « حينما جاء تبعّ ـ ملك اليمن ـ ليأخذ الحجر الأسود من المسجد

(١) سورة القلم الآية ٤ .

وأسيد بن عبد العزّىٰ ـ جد خديجة ـ كان من المبرزين في حلف الفضول الذي تداعت له قبائل من قريش ، فتعاقدوا وتعاهدوا علىٰ أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها ـ أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس ، إلاّ قاموا معه ، وكانوا علىٰ من ظلمه حتىٰ تردّ مظلمته .

قال رسول الله (ص) : « لقد شهدت في دار عبدالله بن جُدعان حلفاً ما أحبّ أنّ لي به حمر النعم ، ولو أدعىٰ به في الإسلام لأجبت »[٢] .

وكان ورقة بن نوفل ـ ابن عم خديجة ـ أحد الأربعة الذين رفضوا عبادة الأوثان ، وبحثوا عن الدين الحق .

قال ابن إسحاق : واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظّمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به ، وكان ذلك عيداً لهم في كلّ سنة يوماً ، فخلص منهم أربعة نفر نجيّاً ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم علىٰ بعض . قالوا : أجل ـ وهم ورقة بن نوفل ، وثلاثة آخرون ، فقال بعضهم لبعض تعلموا والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ؟ فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم[٣] .

وحينما نزل الوحي علىٰ رسول الله (ص) انطلقت خديجة (ع) إلىٰ ورقة بن نوفل ، هذا الرجل العالم ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله (ص) أنّه رأىٰ وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قدوس ، قدوس . . إنّه لنبيّ هذه الأمّة ، فقولي له : فليثبت . فرجعت خديجة إلىٰ رسول الله (ص). ، فأخبرته بما قال ورقة .

---

(١) الروض الانف ج ١ ص ٢١٣ .
(٢) سيرة ابن هشام جزء ١ ص ١٤١ .
(٣) سيرة ابن هشام جزء ١ ص ٢٣٧ .

فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف فقال: يا ابن أخي ، أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسول الله (ص) ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنّك لنبيّ هذه الأمّة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه[١] ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه ، ثم أدنىٰ رأسه منه فقبّل يافوخه ، ثمّ انصرف رسول الله (ص) إلىٰ منزله . .[٢] .

يفهم من هذه الروايات وأمثالها أنّ خديجة كانت من الأسر العريقة المعروفة بالعلم والعلماء ، وكان ذووها علىٰ الحنيفية دين إبراهيم ، ينتظرون دين الحق .

المرأة التاجرة :

مع أنّ التاريخ لم يتعرض للجزئيات المتعلقة بحياة السيّدة خديجة ، إلّا أنّ ما وصل إلينا يمكن أن يرسم بعض معالم شخصيتها المتميزة والبارزة .

تزوّجت خديجة في أول شبابها : « عتيق بن عائذ » إلّا أنّه لم يعش طويلاً ، وسرعان ما رحل عنها وترك لها ثروة طائلة ومالاً كثيراً . فتزوّجت بعد فترة بتاجر من بني تميم اسمه « هند بن بناس » ولم يعش طويلاً ـ أيضاً ـ حيث ودّع الدنيا في ربيع عمره وخلّف وراءه خديجة مع أموال وثروة هائلة .

وهنا ينبغي الإلتفات إلىٰ نكتة مهمّة تكشف عن روح هذه المرأة الشريفة الكبيرة وهمّتها العالية وحرّيتها واستقلالها ، وهي أنّ خديجة التي ورثت أموالاً طائلة وثروة هائلة من زوجيها ، لم تترك هذه الأموال راكدة ولم تراب بها في زمن كان الربا رائجاً ، وإنّما استثمرت هذه الأموال في التجارة ، واستخدمت رجالاً صالحين لهذا الغرض ، واستطاعت أن تكسب عن طريق التجارة ثروة ضخمة حتىٰ قيل :

---

(١) الهاء في هذه الأفعال للسكتة .

(٢) سيرة ابن هشام جزء ١ ص ٢٥٣ و ٢٥٤

« إنّ لها أزيد من ثمانين ألف جمل متفرّقة في كل مكان ، وكـان لها في كل ناحية تجارة ، وفي كلّ بلد مال ، مثل مصر والحبشة وغيرها[١] .

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجـال في مالها وتضاربهم[٢] .

ولا بد أن نقول : إنّ إدارة قـافلة تجاريّـة كبيرة من هـذا القبيل في ذلـك العصر في الجزيرة العربيّة كان أمراً عسيراً ، ولا سيّما إذا كان المـدير امـرأة ، في زمن كانت المرأة محرومة من جميـع حقوقهـا الإجتماعيّـة ، وكثيراً مـا كان الرجال القساة يئدون بناتهم من دون ذنب .

إذن ، لا بدّ لهذه المـرأة العظيمـة من نبوغ متفـوّق ، وشخصيّة شـامخة قويّة وخبرة بشؤون الحياة كافية ، تؤهّلها لإدارة تلك التجارة الواسعة .

المرأة المستقلة :

قصّة زواج خديجة من رسول الله (ص) تعدّ من النقاط اللامعة النورانيّة في حياتها . فلما توفيّ زوجاها عنها ظهرت عليها روح الإستقلال ، والإعتمـاد علىٰ النفس ، والحريّة بشكل واضح ، وكانت تمارس التجارة كأفضل الرجـال عقـلاً ورشداً . ورفضت ـ بـإصرار ـ الـزواج من الملوك والأشراف والأثـريـاء الـذين تقدّموا إليهـا ـ لما عـرفت به من الشـرف والنسب الرفيـع والثروة ـ وبـذلوا لهـا الكثيـر من الأموال مهـراً ، ورضيت بانـدفاع للزواج من محمـد (ص) الفقيـر اليتيم ؛ لم ترفض أولئك وترضىٰ بمحمد (ص) فحسب ، بل تقدمت بشـوق واندفاع لتقترح علىٰ محمد (ص) الزواج علىٰ أن يكون المهر من أموالها .

فأصبح هـذا الأمر سببـاً لسخريّـة نساء قـريش ونقـدهـنّ اللاذع . وقـد اشتهر أنّ النساء يعشقن الثـروة والكماليـات في الحياة ، وغـاية مـطامحهن أن يتزوّجن من ثريّ شريف يعشن في بيته بهـدوء ، ويشتغلن بالتجمـل والأنس ،

---

(١) البحار جزء ١٦ ص ٢٢ .

(٢) سيرة ابن هشام جزء ١ ص ١٩٩ .

وخديجة لم تبحث عن الرجل الغني ، لأنّ أفكارها أجلّ وأرفع من هذا ، وإنّما هي تنتظر الزوج العظيم ، والرجولة القويّة ، والشخصيّة السامقة ، والروحانية الشفّافة التي تنجي العالم من وحل الجاهليّة ، ومستنقع التخلف والتعاسة .

والتاريخ يروي لنا أنّ خديجة سمعت من العلماء والأحبار أنّ محمداً (ص) نبيّ آخر الزمان فتعلق قلبها به ، فأرسلت إليه تسأله الخروج إلىٰ الشام في قافلة مع مولاها ميسرة ـ ليراقب تحركاته وسلوكه عن كثب ، ولعلّ هذا العمل كان إختباراً لما سمعته من العلماء والأحبار ـ فسافر النبيّ بعيرها إلىٰ الشام ، فرأىٰ غلامها ميسرة منه في الطريق العجائب ، وحينما عادوا من السفر حكى لها ما شاهده ، فبعثت إلىٰ رسول الله (ص) ، فقالت له : يابن عم ، قد رغبتُ فيك لقرابتك منّي ، وشرفك في قومك وسطتك فيهم ، وأمانتك عندهم ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثمّ عرضت عليه نفسها[1] .

فلمّا أراد رسول الله (ص) أن يتزوّج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتىٰ دخل علىٰ ورقة بن نوفل عمّ خديجة فابتدأ أبو طالب بالكلام : قال :

« الحمد لربّ هذا البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذريّة إسماعيل ، وأنزلنا حرماً آمناً ، وجعلنا الحكّام علىٰ الناس ، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه ، ثم إنّ ابن أخي هذا ـ يعني محمداً (ص) ـ ممن لا يوزن برجل من قريش إلاّ رجح به ، ولا يقاس به رجل إلاّ عظم عنه ، ولا عدل له في الخلق ، وإنّ كان مقلّاً في المال فإنّ المال رفد جار وظل زائل ، وله في خديجة رغبة ، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها ، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجلة وآجلة ، وله وربّ هذا البيت ـ حظ عظيم ودين شائع ورأي كامل » .

ثمّ سكت أبو طالب ، فتكلم عمّها وتلجلج وقصر عن جواب أبي طالب

(١) البحار جزء ١٦ ص ٩ .

وأدركه القطع والبهر ، وكان رجلاً عالماً ، فقالت خديجة مبتدئة : يا عمّاه ، إنّك وإن كنت أولىٰ بنفسي منّي في الشهود فلست أولىٰ بي من نفسي ، قد زوجتك يا محمد نفسي والمهر عليّ في مالي ، فأمر عمّك فلينحر ناقة فليولم بها[1] .

ويروىٰ أنّ خديجة وكّلت ابن عمّها ورقة في أمرها ، فلمّا عاد ورقة إلىٰ منزل خديجة بالبشرىٰ ، وهو فرح مسرور نظرت إليه فقالت : مرحباً وأهلاً بك يا عمّ ، لعلّك قضيت الحاجة .

قال : نعم يا خديجة يهنئك وقد رجعت أحكامك إليّ وأنا وكيلك ، وفي غداة غد أزوّجك ، إن شاء الله تعالىٰ بمحمد (ص) .

فلمّا سمعت خديجة كلامه فرحت وخلعت عليه خلعة قد اشتراها عبدها ميسرة من الشام بخمسمائة دينار[2] .

ولما خطب أبو طالب (ع) الخطبة المعروفة ، وعقد النكاح ، قام محمد (ص) ليذهب مع أبي طالب ، فقالت خديجة : إلىٰ بيتك فبيتي بيتك وأنا جاريتك[3] .

وهكذا نزوّج الرسول . . . وكان لهذا الزواج أهميّة كبرىٰ في حياته ، لأنّه كان فقيراً معدماً من جهة ـ وقد يكون لهذا السبب أو لأسباب أخرىٰ تأخر زواجه المبارك إلىٰ سنّ الخامسة والعشرين ـ ، ووحيداً ليس له عائلة من جهة أخرىٰ ، وبزواجه المبارك ارتفع الفقر والحرمان ، ووجد من يشاركه همومه ، ويشاوره في أمره ، ويقاسمه مرّ الحياة وحلوها .

المرأة المضحية :

نعم ، . . . اجتمع شمل محمد وخديجة ، وتأسّست الأسرة ، وبني

(١) بحار جزء ١٦ ص ١٤ ، تذكرة الخواص ص ٣٠٢ .

(٢) البحار جزء ١٦ ص ٦٥ .

(٣) سفينة البحار جزء ١ ص ٣٧٩ .

البيت الـذي يغمره الحبّ والسعـادة والحنان والـدفء العائلي والتفـاهم ، فقد كانت خديجة أوّل من آمن بدعوة الرسول الأكرم (ص) وبذلت كلّ ما بوسعها من أجل أهدافه المقدّسة ، وجعلت ثروتها بين يدي الرسول (ص) وقـالت : جميع ما أملك بين يـديك وفي حكمـك ، اصرفـه كيف تشاء في سبيـل إعلاء كلمة الله وترويج دينه .

يقول هشام : كان رسول الله (ص) يودّها ويحترمها ويشاورها في أموره كلّها ، وكانت وزير صدق ، وهي أول إمرأة آمنت به ، ولم يتـزوّج في حياتهـا أحداً[١] .

ويـروىٰ عن الـرسـول (ص) أنـه قـال : « . . . وخيـر نسـاء أمتي خديجة بنت خويلد »[٢] .

وفي الصحيحين أنّ عـائشـة قـالت : مـا غـرت على أحـد من نسـاء رسول الله ما غرت على خديجة ، وما رأيتهـا قطّ ، ولكن كان رسـول الله يكثر ذكرها ، وربّما ذبح الشاة فيقطع أعضـاءها ويبعث بهـا إلىٰ صدائق خـديجة . فأقول : كأنّه لم يكن في الدنيا إمرأة إلّا خديجة ؟

فيقول : إنّها كانت ، وكان لي منها الأولاد .

وفي رواية عن عائشة قالت : فـأدركتني الغيرة يـوماً فقلت : وهـل كانت إلّا عجـوزاً قد أخلف الله لـك خيراً منهـا ، قـالت : فغضب حتىٰ اهتـزّ مقـدّم شعـره وقال : والله مـا أخلف لي خيراً منهـا ، لقد آمنت بي إذ كفـر النـاس ، وصـدّقتني إذ كـذبني النـاس ، وأنفقتني مـالهـا إذ حـرمني النـاس ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء .

قالت : فقلت في نفسي : والله لا أذكرها بسوء أبداً[٣] .

---

(١) تذكرة الخواص تأليف سبط بن الجوزي طبعة النجف ١٣٨٣ ص ٣٠٢ .

(٢) تذكرة الخواص تأليف سبط بن الجوزي طبعة النجف ١٣٨٣ ص ٣٠٢

(٣) المصدر السابق ، تذكرة الخواص ص ٣٠٣

وقد ورد في الرواية أن جبرئيل (ع) أتى رسول الله (ص) فقال : يا محمد ، هذه خديجة قد أتتك ، فاقرأها السلام من ربّها ، وبشّرها ببيت في الجنة من قصب* لا صخب فيه ولا نصب »[1]

البيت الأول في الإسلام :

تأسّست أوّل أسرة في الإسلام من لبنات ثلاثة ، محمد وخديجة وعلي[2] ، وكانت بؤرة الثورة الإسلامية العالمية ، تحمّلت وظائفها الجسام ، ومسؤولياتها الشاقة في محاربة الكفر والشرك وعبادة الأوثان ، ونشر راية التوحيد في العالم ، وإشاعة العدل في ربوعه ولم يك علىٰ وجه الأرض بيت إسلامي سواه . وهو القاعدة الأولىٰ للتوحيد التي ضمّت جنوداً أوفياء تجهّزوا ، واستعدّوا للنفوذ إلىٰ العالم ، وفتح قلوب الناس ، وبثّ عقيدة التوحيد فيها .

عميد البيت محمد (ص) وقد قال الله فيه ﴿ وإنّك لعلىٰ خلق عظيم ﴾[3] ، وسيّدة شؤونه الداخلية خديجة (ع) .

وكان الرسول (ص) يحبّ خديجة من أعماق قلبه ، ويحترمها غاية الإحترام ، بل كان يحترم صدائقها إكراماً وتقديراً لها

روي عن أنس قال : كان النبي (ص) إذا أتي بهديّة قال : إذهبوا إلىٰ بيت فلانة ، فإنّها كانت صديقة لخديجة ، إنّها كانت تحبّها[4] .

وقابلته خديجة حبّاً بحبّ ، ووفاءً بوفاء ، وتضيحةً بتضحية وآمنت به ، وبدعوته وبأهدافه المقدسة وبذلت تمام وجودها من أجل ذلك وقالت له

(*) القصب : الجواهر المستطيلة ، الزمرد .

(١) المصدر السابق ، تذكرة الخواص ص ٣٠٢ .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة القاصعة ، مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٨٠ .

(٣) سورة القلم آية ٤ .

(٤) سفينة البحار ج ١ ص ٣٨٠ .

بتواضع وخشوع : البيت بيتك وجميع ما أملك تحت يدك وأنا جاريتك .

وكانت تؤازره علىٰ أمره ، فخفّف الله بذلك عن رسول الله (ص) وكان لا يسمع شيئاً يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلاّ فرّج الله ذلك عن رسوله (ص) بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفّف عنه وتهوّن عليه أمر الناس ، حتىٰ ماتت ـ رحمها الله . . . وكان الرسول (ص) يسكن إليها ، ويشاورها في المهمّ من أموره[1] .

نعم . . هذا هو منبت الزهراء . . فقد ولدت لأبوين مضحّيين ، وفي جوٍّ يغمره الحبّ والحنان والوئام . . في بيت رسول الله (ص) .

الأمر السماوي :

بينا النبي (ص) جالس بالأبطح إذ هبط عليه جبرئيل (ع) فناداه : يا محمد ، العلي الأعلىٰ يقرء عليك السلام ، وهو يأمرك أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً ـ فبعث إلىٰ خديجة بعمار بن ياسر ، وقال : قل لها :

يا خديجة ، لا تظنّي أنّ انقطاعي عنك هجرة ولا قلىٰ ، ولكن ربّي عزّ وجلّ أمرني بذلك لينفذ أمره ، فلا تظنّي يا خديجة إلاّ خيراً ، فإنّ الله عزّ وجلّ ليباهي بك كرام ملائكته كلّ يوم مراراً ، فإذا جنّك الليل فأجيفي الباب وخذي مضجعك من فراشك ، فإنّي في بيت فاطمة بنت أسد .

قال : فأقام النبي (ص) أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل . فجعلت خديجة تحزن في كلّ يوم مراراً لفقد رسول الله (ص) فلمّا كان كمال الأربعين هبط جبرئيل (ع) فقال : يا محمد (ص) ، العليّ الأعلىٰ يقرئك السلام ، وهو يأمرك أن تتأهّب لتحيته وتحفته .

قال النبي (ص) : يا جبرئيل وما تحفة رب العالمين ؟ وما تحيته ؟

قال : لا علم لي .

---

(١) البحار جزء ١٦ ص ١٠ .

قـال : فبينـا النبيّ (ص) كـذلـك إذ هبط ميكـائيـل ومعـه طبق مغـطّىٰ بمنديل سندس ، فوضعـه بين يدي النبيّ (ص) وأقبـل جبرئيـل (ع) وقال : يـا محمد ، يـأمرك ربّـك أن تجعل الليلة إفـطارك علىٰ هذا الـطعام . . فـأكل النبيّ (ص) منـه شبعاً ، وشـرب من الماء ريّـاً ، ثمّ قام النبيّ (ص) ليصلّي فأقبل عليه جبرئيل وقال : الصلاة محرّمة[1] عليك في وقتـك حتىٰ تأتي منـزل خـديجة . . فـإنّ الله عزّ وجـلّ آلىٰ علىٰ نفسـه أن يخلق من صلبـك في هـذه الليلة ذريّة طيّبة .

فوثب رسول الله (ص) إلىٰ منزل خديجة .

قالت خديجة (رض) : وكنت قد ألفت الوحدة ، فكـان إذا جنّني الليل غـطيت رأسي وأسجفت ستـري وغلقت بـابـي وصليـت وردي ، وأطفـأت مصباحي ، وأويت إلىٰ فراشي . فلمّـا كان في تلك الليلة لم أكن بـالنائمـة ولا بـالمنتبهة ، إذ جـاء النبي (ص) فقرع البـاب فناديت : من هـذا الذي يقـرع حلقـة لا يقرعهـا إلّا محمد (ص)؟ قـالت خـديجـة : فنـادىٰ النبيّ (ص) بعـذوبـة كلامه وحـلاوة منطقـه : افتحي يا خـديجة ، فـإنّي محمد . وفتحت البـاب ، ودخل النبي المنزل . . . فلا والذي سمك السماء وأنبع الماء ، ما تباعـد عنّي النبي (ص) حتىٰ أحسست بثقل فاطمة في بطني[2] .

فترة الحمل :

بدأت آثار الحمل تظهر تدريجيـاً علىٰ خديجـة ، وبذلـك خرجت هـذه المرأة الشريفة المضحية من عزلتها وهمومها ، وانكسر عنها حصـار الوحـدة ، وأخذت تستأنس بجنينها الذي تضمّه في أحشائها .

يقـول الإمـام الصـادق (ع) : إنّ خـديجـة (ص) لمـا تـزوّجت بـرسول الله (ص) هجـرتهـا نسـوة مكـة ، فكنّ لا يـدخلن عليهـا ولا يسلمن عليها ، ولا يتركن إمرأة تدخل عليها ، فاستوحشت خديجة من ذلـك ، وكانت

(١) المقصود صلاة النافلة .

(٢) البحار جزء ١٦ ص ٧٨ .

تغتمّ وتحزن إذا خرج رسول الله (ص) ، فلمّا حملت بفاطمة صارت تحدّثها في بطنها وتصبّرها .

فدخل يوماً رسول الله وسمع خديجة تحدّث فاطمة فقال لها : يا خديجة ، مَن يحدّثك ؟

قالت : الجنين الذي في بطني يحدّثني ويؤنسني .

فقال لها : هذا جبرئيل يبشّرني أنّها أنثى ، وأنّها النسمة الطاهرة الميمونة ، وأنّ الله تبارك وتعالىٰ سيجعل نسلي منها ، وسيجعل من نسلها أئمة الأمّة يجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه[1] .

نعم . . هذه خديجة ، التي بذلت كلّ غال ورخيص . وصبرت على الأذىٰ والهجر والوحدة من أجل الأهداف المقدسة ، وقدّمت محمداً ودعوته علىٰ كلّ شيء سوىٰ الله سبحانه تسمع من فم الرسول (ص) هذه البشرىٰ . .

إنّ الله حباها بهذه السعادة ، واجتباها لهذه الكرامة ، وجعل أئمة الدين والمعصومين منها . فطفح البشر والسرور علىٰ وجهها ، وامتلأ قلبها غبطة وحبوراً ، وازدادت إصراراً علىٰ التضحية والفداء ، واشتدّ تعلّقها وأنسها بالله وبجنينها الذي تحمله .

ولادة فاطمة (ع) :

تصرّمت أيّام الحمل ، ولم تزل خديجة (رض) علىٰ ذلك إلىٰ أن حضرتها الولادة ، فوجّهت إلىٰ نساء قريش ونساء بني هاشم يجئن ويلين منها ما تلي النساء من النساء . فأرسلن إليها : عصيتينا ولم تقبلي قولنا ، وتزوّجت محمداً يتيم أبي طالب ، فقيراً لا مال له ، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً .

---

(١) البحار ج ١٦ ص ٨٠ ودلائل الإمامة ص ٨ .

فاغتمت خديجة لذلك . . فبينا هي كذلك إذ نزلت عليها من السماء نسوة وملائكة ففزعت منهنّ ، فقالت إحداهن : لا تحزني يا خديجة ، فإنّا رسل ربّك إليك ونحن أخواتك فوضعت خديجة فاطمة (ع) طاهرة مطهّرة ، فلمّا سقطت إلىٰ الأرض أشرق منها النور ، ولم يبق في شرق الأرض وغربها موضع إلّا أشرق منه ذلك النور[1] .

تاريخ الولادة :

وقع الخلاف بين علماء الإسلام في تاريخ ولادتها (ع) إلّا أنّ المشهور بين علماء الإماميّة أنّه في يوم الجمعة في العشرين من شهر جمادى الثاني في السنة الخامسة من البعثة[2] .

---

(١) بحار الأنوار جزء ١٦ ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٢) اختلف علماء العامة والإمامية في سنة ولادة فاطمة (ع) ، وأكثر علماء العامّة : قالوا : انّها ولدت قبل البعثة .

قال عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب تذكرة الخواص ص ٣٠٦ : قال : علماء السير أولدتها خديجة ، وقريش تبني البيت الحرام قبل النبوة بخمس سنين .

وقال محمد بن يوسف الحنفي في كتاب « نظم درر السمطين » ص ١٧٥ : ولدت وقريش تبني الكعبة .

روىٰ الطبري في ذخائر العقبىٰ ص ٥٣ عن ابن عباس : ولدت فاطمة وقريش تبني البيت ورسول الله (ص) ابن خمس وثلاثين سنة .

وقال أبو الفرج في كتاب مقاتل الطالبيين ص ٣٠ : كان مولد فاطمة (ع) قبل النبوة ، وقريش حينئذٍ تبني الكعبة .

وقال المجلسي في البحار ج ٤٣ ص ٢١٣ : إنّ عبدالله بن الحسن دخل علىٰ هشام بن عبد الملك وعنده الكلبي ، فقال هشام لعبدالله بن الحسن : يا أبا محمد ، كم بلغت فاطمة بنت رسول الله من السن ؟ فقال : بلغت ثلاثين . فقال الكلبي : ما تقول ؟ قال : بلغت خمساً وثلاثين . فقال هشام لعبدالله : أ ' تسمع ما يقول الكلبي ؟ فقال عبدالله : يا أمير المؤمنين سلني عن أمي فأنا أعلم بها وسا الكلبي عن أمه فهو أعلم بها .

ولكن أكثر العلماء الإمامية مثل ابن شهر آشوب في المناقب ج ٣ ص ٣٥٧ ، والكليني في أصول الكافي ج ١ ص ٤٥٨ ، والمجلسي في بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٦ ، وحياة القلوب ج ٢ ص ١٤٩ ، والمحدّث القمي في منتهىٰ الآمال ج ١ ص ٩٤ ، ومحمد تقي سيهر في ناسخ التواريخ ص ١٧ ، وعلي بن عيسىٰ في كشف الغمة ج ٢ ص ١٧٣ ، والطبري في دلائل =

= الإمامة ص ١٠ ، والفيض الكاشاني في الوافي ج ١ ص ١٧٣ . قال هؤلاء العلماء وغيرهم : إنّ فاطمة (ع) ولدت بعد البعثة بخمس سنين ، وعمدتهم في ذلك ما روي عن الأئمة الأطهار (ع) .

روىٰ أبو بصير عن أبي عبدالله جعفر بن محمد (ع) قال : ولدت فاطمة في جمادي الأخرى يوم العشرين سنة سنة خمس وأربعين من مولد النبي (ص) فأقامت بمكة ثمان سنين ، وبالمدينة عشر سنين وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوماً ، وقبضت في جمادي الأخر يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة (ص ١٠ دلائل الإمامة) .

ولا يخفىٰ علىٰ القارىء الكريم أنّ وفاة الزهراء في ٣ جمادي الثاني لا يتناسب مع رواية بقائها ٧٥ يوماً بعد أبيها ويناسب رواية (٩٥ يوماً) أكثر . لذا لا يبعد أن يكون لفظ (تسعين) في الرواية مصحّفاًعن لفظ (سبعين) .

وعن حبيب السجستاني قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : ولدت فاطمة بنت محمد (ص) بعد مبعث رسول الله (ص) بخمس سنين ، وتوفيت ولها ثماني عشرة سنة ، وخمسة وسبعون يوماً (ج ١ أصول الكافي ص ٤٥٧) .

وروي أنها تزوّجت وعمرها ٩ سنوات . كما في روضة الكافي ص ٣٤٠ .

عن سعيد بن المسيّب قال : فقلت لعلي بن الحسين (ع) فمتىٰ زوّج رسول الله (ص) فاطمة من علي (ع) فقال : بالمدينة بعد الهجرة بسنة وكان لها يومئذٍ تسع سنين .

يستفاد من هذه الروايات وأضرابها أنّ ولادتها (ع) كانت بعد البعثة بخمس سنين .

روىٰ صاحب كشف الغمة عن أبي جعفر (ع) قال : ولدت فاطمة بعد ما أظهر الله نبوة نبيه وأنزل عليه الوحي بخمس سنين ، وقريش تبني البيت ، وتوفّيت ولها ثمانية عشر عاماً وخمسة وسبعون يوماً . (كشف الغمة ج ٢ ص ٧٥) .

وهذه الرواية ـ كما تلاحظ ـ تنطوي علىٰ تناقض داخلي ، فهي تقول : إنّها ولدت بعد البعثة بخمس سنين ، وتوفّيت وعمرها ١٨ سنة ، وفي نفس الوقت تقول : إنّها ولدت وقريش تبني البيت ، وإنّما كان بناء البيت قبل البعثة بخمس سنين . ولا يمكن الجمع بين القولين إلاّ أن يقال : أنّ هناك اشتباه وقع في الرواية ، كأن تكون كلمة « قبل البعثة » بدّلت اشتباهاً بكلمة « بعد البعثة » ، أو أنّ جملة « وقريش تبني البيت » إضافة من الراوي .

وقال الكفعمي في المصباح : كان مولد فاطمة (ع) في اليوم العشرين من جمادي الآخرة (يوم الجمعة) سنة اثنتين من المبعث .

اتضح مما سبق أنّ تاريخ ولادة الزهراء (ع) مورد اختلاف بين علماء الإسلام ، ولكن أهل البيت أدرىٰ بالذي فيه ، وأبناء الزهراء (الأئمة الأطهار (ع)) أعرف بتاريخ أمّهم ، والمروي عنهم أنّها ولدت لخمس سنين بعد البعثة . وقولهم مقدّم علىٰ أقوال علماء العامة .

قد يقال : توفّيت خديجة بعد عشر سنين من البعثة ، وعمرها ٦٥ سنة ، وعلىٰ القول بأنّ =

أمنية النبي (ص) وخديجة :

الذريّة هي الإمتداد الطبيعي للإنسان في هـذه الدنيـا الفانيـة ، والإنسان يسعىٰ للحصول علىٰ الذريّة وتربيتهـا ، بحكم الغريـزة التي فطره الله عليهـا ،

= فاطمة ولدت بعد خمس سنين من البعثة يكون حمل خديجة بها في سنّ التاسعة والخمسين ، وهذه النتيجة غريبة لا يمكن تصديقها !

نقول في مقام الجواب علىٰ هذا الاشكال .

أولاً : لا نسلّم انّ عمر خـديجـة حين الـوفـاة ٦٥ سنـة ، وإنّمـا علىٰ قـول ابن عبـاس : « إنّه (ص) تزوّجهـا وهي ابنة ثمـاني وعشرين سنـة (كشف الغمة ج ٢ ص ١٣٩) ، فيكـون عمرها عند الحمل بفاطمة ٤٨ سنة .

وقول ابن عباس مقدّم علىٰ غيره لأنّه أقرب لرسول الله (ص) ، وأعرف بشؤونه الشخصيـة من غيره .

وعلىٰ هـذا يكون عمـر خـديجـة حين البعثـة ٤٣ سنـة ، وحين ولادة فـاطمـة ـ أي في السنـة الخامسـة من البعثة ٤٨ سنة ، والحمل في مثل هذه السنين لا يعدّ خارقاً للعادة .

ثـانياً : لـو لم نقبل روايـة ابن عباس ، وقلنـا : إنّها تـزوّجت في سنّ الأربعين يكـون حملهـا بفاطمة في سنّ ٥٩ . وهذا الأمر ليس محالاً أيضاً لأنّ الفقهاء والعلماء قالوا : إنّ القرشية ترىٰ دم الحيض ، ويمكن أن تحمل إلىٰ سن الستين ، وخديجة قرشية تشملها القاعدة

أضف إلىٰ ذلـك أنّ الحمل في هـذه السنين ـ مع نـدرته ـ ممكن ، ولـه شواهـد في الحـاضـر والماضي :

السيّدة أكرم الموسوي من « سـرخون » في « بنـدر عباس » ولـدت توأمين ، وعمـرها ٦٥ سنـة وعمر زوجها ٧٤ سنة . . .

قـال طبيب معروف لمـراسل جـريدة « اطـلاعات » : تـاريخ الـطبّ يشير إلىٰ أنّ أصغـر امـرأة حملت في سنّ الـرابعة وسبعـة شهور ، وأكبـر أمّ في العالم عمـرها ٦٧ سنـة (اطلاعـات ٢٨ بهمن ١٣٥١) .

السيّـدة شوشتـا عمرهـا ٦٦ سنة وضعت ولـداً في أصفهان . وقـال زوجها « يحيىٰ » لمـراسـل جـريدة اطـلاعات : « لـديّ ٨ أولاد ، أربعة ذكـور وأربع إنـاث أكبر ولـدي عمره ٥٠ سنـة ، وأصغرهم عمره ٢٥ سنة « اطلاعات ٢٠ أرديبهشت ٣٥١ » .

وأيّ مانع في أن تكون خديجة ـ أيضاً ـ من هذه النوادر ؟

وفي الختام نذكركم بالنكتة التاليـة : إنّ الاختلاف في تـاريخ ولادتهـا (ع) يسري إلىٰ تـاريخ زواجها ووفاتها أيضاً فلو قلنا : إنّ ولادتها قبل البعثة بخمس سنين ، يلزم أن يكـون عمرهـا الشريف حين الزواج ١٨ سنة ، وعند الوفاة ٢٨ سنـة . ولو قلنـا أنّ ولادتها بعـد البعثة بخمس سنين يلزم أن يكون عمرها الشريف حين الزواج ٩ سنين تقريباً وعند الوفاة ١٨ سنة .

وهـذا من أسرار الكـون التي تدفـع الإنسـان لـلإحتفـاظ بنسله ونـوعـه ، وإلا لإنقرضت البشرية وأنهىٰ الموت وجودها عن وجه الأرض .

والرسول الأكرم (ص) وزوجته خـديجة كـانا يتمنيـان الولـد الصالـح فخديجة التي قدّمت كلّ شيء في سبيل الله وسلّمت أمرها بلا أيّ قيد أو شرط لله ورسـوله ، كـانت تطمـح إلى ولد صـالح من صلب محمـد (ص) ليكـون ناصراً لرسالة الدين ، وحامياً لأهدافها السامية ، وحـاملاً لـراية الحق بعـد وفاة أبيه .

ومحمـد (ص) يعلم علم اليقين أنّ الموت حق ، وأنّ أيـامه المبـاركـة وعمـره الشـريف محـدود في هـذه الحيـاة الـدنيـا ، ولا تكفي لتحقيق آمـالـه والـوصول إلىٰ أهـدافه ، لينجي البشـريّة التعيسـة من مستنقع الضـلال وبراثن الجاهلية ، فلا بدّ من عصبـة أولي قوة وأولي بـأس شديـد تلي الأمر من بعـده وتكون من ذريته ونسله .

ولكنّ الأجل كان ـ وللأسف ـ يعاجل أبناء محمـد (ص) ويوافيهم وهم صغار ، فلم يبقَ منهم أحداً ، وهم عبدالله والقاسم ، فيحزن الرسـول (ص) وخديجة ـ لذلك ـ حزناً شـديداً ، ويفـرح الأعداء ويشمتـون ويظنّـون أنّ نسل محمد قد انقرض فينادونه بالأبتر أحياناً[1]

الكوثر :

أنزل الله سبحانه سورة الكوثر ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم ـ إنّـا أعطينـاك الكـوثر ـ فصـلّ لربّـك وانحر ـ إنّ شـانئك هـو الأبتـر ـ** ﴾[2] ردّاً علىٰ أعـداء رسوله (ص) ؛ ووفاءً بوعده ، والله لا يخلف الميعاد .

وسـرعان مـا رزقه الله ذريّـة طاهـرة مباركـة تنتهي إليها الفضـائـل وتعبق بـالجلال والكمـال ، حينما وُلِـدتْ الزهـراء (ع) ، وأشـرق أفق الحيـاة بنـور الولاية وشعاع الإمامة ، وبشّر الرسول (ص) بهـا فغمرتـه السعادة والسـرور ،

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٤ ، تفسير جوامع الجامع تأليف الطبرسي ٥٢٩ .
(٢) سورة الكوثر .

وانتشىٰ قلبه بحمد الله ، وطفح البشر علىٰ قسماته المباركة ، واطمأنّ وسكن لتحقيق وعد الله . . .

وحاشى لنبيّ الرحمة أن يكون كأولئك السفهاء الجهلة من رجال الجاهلية الذين ﴿ **إذا بشّر أحدهم بالأنثىٰ ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم ، يتوارىٰ من القوم من سوء ما بشّر به أيمسكه علىٰ هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾[1] .

كيف وهو رسول الله (ص) الذي بعث لأمّة كانت تأكل القدّ وتئد البنات بلا ذنب ، وترىٰ المرأة عيّاً وعورة . . ليغيّر أفكارها ، ويمحو آثارها ، ويحارب عقائدها البالية . ويقدّم المرأة إلىٰ المجتمع لتتحمّل مسؤلياتها وتخوض عباب الحياة ، وتؤدّي وظائفها ومسؤلياتها التي أنيطت بها بما يناسب طبيعتها الخاصة وتكوينها ، وتكون عضواً فاعلاً مؤثّراً في الوسط الذي تعيش .

وقد أراد الله سبحانه أن يبيّن مكانة المرأة وقيمتها في الإسلام فجعل ذريّة النبيّ (ص) في ابنته ، وقدّر أن يكون أئمة الدين وقادة الناس أجمعين منها . وبذلك تهدّمت صروح الجاهلية الرعناء التي اعتبرت المرأة عاراً يجب التخلص منه ، ووصمة لا بدّ من التنصل منها ؛ وأنكرت أن تكون البنت من الذريّة .

لبن الأم :

لمّا ولدت فاطمة (ع) تناولتها المرأة التي كانت بين يديها وغسلتها ، وأخرجت فرقتين فلفّتها بواحدة وقنعتها بالأخرىٰ ثمّ قالت : خذيها يا خديجة ، طاهرة مطهّرة ذكية ميمونة ، بورك فيها وفي نسلها . فتناولتها خديجة فرحة مسرورة مستبشرة ، وألقمتها ثديها فدرّ عليها وشربت ، فنمت فاطمة ذلك النمو الرائع[2] .

---

(١) سورة النحل آية ٥٨ .

(٢) دلائل الإمامة ص ٩ .

نعم ، أرضعت خديجة وليدتها العزيزة من لبن صدرها ، ولم تحرمها ممّا أعدّه الله لها ـ كما تصنع بعض الجاهلات من النساء ـ وذلك لأنّها كانت تعلم ـ أو أنّها سمعت من النبيّ (ص) ـ أنّ لبن الأم هو أفضل غذاء صحّي يناسب الجهاز الهضمي للطفل الذي عاش تسعة أشهر في رحم أمه ، وشاركها في الهواء الذي تتنفّسه ، والغذاء الذي تأكله ، والدم الذي يجري في عروقها ، فلبن الأم يوافق تركيبة الطفل الخاصة ولا مجال للغش فيه ، ولا طريق للجراثيم والميكروبات إليه(١) .

وكانت تعلم (رض) ما للرضاعة من ثدي الأم من أهميّة بالغة في حياة الطفل ، الذي يترعرع في أحضان الأم ويستشعر الحبّ والحنان ؛ فباشرت هي برضاعة الزهراء (ع) وتربيتها ، لترضعها لبناً من ينابيع الشرف والعزّ والنجابة ، والعلم والفضيلة ، والصبر والشجاعة . وهل سوى ثدي خديجة وصدرها الطاهر الحنون ، يربّي مثل الزهراء (ع) مشعل النور والمعرفة ، ومعدن الشجاعة والفضيلة ، الطاهرة الطهر التي أينعت ثمار بساتين النبّوة ببركة وجودها المقدّس .

فترة الرضاعة :

ذكر العلماء والمتخصّصون أنّ البيئة والأحداث التي تمرّ في المجتمع ، والأفكار التي يحملها الأبوان ، ومشاعرهم وعواطفهم وانفعالاتهم ، تؤثر تأثيراً بليغاً في حياة الطفل منذ ولادته .

وقد عاش المجتمع الإسلامي أحداثاً خطيرة وأوضاعاً متأذمة في صدر الإسلام ، والزهراء (ع) في دور الرضاعة .

ولكي نجعل القاريء الكريم في الصورة تماماً ، لا بدّ من استعراض سريع لهذه الفترة التي نمت فيها بضعة الرسول (ص) .

---

(١) قال أمير المؤمنين (ع) : ما من لبن رضع به الصبي أعظم بركة من لبن أمه ـ الوافي الجزء ٣ ص ٢٠٧ .

بُعث النبيّ (ص) وعمره ٤٠ سنة ، فانطلق لوحده بالدعوة المباركة ليقف بوجه الكفر العالمي وعبادة الأصنام والشرك ، ويغالب المشاكل والمصاعب الخطيرة ، فبلّغ بالدعوة سرّاً حفاظاً علىٰ الدعوة الوليدة من الأعداء ، حتىٰ جاء أمر الله بإعلان الدعوة واقتحام صفوف الباطل ﴿ **فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين إنّا كفيناك المستهزئين** ﴾[1] .

فأعلن الرسول (ص) دعوته ، ودعا الناس إلىٰ الإسلام ، وأخذ عدد المسلمين يزداد يوماً بعد يوم ، وعدا أعداء الإسلام علىٰ من أسلم واتبّع النبيّ (ص) من أصحابه ، فوثبت كلّ قبيلة علىٰ من فيها من مستضعفي المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بالضرب والجوع ورمضاء مكة والنار ، ليفتنوهم عن دينهم ، فلما رأى رسول الله (ص) ما يصيب أصحابه من البلاء قال : لو خرجتم إلىٰ أرض الحبشة حتىٰ يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً ممّا أنتم فيه .

فخرج المسلمون وتركوا أرضهم وأموالهم ، مخافة الفتنة وفراراً إلىٰ الله بدينهم[2] .

فلما رأت قريش أنّ أصحاب الرسول (ص) قاوموهم وتحمّلوا أذاهم ، وأنّ الإسلام أخذ يفشو وينتشر في القبائل ، وعجزوا عن صدّه ، ائتمروا بينهم علىٰ قتل الرسول (ص) .

فلّما أحسّ أبو طالب بذلك انحاز إلىٰ شِعبه ، واجتمع إليه بنو هاشم وبنو المطلب ليحموا الرسول (ص) وكان الحمزة عمّ النبيّ (ص) يسلّ سيفه ويحرِسه حتىٰ الصباح .

فحاصرتهم قريش حصاراً اقتصادياً شديداً ، وكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه علىٰ أن لا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً ، فأقاموا علىٰ ذلك سنتين أو ثلاثاً

---

(١) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٤ ـ الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥١ .

حتى جهدوا ، لا يصل إلى أحدهم شيء إلّا سراً . والجوع يشتدّ بهم ، ويتعالى صراخ الأطفال الجياع أحياناً .

في جوٍّ خطير موحش من هذا القبيل قضت الزهراء (ع) شطراً من أيّام لرضاعة في شِعب أبي طالب ، ثم فطمت من اللبن هناك ، ودرجت تمشي علىٰ رمضاء الشِعب ، وتعلّمت النطق وهي تسمع أنين الجياع وصراخ الأطفال المحرومين ، وبدأت تأكل في زمن الحرمان والفاقة ، وإذا ما استيقظت في هدأة الليل وجدت الحرس يدورون ـ بحذر وترقّب ـ حول أبيها ، يخافون عليه من غدر الأعداء ، والسيوف المسلولة تومض أمام عينيها في حلكة الليل .

ثلاث سنين تقريباً والزهراء (ع) في هذا السجن لا يربطها بالعالم الخارجي أيّ شيء ، وحينما أدركت سنّ الخامسة عادت إلىٰ البيت مع رسول الله (ص) وبني هاشم ، بعد أن تركوا الشِعب ونجوا من المخمصة ، وكانت الحياة الجديدة بما فيها من النعم والرزق وراحة البيت عالماً جديداً علىٰ الزهراء (ع) يبعث علىٰ الفرحة والسرور .

وفاة الأم :

وممّا يذيب القلب حسرة أنّ خديجة (ع) توفّيت قبل مضيّ عام واحد علىٰ خروج النبي (ص) وصحبه من شعب أبي طالب[1] ، والزهراء بعد لم تذق طعم الحياة وتتنفّس الصعداء وتتلمس الراحة ، حين فجعت بوفاة أمّها الرؤوم ، فأخذ هذا الحادث المفاجيء منها مأخذاً عظيماً ، وصدّع روحها الشفيفة ومشاعرها الحسّاسة وصدمها صدمة ذوت لها زهور الأمل ، وانهمرت دموعها الساخنة علىٰ فقد أمّها الحبيبة ، وهي تبحث عنها في كلّ مكان .

وجعلت تلوذ برسول الله (ص) وتدور حوله وتقول : أبه أين أميّ ؟ فنزل جبرئيل فقال له : ربّك يأمرك أن تقرأ فاطمة السلام وتقول لها : إنّ أمّك

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٤ .

في بيت من قصب* لا تعب فيه ولا نصب[1] .

النتيجة :

سنين الطفولة معين يزوّد العمر بما يختزن من صدىٰ الأحداث التي عاشها الطفل ، وتترك بصمات واضحة علىٰ حياته ، وتؤثر علىٰ سلوكه ونشاطه وشخصيته وعواطفه ، وقد عاشت الزهراء (ع) الوقائع والحوادث المرّة في طفولتها ؛ وتركت آثاراً علىٰ روحها الشفيفة ، ويمكن أن نذكر أهمّ تلك الآثار : -

١ - إنّ من يعيش مثل هذه الظروف القاسية والأيّام الصعبة ، وتتخدش عواطفه منذ الطفولة بصدمات كبيرة ، ينشأ حزيناً كئيباً دائم الهم . وقد ذكروا في أحوال فاطمة (ع) أنّها كانت حزينة مغمومة دائماً .

٢ - إنّ الزهراء (ع) التي كبرت في مثل هذا الجو المتشنج ، وقضت أيّام الرضاعة والطفولة المبكرة في السجن ، وفتحت عينيها علىٰ الحياة من خلال جدران المعتقل ، ورأت بعيني الطفولة البريئة كيف يعذّب أبواها وأصحابه وهم يضحون ويؤثرون بكلّ شيء ، ويقاومون الضغوط والصعوبات ، من أجل الأهداف المقدّسة .

إنّ مثل هذه تنشأ قويّةً صلبة لا تهزها الهزاهز ، ولا تفرّ من الميدان لأول مشكلة ، وإنّما تقاوم بصلابة ، وتتحمّل السجن والتعذيب من أجل الوصول إلىٰ الأهداف النبيلة .

٣ - إنّ فاطمة (ع) التي عاشت الفداء والتضحية والعزوف عن الدنيا ، وتحمّل الحرمان والمشاقّ ، من أجل ترويج دين الله ، ونشر كلمة التوحيد ، ورفع راية العدالة ، والرضى بكل شيء من أجل نجاة البشريّة وهداية

(*) القصب : ما كان مستطيلاً من الجواهر .

(١) ينابيع المودة ص ٣١٣ . البحار ج ١٦ ص ١

الإنسانية ، بأبويها وصحبهم ؛ كانت تتوقع من الخلف الذين خلفوا أباها السير علىٰ هداه ، والجهاد في سبيل تحقيق أهدافه المقدسة ، والإستقامة علىٰ صراطه المستقيم .

بعد رحيل الأم :

توفّي أبو طالب وخديجة في السنة العاشرة من المبعث الشريف[١] ، فحزن النبيّ (ص) لذلك حزناً شديداً ، وسمّىٰ ذلك العام بـ (عام الحزن)[٢] ، لأنّه فقد ناصريه وحامييه في مكة ، شريكة حياته ووزيرته وأم أولاده (خديجة) وسنده ومانعه (أبا طالب) .

فتغيّرت حياته (ص) في داخل البيت وخارجه ، واشتدت عليه قريش ووصلوا من أذاه بعد وفاة أبي طالب إلىٰ ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته ، حتىٰ نثر بعضهم التراب علىٰ رأسه ، وحتىٰ أنّ بعضهم طرح عليه رحم الشاة وهو يصلي .

فيعود إلىٰ البيت محزوناً مكروباً ، فيرىٰ وجه ابنته الشاحب الذابل ، وعينيها الدامعتين علىٰ فراق أمّها ، وما تراه يجري علىٰ أبيها من الأذىٰ خارج البيت ، ففي مرّة رأت قريشاً اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا : لو رأينا محمداً لقمنا إليه مقام رجل واحد ولنقتلنه . فدخلت (ع) علىٰ النبيّ (ص) باكية وحكت مقالهم[٣] .

وفي ذات يوم نثر أحد المشركين التراب علىٰ رأس رسول الله (ص) فلمّا دخل رسول الله (ص) بيته والتراب علىٰ رأسه ـ قامت إليه إحدىٰ بناته (فاطمة (ع)) تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله (ص) يقول : يا بنيّة ، لا تبكي فإنّ الله مانعٌ أباك.[٤] .

---

(١) و (٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٤ .

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٧١ .

(٤) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٨٠ .

وعن ابن عباس ، أنّ النبيّ دخل الكعبة وافتتح الصلاة ، فقال أبو جهل : من يقوم إلىٰ هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ؟ فقام ابن الزبعري وتناول فرثاً ودماً وألقىٰ ذلك عليه . فجاءت فاطمة (ع) فأماطته ، ثمّ أوسعتهم شتماً وهم يضحكون ، فلمّا سلّم النبيّ (ص) دعا عليهم[١] .

نعم ، كانت فاطمة (ع) تعيش هذه الحوادث المؤلمة منذ صغرها ، وتهب لنصرة أبيها وتخدمه حتىٰ سمّاها بأمّ أبيها .

فلمّا توفّيت خديجة (ع) وقعت المسؤولية في البيت علىٰ عاتقها . ولم يوضح لنا التأريخ تلك الفترة المشجية العسيرة التي مرّت علىٰ بيت النبيّ وليس فيه سوىٰ الزهراء (ع) ، ولكن عين البصيرة تنفذ لترىٰ أحوال ساكنيه التي تبعث علىٰ الرقة والأسىٰ .

وانقضت هذه الفترة ثمّ تزوّج الرسول (ص) بسودة واختار نساء آخريات أيضاً كنّ يظهرن الحبّ لفاطمة (ع) بشكل أو بآخر ، ولكن من الصعب علىٰ اليتيم أن يفقد أمه ويرىٰ غيرها في محلّها ، وزوجة الأب مهما رؤمتْ وكانت حنوناً لا تغني عن صفاء الحبّ والحنان الأموي . والأم لوحدها تستطيع أن تبعث بحنانها الطمأنينة والقوة في قلب صغيرها .

وكلّما ازداد شعور الزهراء (ع) بالحرمان من الأم ازداد حبّ النبيّ لها وأشعرها بذلك الحبّ ، لأنّه (ص) يعرف ما تعانيه فاطمة (ع) من فقد أمّها ويحيره ، لهذا ولغيره كان رسول الله (ص) لا ينام حتىٰ يقبّل عرض وجنة فاطمة (ع)[٢] .

هذه هي خلاصة ثماني سنين من عمر ابنة رسول الله (ص) فاطمة الزهراء (ع) .

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٦٠ .

(٢) كشف الغمة جزء ٢ ص ٩٣ .

أمر جدير بالذكر :

من الجدير بالذكر أنّ هذه المصائب والمشاقّ لو صبّت علىٰ أيّ طفل لفتكت به وحطمت أعصابه وجرّته إلىٰ ضعف جسدي وروحي مدمّر ، ولكن لا ينبغي تعميم هذا الحكم ؛ لأنّ الذهب إنّما تجلوه النار ، والطرق يثبّت المسمار ، والعظماء تشدّهم المصائب وتقوي عزمهم المصاعب وتبرز ملكاتهم الدفينة ، والزهراء (ع) لم تهزمها الحوادث وإنما صقلت شخصيتها ، وجلت روحها ، وأعدّتها للمواجهة .

هجرة الزهراء إلىٰ المدينة :

هاجر النبي (ص) في السنة ١٣ للبعثة من مكة إلىٰ المدينة ـ حفاظاً علىٰ نفسه وإبقاءً علىٰ دعوته ـ وأمر علياً (ع) أن يتخلف بعده في مكة حتىٰ يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس ، فلمّا وصل (ص) المدينة كتب إليه ـ بيد أبي واقد الليثي ـ يأمره بالمسير إليه .

فتهيّأ علي (ع) للهجرة ، وخرج بالفواطم إلىٰ ذي طوىٰ ـ والفواطم هنّ : سيّدة النساء فاطمة ، وفاطمة بنت أسد أم علي (ع) وفاطمة بنت حمزة ، ونساء آخريات .

وأبو واقد يسوق الرواحل فأعنف بهن فقال علي (ع) : ارفق بالنسوة ـ أبا واقد ـ إنّهن من الضعايف .

فقال : إنّي أخاف أن يدركنا الطلب .

فقال (ع) : أربع عليك ، إنّ النبيّ قال لي : يا علي إنّهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه .

ثمّ جعل علي يسوق بهنّ سوقاً رفيقاً ، فلمّا شارف (ضجنان) أدركه الطلب بثمانية فوارس ، فأنزل النسوة واستقبلهم منتضياً سيفه ، وكان يشتدّ علىٰ القوم شدّ الأسد علىٰ فريسته ، فانتشروا عنه ، فسار ظاهراً قاهراً لوجهه ، حتىٰ قدم المدينة .

وكان الرسول (ص) قد أقام في قبا اثني عشر يوماً حتىٰ لحق به علي والفواطم[1] . . » .

فلمّا وصل النبيّ المدينة خطب النساء وتزوج (سودة) فنقل فاطمة إليها ، ثم تزوّج أم سلمة بنت أبي أمية ، فقالت : تزوّجني رسول الله (ص) وفوّض أمر ابنته إليّ ، فكنت أؤدّبها وأدلّها ، وكانت والله آدب منّي وأعرف بالأشياء كلّها[2] .

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٥ و ١٨٣

(٢) دلائل الإمامة ص ١١ .

الفصل الثاني

زواج الزهراء "ع"

فـاقت فاطمـة الزهـراء (ع) نساء عصـرهـا في الحسب والنسب ، فهي بنت محمـد رسـول الله (ص) وخـديجـة (رض) ، ووريثـة الفضـل والعلم والسجايا الخيّرة ، وغايـة الجمال الخلقي والخُلقي ، ونهـاية الكمـال المعنوي والإنساني ، علا شأوها وتـألق نجمها ، وهي بـالإضافـة إلىٰ خصائصهـا (ع) الشخصية بنت محمد (ص) الذي غزا الكفـر والشرك في عقـر داره ، وقويت شوكته وظهرت قوته .

فما أدركت فاطمة (ع) مدرك النساء حتى خطبها أكابـر قريش من أهـل الفضل والسابقـة في الإسلام والشـرف والمال ، وكـان كلّما ذكـرها رجـل من قـريش لرسـول الله (ص) أعرض عنـه الرسـول (ص) بوجههـه ، حتىٰ كـان الرجل منهم يظنّ في نفسه أنّ رسول الله (ص) ساخط عليه[1] .

ورسول الله (ص) كان قد حبسها علىٰ عليّ ، ويـرغب في أن يخطبهـا منه[2] . لأنّه مأمور أن يزوّج النور من النور[3] .

عن بريدة قال : خطب أبـو بكر فـاطمة (ع) فقـال رسول الله (ص) :

---

(١) كشف الغمة ج ١ ص ٣٥٣ .
(٢) كشف الغمة ج ١ ص ٣٥٤ .
(٣) دلائل الإمامة ص ١٩ .

إنّها صغيرة ، وإنّي أنتظر بها القضاء . فلقيه عمـر فأخبـره ، فقال : ردّك ، ثمّ خطبها عمر فردّه[1] .

وروي أنّ عبد الرحمن خطبها فلم يجبـه « وفي رواية غيـر أنّه قـال بكذا من المهر » فغضب رسول الله (ص) ومـدّ يده إلى حصـواتٍ فرفعهـا فسبحت في يده وجعلها في ذيله فصارت درّاً ومرجاناً ، يعرض به جواب المهر[2] .

اقتراح :

ذات يـوم كـان أبـو بكـر وعمـر جـالسين في مسجـد رسـول الله (ص) ومعهما سعد بن معـاذ الأنصاري ، فتـذاكروا فـاطمة بنت رسـول الله (ص) ، فقال أبو بكر : قد خطبها الأشـراف من رسول الله (ص) ، فقـال : إنّ أمرهـا إلىٰ ربّهـا ، إن شاء يـزوجها زوجهـا . وإنّ علي بن أبي طالب لم يخـطبها من رسول الله (ص) ولم يذكرها له ، ولا أراه يمنعه من ذلـك إلاّ قلّة ذات اليد ، وإنّه ليقع في نفسي أنّ الله عزّ وجلّ ، ورسـوله (ص) إنّمـا يحبسانهـا عليه ، فإن منعه قلّة ذات اليد وأسيناه وأسعفناه ، فقال له سعد بن معاذ وفّقك الله .

قال سلمان الفارسي : فخرجوا من المسجد والتمسوا علياً فلم يجدوه ، وكـان ينضح ببعيـر ـ كان لـه ـ المـاء علىٰ نخـل رجـل من الأنصـار بـأجـرة ، فانطلقوا نحوه .

فلمّا نظر إليهم علي (ع) قال : ما وراءكم ، وما الذي جئتم له ؟

فقال أبو بكر : يا أبـا الحسن ، إنّه لم يبق خصلة من خصـال الخيـر إلاّ ولك فيها سابقة وفضل ، وأنت من رسول الله (ص) بالمكان الذي قد عـرفت من القـرابـة والصحبـة والسـابقـة ، وقـد خـطب الأشـراف من قـريش إلىٰ رسـول الله (ص) ابنته فـاطمة فـردّهم ، وقال : إنّ أمـرهـا إلىٰ ربّهـا إنّ شـاء يزوّجها زوّجها ، فما يمنعك أن تذكرها لرسول الله (ص) وتخطبها منه ؟ فإنّي أرجو أن يكون الله عزّ وجلّ ورسوله (ص) إنّما يحبسانها عليك .

---

(١) تذكرة الخواص ص ٣٠٦ .

قال : فتغرغرت عينا علي بالدموع ، وقال : يـا أبا بكـر لقد هيّجت منّي ساكناً ، وأيقظتني لأمر كنت عنه غافـلاً ، والله إنّ فاطمـة لموضـع رغب ، وما مثلي قعد عن مثلها ، غير أنّه يمنعني من ذلك قلّة ذات اليد .

فقال أبو بكر : لا تقل هـذا يا أبـا الحسن فإنّ الـدنيا ومـا فيها عنـد الله تعالىٰ ورسوله كهباء منثور ، فعجل في خطبتها[١] .

تأجّج الخواطر :

علي (ع) وفـاطمة (ع) عـاشـا تحت سقف واحـد[٢] ، وتخـرّجـا من مـدرسة واحـدة ، هي مدرسـة النبيّ (ص) وخـديجـة (رض) ، وقـد عـرف علي ، فـاطمة عن كثب ، وهـو يعلم أنّ الأرض لا تحمل علىٰ ظهـرهـا إمـرأة كفـاطمـة جمعت الفضـائـل والكمـالات ، وحُبّهـا في أعمـاق قلبـه خـالص صميميّ ، والفرصة تمرّ مرّ السحاب وقد لا تعـود .

تـأمّل الإمـام إقتراح أبي بكـر وبقي (ع) بين الحـالـة التي يعيشهـا هـو والمجتمع الإسلامي من فقر وفاقـة وضيق في المعيشة يصـرفه عن التفكيـر في الزواج ويشغله عن نفسه وهـواجسهـا في بنـاء الأسرة ، وبين واقعـه الشخصي وقد تجاوز الواحدة والعشرين من العمر[٣] وآن له أنّ يتزوّج من فـاطمة التي لا كفؤ لها سواه ولا كفؤ له سواهـا ، وهي نسيج لا يتكـرر ، وقد حـانت الفرصـة وآن الأوان ، ومن أين يأتي بفاطمة إذا ما فرّط بالفرصة ، فلينطلق إذن !

عليّ يتقدم للخطبة :

وقع إقتراح أبي بكـر موقـع القبول عنـد علي (ع) وتأجّجت في روحـه جذوة الحبّ ، فما أكمل عمله وإنّما حـلّ عن ناضحـه وأقبل يقـوده إلىٰ منزلـه فشـدّه فيه ، ولبس نعله وأقبـل إلىٰ رسول الله (ص) وكـان رسـول الله (ص)

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٢٥ .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٨ .

(٣) ذخائر العقبىٰ ص ٢٦ .

في منزل أم سلمة ، فدقّ عليّ (ع) الباب .

فقالت أم سلمة : من بالباب ؟

فقال لها رسول الله (ص) : (من قبل أن يقول عليّ : أنا عليّ) قومي يا أم سلمة فافتحي له الباب ومريه بالدخول ، فهذا رجل يحبّه الله ورسوله ويحبّهما .

فقالت أم سلمة : فداك أبي وأمي ، من هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره ؟

فقال : مه يا أم سلمة ، فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق ، هذا أخي وابن عمّي وأحبّ الخلق إليّ .

فقالت أم سلمة : فقمت مبادرة ، أكاد أعثر بمرطي ، ففتحت الباب فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب (ع) .

فدخل علىٰ رسول الله (ص) ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فقال له النبي (ص) : وعليك السلام ، يا أبا الحسن ، اجلس ، فجلس عليّ بن أبي طالب (ع) بين يدي رسول الله (ص) وجعل ينظر إلىٰ الأرض كأنّه قصد لحاجة وهو يستحي أن يبيّنها ، فهو مطرق إلىٰ الأرض حياءً من رسول الله (ص) .

فكأن النبيّ (ص) علم ما في نفس عليّ (ع) فقال له : يا أبا الحسن ، إنّي أرىٰ أنّك أتيت لحاجة ، فقل حاجتك وأبد ما في نفسك ، فكلّ حاجة لك عندي مقضية .

قال عليّ (ع) : فقلت : فداك أبيّ وأميّ إنّك لتعلم أنّك أخذتني من عمّك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبيّ ، فغذيتني بغذائك ، وأدّبتني بأدبك ، فكنت إليّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البرّ والشفقة ، وإنّ الله تعالى هداني بك وعلىٰ يديك . وإنّك والله ذخري

وذخيرتي في الدنيا والآخرة ، يا رسول الله (ص) فقد أحببت مع ما شدّ الله من عضدي بك ، أن يكون لي بيت وأن يكون لي زوجة أسكن إليها ، وقد أتيتك خاطباً راغباً أخطب إليك ابنتك فاطمة ، فهل أنت مزوّجي يا رسول الله ؟

فتهلّل وجه رسول الله (ص) فرحاً وسروراً ، وأتىٰ فاطمة فقال : « إنّ علياً قد ذكرك وهو من قد عرفت ، فسكتت ، فقال : الله أكبر ، سكوتها رضاها ، فخرج فزوّجها »[1] .

التوافق :

قالت أم سلمة : فرأيت وجه رسول الله (ص) يتهلّل فرحاً وسروراً ، ثم تبسّم في وجه عليّ (ع) فقال : يا أبا الحسن فهل معك شيء أزوّجك به ؟ .

فقال عليّ (ع) : فداك أبي وأمي ، والله ما يخفىٰ عليك من أمري شيء ، أملك سيفي ودرعي وناضحي ، وما أملك شيئاً غير هذا .

فقال له رسول الله (ص) : يا عليّ ، أمّا سيفك فلا غنى بك عنه ، تجاهد به في سبيل الله ، وتقاتل به أعداء الله ، وناضحك تنضح به علىٰ نخلك وأهلك وتحمل عليه رحلك في سفرك ، ولكنّي قد زوّجتك بالدرع ورضيت بها منك .

يا أبا الحسن ، أأبشرك ؟ .

قال علي (ع) قلت : نعم فداك أبي وأمي بشّرني ، فإنّك لم تزل ميمون النقيبة، مبارك الطائر ، رشيد الأمر ، صلّى الله عليك .

فقال لي رسول الله (ص) : أبشّرك يا أبا الحسن ! فإنّ الله عزّ وجلّ قد زوّجكها في السماء من قبل أن أزوّجكها في الأرض . ولقد هبط عليّ في موضعي من قبل أن تأتيني جبرئيل من السماء فقال : يا محمد ، إنّ الله ـ عزّ

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٢٧ ، ذخائر العقبىٰ ص ٢٩ .

وجلّ ـ اطّلع إلىٰ الأرض اطلاعة ، فاختارك من خلقه فبعثك برسالته ، ثمّ اطلع إلىٰ الأرض ثانية فاختار لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وختناً فزوّجه ابنتك فاطمة (ع) ، وقد احتفلت بذلك ملائكة السماء .

يا محمد ، إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أمرني أن آمرك أن تزوّج علياً في الأرض فاطمة ، وتبشّرهما بغلامين زكيين نجيبين طاهرين خيّرين فاضلين في الدنيا والآخرة ، يا أبا الحسن فوالله ما عرج الملك من عندي حتىٰ دقّقت الباب(١) .

خطبة العقد :

قال رسول الله (ص) : أمضي يا أبا الحسن أمامي فإنّي خارج إلىٰ المسجد ومزوّجك علىٰ رؤوس الناس ، وذاكر من فضلك ما تقرّ به عينك وأعين محبيك في الدنيا والآخرة .

فقال علي : فخرجت من عند رسول الله (ص) مسرعاً ، وأنا لا أعقل فرحاً وسروراً ، فاستقبلني أبو بكر وعمر فقالا : ما وراءك ؟ فقلت : زوّجني الله من السماء ، وهذا رسول الله (ص) خارج في أثري ليظهر ذلك بحضرة الناس ، ففرحا بذلك فرحاً شديداً ورجعا معي إلىٰ المسجد ، فما توسّطناه حتىٰ لحق بنا رسول الله (ص) ، وإنّ وجهه يتهلل سروراً وفرحاً .

فقال : يا بلال . فأجابه ، فقال : لبيك يا رسول الله . قال : اجمع إليّ المهاجرين والأنصار . فجمعهم .

ثم رقىٰ درجة من المنبر ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، وقال : معاشر المسلمين ، إنّ جبرئيل أتاني آنفاً فأخبرني عن ربّي ـ عزّ وجلّ ـ أنّه جمع الملائكة عند البيت المعمور ، وأنّه أشهدهم جميعاً أنّه زوّج أمته فاطمة ابنة رسول الله (ص) من عبده علي بن أبي طالب ، وأمرني أن أزوّجه في الأرض ، وأشهدكم علىٰ ذلك .

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٢٧ .

ثمّ جلس ، وقال لعلي (ع) : قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنفسك .

قال : فقام ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، وصلّى على النبيّ (ص) وقال : الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه ، ولا إله إلّا الله شهادة تبلغ مراضيه ، وصلّىٰ الله علىٰ محمد صلاة تزلفه ، والنكاح ممّا أمر الله عزّ وجلّ به ورضيه ، ومجلسنا هذا مما قضاه الله وأذن فيه ، وقد زوّجني رسول الله (ص) ابنته فاطمة ، وجعل صداقها درعي هذا ، وقد رضيت بذلك فاسألوه واشهدوا .

فقال المسلمون لرسول الله (ص) : زوّجته يا رسول الله (ص) ؟ فقال نعم ، بارك الله لهما وعليهما وجمع شملهما .

وانصرف رسول الله إلىٰ أزواجه وأمرهن أن يدففن لفاطمة[١] .

وكان زواجها من عليّ بعد مقدمها المدينة بسنتين ـ أو ثلاثة[٢] ـ أوّل يوم من ذي الحجة ، وقيل : إنّه كان يوم السادس منه[٣] .

اختيار الصهر :

أكدّ الإسلام علىٰ أن الميزان الإسلامي في إختيار الزوج هو الخلق والدين ، لا الثروة والمال وحطام الدنيا ، إذ أنّ الغنىٰ والثروة لوحدها لا تضمن سعادة الأسرة ، وإنّما يضمن ذلك التدين ، والخلق الرفيع ، وخوف الله والإيمان به فهل تنتظر من ثري أحمق يركض وراء سراب الشهوات ، ويعبد الأهواء واللذات الرخيصة ، ولا يشعر بالمسؤلية ، أن يسعد عائلته ؟ !

لذا أمر الإسلام جميع المسلمين أن يسألوا عن خلق الزوج ودينه قبل أن يسألوا عن ثروته وماله ، وقال رسول الله (ص) : من جاءكم ترضون دينه

---

(١) يمكن الحصول على المطالب المذكورة في هذا الفصل من الكتب التالية : كشف الغمة ج ١ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٩ ، المناقب ـ ابن شهر أشوب ج ٣ ، ذخائر العقبى ، تذكرة الخواص ، دلائل الإمامة ، مناقب الخوارزمي ص ٢٤٧ ، بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٩٢ ـ ١٤٥

(٢) البحار ج ٤٣ ص ٦ و ٧ .

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٤٩ .

خلقه فزوجوه ، إلّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير[1] .

وكان الرسول الأكرم (ص) الـذي علّم المسلمين ذلك أول من تـرجمه إلىٰ الواقع ، حينَ رجّح علياً ، لتقواه وفضله وخلقه وكمالاته ، ولم يعبأ بفقره وضيق ذات يده ، على ثروة عبد الرحمن وماله .

مهر الزهراء (ع) :

١ ـ درع بمبلغ ٤٠٠ درهماً ، وقيل ٤٨٠ درهماً ، وقيل ٥٠٠ درهماً .
٢ ـ برد حبرة[2] .
٣ ـ إهاب[3] .

درس عملي :

الإسلام لا يرىٰ من صلاح الأمة أن تعقد علىٰ المهور العالية ، ويـوصي بـالإقتناع بـالقليل وتـرك التصعّب والمماطلة في المهـور ، إذا ما رضـوا بـدين الرجل وخلقه .

قال رسول الله (ص) : أفضل نساء أمتي أقلهن مهراً[4] .

وقال الإمام الصادق (ع) : شؤم المرأة في كثرة صداقها .

يعتقـد الإسـلام أن المسـابقـة في إزديـاد المهـور يصعّب الحيـاة على الناس ، ويخلق للأمة مشاكل كبيرة .

فلا بد من استمالة الشباب لبناء الأسرة ـ من خلال تسهيـل أمر الـزواج ـ لنتقي الآف المفاسد الإجتماعية والأمراض الروحية .

المهـور العاليـة تثقل ميـزانية الـزوج وتزلـزل وضعه الإقتصادي في إبان

---

(١) الوافي كتاب النكاح ص ١٧ .
(٢) ثوب يصنع باليمن من القطن أو الكتان .
(٣) الجلد ما لم يدبغ ، مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٥١ .
(٤) الوافي كتاب النكاح ص ١٥ .

حياته ، وتؤثر على المحبة والصفاء بين الزوجين ، فينفر الشباب من الزواج .

والنبي الأكرم (ص) زوج ابنته العزيزة بذلك المهر المتواضع ، من علي بن أبي طالب (ع) ولم يجعل في ذمته شيئاً - ولو بعنوان الدين - كي يفهم الناس عملياً أن المهور الثقيلة العالية ليست في صالح الأمة واقعاً .

جهاز الزهراء (ع) :

أقبل رسول الله (ص) فقال لعلي : يا أبا الحسن انطلق الآن فبع درعك ، وائتني بثمنه ، حتىٰ أهيىء لك ولابنتي فاطمة ما يصلحكما .

قال علي : فانطلقت فبعته بأربعمائة درهم سود هجرية (وروي ٤٨٠ وروي ٥٠٠ وروي أن الدرع اشتراها عثمان ثم أهداها لعلي[١] وأقبلت إلىٰ رسول الله (ص) فطرحت الدراهم بين يديه ، فأعطى قبضة إلىٰ أمّ أيمن لمتاع البيت ، وقبضة إلىٰ أسماء للطيب ، وقبضة إلىٰ أمّ سلمة للطعام ، وأنفد عماراً وأبا بكر وبلالاً لإبتياع ما يصلحها ، وكان ما اشتروه .

١ - قميص .

٢ - خمار .

٣ - قطيفة سوداء خيبرية .

٤ - وسرير مزمل بشريط .

٥ - فراشان من خيش[٢] مصر ، حشو أحدهما ليف ، وحشو الآخر من جزّ الغنم .

٦ - أربع مرافق من أدم الطائف ، حشوها إذفر[٣] .

٧ - ستراً من صوف .

٨ - حصير هجري .

٩ - رحا اليد .

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ١٣٠ .

(٢) الخيش : نسيج خشن من الكتان .

(٣) الاذفر : حشيش طيب الريح .

١٠ ـ سقاء من أدم .

١١ ـ مخضب[١] من نحاس .

١٢ ـ قعب[٢] للبن .

١٣ ـ شن[٣] للماء .

١٤ ـ مطهرة مزفتة[٤] .

١٥ ـ جرّة خضراء .

١٦ ـ كيزان خزف .

١٧ ـ نطع من أدم .

١٨ ـ عباءة .

١٩ ـ قربة ماء .

قالوا : وحملناه جميعاً حتىٰ وضعناه بين يدي رسول الله (ص) فلما نظر إليه بكىٰ وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه إلىٰ السماء وقال : اللّهم بارك لقوم جلّ آنيتهم الخزف[٥] .

درس للمسلمين :

كان زواج الزهراء (ع) نموذجاً فريداً للزواج الإسلامي ، وذلك لأنّ أركانه ، علي وفاطمة ، ومحمد (ص) .

فالزوج : علي (ع) أوسط العرب نسباً ، وأعظمهم شرفاً وشجاعة وعلماً ، خليفة رسول الله (ص) ووزيره ، بطل الإسلام والقائد العام للقوات المسلحة ، وقطب الرحى في حروب المسلمين ومعاركهم .

والزوجة فاطمة بنت محمد (ص) أكمل النساء عقلاً وأشرفهن حسباً

---

(١) المخضب : وعاء لغسل الثياب أو خضبها .

(٢) القعب : القدح الضخم الغليظ .

(٣) الشن : القربة الصغيرة .

(٤) مزفته : مطلية بالزفت وهو نوع من القير .

(٥) مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٥٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٣٥٩ .

ونسباً ، وأجملهن خلقاً ، وأحسنهن خُلقاً ، وإحدىٰ النساء الأربعة اللواتي فضّلهن الله على نساء العالمين .

وأبوها : رسول الله (ص) الرجل الأول في الجزيرة العربية بل في العالم الإسلامي كلّه ، حبيب الله وصفيّه وخيرته من خلقه .

فماذا ستكون تشريفات الزواج ومراسمه ؟ !

جهاز بسيط مر ذكره ، اشتري من صداق الزهراء (ع) وليس من أموال أبيها ، ووليمة متواضعة ـ كما سيأتي ـ لا بذخ فيها ولا إسراف .

أليس زواج الزهراء (ع) ـ المرأة النموذجية في الإسلام ـ زواجاً نموذجياً ، ودرساً توجيهياً ، وقدوة صالحة لكلّ المسلمين ؟ !

أو لم يتمكن الرسول (ص) [كأيّ أب يريد أن تنتقل ابنته إلىٰ بيت الزوجية ـ مرفوعة الرأس عزيزة ! ـ] أن يشتري للزهراء (ع) أفخر الأثاث واللباس ويولم لها أعظم وليمة ويقول : إنّي شريف قومي ، وابنتي خير النساء ، وصهري زين الرجال ، ولا بدّ أن أراعي شأني وما يناسبني ، وأبذل لوحيدتي ما يبذل لمثلها في ذلك الزمان ؟ !

ولو جرّ ذلك ديناً ـ كما يفعل بعض المعاصرين الذين يغطّون إلى آذانهم في الديون والمآسي ، لأنّه أبو البنت ، وعليه أن يبذل من ماله لا من صداقها .

لم يفعل الرسول (ص) شيئاً من ذلك ـ وحاشاه أن يفعل ـ وهو يعرف الأضرار والمفاسد التي تترتب علىٰ إرتفاع المهور وزيادة كلفة الزواج ، ويعرف البلاء الذي سيعمّ بلاد المسلمين إذا أصيبوا بهذا المرض من الفقر ، والخسران ، والإنكسار الإقتصادي وكثرة الطلاق ، وتخدّش العواطف ، وتنصل الشباب عن مسؤولياتهم وعزوفهم عن بناء الأسرة الإسلامية ، وانتشار العزوبة بين الشباب والفتيات ، فتفشو الجريمة ، وتزداد الجنايات ، وتشيع الفاحشة والأمراض الإجتماعية والعصبية .

ولهذا كان زواج الزهراء (ع) النموذج الأمثل ـ بسيطاً لا تكلّف فيه ولا إسراف ، ليكون درساً عملياً وعلاجاً ناجحاً وطريقاً واضحاً للمسلمين عموماً ، وللمتصدين لإدارة شؤونهم خاصة .

وعلي (ع) ـ أيضاً ـ لم يتزوّج للمال والثروة ، كسائر الشبان فإذا ما وجدوا نقصاً في « الجهيزية »[1] حوّلوا الحياة الوديعة إلىٰ جحيم لا يطاق ، وصبّوا جام غضبهم على الزوجة البريئة ، وزلزلوا البيت تحت أقدامهم ، واستبدلوا الحنان والدفء بالقسوة والبرد ، والهدوء في الحياة الزوجية إلىٰ صخب وضجيج ، وحوّلوا البيت إلىٰ سجن يختاره الزوجان بملء إرادتهما .

عليّ (ع) الإمام والقدوة المدّخر لغد المسلمين ، حارب الأفكار البالية ، وطمس المعالم المغلوطة فهزمها ، وما قيمة المال في نظره الشريف ؟ !

أثاث بيت الإمام علي (ع) :

وكان من تجهيز علي داره : ـ

١ ـ نصب خشبة من حائط إلىٰ حائط للثياب .

٢ ـ بسط إهاب كبش .

٣ ـ مخدّة ليف .

٤ ـ منخل .

٥ ـ قربة للماء[2] .

مفاوضات الزفاف :

قال عليّ (ع) : ومكثت بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول الله (ص) في

---

(١) الجهيزية : هي ما يقدمه أهل الزوجة للزوج وهو يتضمن أكثر أثاث البيت وهي عادة منتشرة جداً في المجتمع الإيراني حتىٰ كأنها الصداق الواجب ويقاس ـ عند الجهلة وغير الواعين ـ عزّ العروس بما يقدمه أهلها عند خروجها من بيتهم .

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١١٤ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٥ .

أمر فاطمة بشيء ـ استحياءً من رسول الله (ص) ـ غير أنّي كنت إذا خلوت برسول الله (ص) يقول لي : يا أبا الحسن ما أحسن زوجتك وأجملها ! أبشر يا أبا الحسن فقد زوّجتك سيّدة نساء العالمين .

فقال عليّ (ع) : فلمّا كان بعد شهر دخل عليّ أخي عقيل فقال : يا أخي ما فرحت بشيء كفرحي بتزويجك فاطمة بنت محمد (ص) . يا أخي ، فما بالك لا تسأل رسول الله (ص) يدخلها عليك ؟ فتقرّ عيناً باجتماع شملكما .

قال عليّ : والله يا أخي إنّي لأحبّ ذلك وما يمنعني من مسألته إلاّ الحياء منه .

فقال : أقسمت عليك إلاّ قمت معي ؛ فقمنا نريد رسول الله (ص) ، فلقيتنا في طريقنا أمّ أيمن ، مولاة رسول الله (ص) ، فذكرنا ذلك لها : فقالت : لا تفعل ودعنا نحن نكلّمه ، فإنّ كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال .

ثم انثنت راجعة فدخلت إلىٰ أمّ سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبي (ص) فاجتمعن عند رسول الله (ص) فأحدقن به وقلن : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ـ يا رسول الله ـ قد اجتمعنا لأمر لو أنّ خديجة في الأحياء لقرّت بذلك عينها .

قالت أمّ سلمة فلمّا ذكرنا خديجة بكى رسول الله (ص) ثمّ قال : خديجة ، وأين مثل خديجة ؟ صدّقتني حين كذّبني الناس ، ووازرتني علىٰ دين الله ، وأعانتني عليه بمالها ، إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أبشّر خديجة ببيت في الجنة من قصب (الزمرد) لا صخب فيه ولا تعب .

قالت أمّ سلمة : فقلنا فديناك بآبائنا وأمّهاتنا ، يا رسول الله (ص) ! إنّك لم تذكر من خديجة أمراً إلاّ وقد كانت كذلك ، غير أنّها قد مضت إلىٰ ربّها ، فهنأها الله بذلك ، وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورضوانه

ورحمته . يا رسول الله (ص) وهذا أخوك في الدين ، وابن عمك في النسب ، علي بن أبي طالب يحبّ أن تدخل عليه زوجته فاطمة (ع) وتجمع بها شمله .

فقال : يا أمّ سلمة ، فما بال عليّ لا يسألني ذلك ؟

فقلت : يمنعه الحياء منك يا رسول الله (ص) ! .

قالت أمّ أيمن : فقال لي رسول الله (ص) : انطلقي إلىٰ عليّ فائتيني به . فخرجت من عند رسول الله (ص) فإذا عليّ ينتظرني ليسألني عن جواب رسول الله (ص) ، فلمّا رآني قال : ما وراءك يا أمّ أيمن .

قلت : أجب رسول الله (ص) .

قال (ع) : فدخلت عليه وقمن أزواجه فدخلن البيت ، وجلسن بين يديه ، مطرقاً نحو الأرض حياءً منه ، فقال : أتحبّ أن تدخل عليك زوجتك ؟ فقلت ـ وأنا مطرق ـ : نعم فداك أبي وأمّي . فقال : نعم وكرامة يا أبا الحسن ! أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد إن شاء الله . فقمت فرحاً مسروراً ، وأمر (ص) أزواجه أن يزيّن فاطمة (ع) ويطيّبنها ويفرشن لها بيتاً ليدخلنها علىٰ بعلها ففعلن ذلك[١] .

حفل الزفاف :

قال رسول الله (ص) : يا عليّ ، لا بدّ للعرس من وليمة . فقال سعد : عندي كبش ، وجمع له رهط من الأنصار أصواعاً من ذرة .

وأخذ رسول الله (ص) من الدراهم التي سلّمها إلىٰ أمّ سلمة عشرة دراهم فدفعها إليّ وقال : اشتر سمناً وتمراً وأقطاً . فاشتريت وأقبلت به إلىٰ رسول الله (ص) ، فحسر عن ذراعيه ودعا بسفرة من أدم وجعل يشرخ التمر والسمن ويخلطهما بالأقط حتىٰ اتخذه حيساً . ثمّ قال : يا علي ادع من أحببت .

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٣٠ ـ ١٣٢

فخرجت إلىٰ المسجد وأصحاب رسول الله (ص) متـوافرون ، فقلت : أجيبوا رسول الله (ص) فقاموا جميعاً ، وأقبلوا نحو النبيّ (ص) فـأخبرتـه أنّ القـوم كثير فجلَّل السفرة بمنديـل ، وقـال : أدخـل عليّ عشـرة بعـد عشـرة ، ففعلت : وجعلوا يـأكلون ويخرجـون لا ينقص الـطعـام ، وكـان النبيّ (ص) يصبّ الـطعام بيـده والعباس وحمـزة وعلي وعقيل يستقبلون النـاس ، ثمّ دعـا رسول الله (ص) بالصحاف فملئـت لفقراء المدينة الـذين لم يحضروا الـوليمة ثمّ أخذ صحفة وقال : هذا لفاطمة وبعلها[١] .

الزفاف :

كان النبيّ (ص) أمر نساءه أن يزيّن فاطمة ويطيّبنها ثمّ دعا بابنته فاطمة ودعا بعلي (ع) فأخذ علياً بيمينـه وفاطمـة بشمالـه وجمعهما إلىٰ صـدره فقبّل بين أعينهما ، ثم دعا فاطمة وأخذ بيدها فوضعها في يد عليّ وقـال : بارك الله لك في ابنة رسول الله ، يا علي ! نعم الـزوج فاطمـة ، ويا فـاطمة نعم البعـل علي (ع) .

ثم أمر النبيّ (ص) بنات عبـد المطلب ونسـاء المهاجـرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة ، وأن يفرحن ويرجزن ويكبـرّن ويحمدّن ، ولا يقلن ما لا يرضي الله ، وكانت النسوة يكبرّن ، ودخلن الدار .

ثم أمر النبيّ (ص) بمخضب مملوء بماء ، فدعا بفاطمة فـأخذ كفّـاً من مـاء فضـرب بـه علىٰ رأسهـا ، وكفّـاً بين يـديهـا ، ثمّ رشّ جلدهـا . ثمّ دعـا بمخضب آخر لعلي وصنع معه كما صنع مع فاطمة ، ثمّ أمرهما أن يتوضّئا ثمّ وثب ، فتعلقت به وبكت فقال لها : ما يبكيك ؟ فقد زوّجتـك أعظمهم حلمـاً وأكثرهم علماً . ثمّ خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب فقال : طهّركما الله وطهّر نسلكما ، أنا سلم لمن سالمكم وحـرب لمن حاربكم ، استـودعكما الله واستخلفه عليكما ، وأغلق الباب وأمر النساء فخرجن .

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ١٣٢ و ١٣٧ و ١١٤ و ١٠٦ .

فلمّا أراد الخروج رأىٰ امرأة فقال : من أنت ؟ قالت : أسماء ، فقال : ألم آمرك أن تخرجي[١] ؟ قالت أسماء : بلىٰ يا رسول الله ـ فداك أبي وأمي ـ وما قصدت خلافك ، ولكنّي أعطيت خديجة عهداً . فحينما حضرت الوفاة خديجة بكت فقلت : أتبكين وأنت سيّدة نساء العالمين ؟ وأنت زوجة النبيّ (ص) ومبشّرة علىٰ لسانه بالجنة ، فقالت : ما لهذا بكيت ، ولكنّ المرأة ليلة زفافها لا بدّ لها من امرأة تفضي إليها بسرها ، وتستعين بها علىٰ حوائجها ، وفاطمة حديثة عهد بصبىٰ ، وأخاف أن لا يكون لها من يتولّىٰ أمرها حينئذٍ . فقلت : يا سيّدتي ! لك عليّ عهد الله إن بقيت إلىٰ ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر . فبكىٰ ـ رسول الله (ص) ـ فقال : بالله لهذا وقفت ؟ فقلت : نعم والله ، فدعا لي .

زيارة الزهراء (ع) :

دخل رسول الله (ص) علىٰ فاطمة (ع) في صبيحة عرسها بقدح فيه لبن . فقال : اشربي فداك أبوك . ثمّ قال : لعلي (ع) اشرب فداك ابن عمك[٢] .

ثمّ سأل علياً : كيف وجدت أهلك ؟

قال : نعم العون علىٰ طاعة الله .

وسأل فاطمة فقالت : خير بعل[٣] .

ومكث رسول الله (ص) بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل عليهم فلمّا كان في

---

(١) ورد في الروايات أنّ أسماء بنت عميس حضرت زفاف فاطمة وفعلت ، وأسماء كانت مهاجرة بأرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب (ع) ولم تعد هي ولا زوجها إلاّ يوم فتح خيبر ولم تشهد الزفاف ، والتي شهدت الزفاف سلمىٰ بنت عميس أختها هي زوجة حمزة بن عبد المطلب (ع) ولعلّ الأخبار عنها ، وكانت أسماء أشهر من أختها عند الرواة فرووا عنها ، أو سها راوٍ واحد فتبعوه ، ولعلّ أسماء المقصودة هنا هي أسماء بنت يزيد بن سكن الأنصارية .

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٩ .

(٣) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١١٧ .

صبيحة اليوم الرابع جاء ودخل عليهم ، وخلا بابنته وقال : كيف أنت يا بنيّة ، وكيف رأيت زوجك ؟

قالت له يا أبه ، خير زوج ، إلاّ أنّه دخل عليّ نساء من قريش ، وقلن لي : زوّجك رسول الله (ص) من فقير لا مال له .

فقال لها : يا بنيّة ، ما أبوك ولا بعلك بفقير ، ولقد عرضت عليّ خزائن الأرض ، فاخترت ما عند ربّي ، والله يا بنيّة ما ألوتك نصحاً أن زوّجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً .

يا بنيّة ، إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ اطلع إلىٰ الأرض فاختار من أهلها رجلين ، فجعل أحدهما أباك ، والآخر بعلك .

يا بنيّة ، نعم الزوج زوجك ، لا تعصي له أمراً .

ثمّ صاح رسول الله (ص) بعليّ : يا علي ، فقال : لبيك يا رسول الله (ص) . قال : ادخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها ، فإنّ فاطمة بضعة منّي يؤلمني ما يؤلمها ويسرّني ما يسرّها ، استودعكما الله واستخلفه عليكما[1] .

روىٰ المجلسي عليه الرحمة أنّ علياً تزوّج فاطمة في شهر رمضان وبنىٰ بها في أول ذي الحجة أو السادس منه[2] .

ولمّا تزوّج عليّ فاطمة قال رسول الله (ص) لعلي : اطلب منزلاً . فطلب علي منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي (ص) قليلاً ، فبنىٰ بها فيه .

فجاء النبيّ (ص) إليها فقال : إنّي أريد أن أحوّلك إليّ ، فقالت

---

(١) يمكن مراجعة المصادر التالية لما كتبناه عن زواج الزهراء ، كشف الغمة ج ١ ، مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ، تذكرة الخواص ، بحار الأنوار ج ٤٣ ، ذخائر العقبىٰ ، دلائل الإمامة ، سيرة ابن هشام ، مناقب الخوارزمي ، ينابيع المودة ، ناسخ التواريخ ، اعلام الورىٰ ـ الطبرسي ، مجمع الزوائد ج ٩ .

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٣٦ .

لـرسـول الله (ص) : فكلّم حـارثـة بن النعمـان أن يتحـوّل عنّي ، فقـال رسول الله (ص) : قد تحـوّل حارثـة عنّا حتىٰ قـد استحييت منه . فبلغ ذلـك حـارثة فتحـوّل وجاء إلى النبيّ (ص) فقـال : يا رسـول الله (ص) إنّه بلغني أنّـك تحوّل فـاطمة إليـك ، وهذه منـازلي وهي أسبق بيـوت بني النجـار بـك ، وإنّمـا أنا ومالي لله ولرسوله ، والله يا رسول الله المال الـذي تأخـذ مني أحبّ إليّ من الـذي تدع . فقـال رسول الله (ص) : صـدقت ، بارك الله عليـك ، فحوّلهـا رسول الله إلى بيت حارثة[1] .

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٢ ط بيروت دار صادر .

الفصل الثالث

الزهراء «ع» في بيت الزوجية

انتقلت الـزهراء (ع) من بيت أبيهـا إلىٰ بيت زوجها . . ولا تـظنّ أنّهـا دخلت بيتاً غريباً ، فقد ودّعت بيت النبوة واستقبلها بيت الولاية والإمامة ، حين دخلت بيت علي بن أبي طـالب قائـد الجند ووزيـر الرسـول (ص) ومشـاوره الأول .

وقد تحمّلت فتاة الإسـلام النموذجيـة في بيتها الجـديد وظـائف جسيمة ومسؤوليات عظيمة ، إذ كان عليها أن ترسم معالم البيت الإسلامي النمـوذجي في الإسلام بوضوح ، وتعطي الـدروس العمليّة لنساء العالم أجمع عن الوفـاء والحبّ والإنسجـام وحسن التبعّـل وتـربيـة الأبنـاء ، والقيـام بـواجبـات البيت والإحتفاظ بدفئه وحرارته ونداوتـه ، فكانت القـدوة الصالحـة ، وكانت حقيقـة الـدين النورانيـة ، والإسـلام المتحـرك المشـع المجسّـد في الـوسط النسـوي والإجتماعي .

إدارة البيت :

بيت علي وفـاطمة ، هـو البيت الوحيـد الذي يضمّ بين جـدرانه زوجـاً وزوجة معصومين مطهّرين منزّهين عن إرتكـاب الذنـوب وإكتساب المـآثم ، ويتصفان بالفضيلة الأخلاقية والكمال الإنساني .

فعليّ (ع) نموذج الرجل الكامـل في الإسلام ؛ وفـاطمة نمـوذج المرأة الكاملة في الإسلام .

علي بن أبي طالب كبر وترعرع منذ نعومة أظفاره علىٰ يدي الرسول الأكرم (ص) ، وكان محور إهتمامه (ص) ، غذاه العلم والخلق والفضائل والكمالات ، والزهراء تربت في أحضان النبيّ الطاهرة أيضاً .

استأنست أُذنهم الواعية منذ الصغر بالقرآن الكريم ، وهم يسمعون النبيّ (ص) يرتّله ليلاً ونهاراً وفي كلّ آن ، وأطلّوا علىٰ الغيب وارتشفوا العلوم والمعارف الإسلامية من معينها الأصيل ومنبعها العذب الزلال ، ورأوا الإسلام يتحرك في شخصية رسول الله (ص) . . فكيف إذن لا تكون أسرتهم النموذج الأمثل للأسرة المسلمة ؟ !

كان بيت عليّ (ع) وفاطمة (ع) أروع نموذج في الصفاء والإخلاص والمودّة والرحمة ، تعاونا فيه بوئام وخلوص علىٰ إدارة شؤون البيت وإنجاز أعماله . وقد تقاضيا في إبان حياتهما الزوجية إلى رسول الله (ص) في الخدمة ، فقضىٰ علىٰ فاطمة (ع) بخدمة ما دون الباب ، وقضىٰ علىٰ عليّ (ع) بما خلفه . فقالت فاطمة (ع) : فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله ، بكفايتي رسول الله (ص) تحمّل رقاب الرجال[1] .

نعم فخريجة مدرسة الوحي « فاطمة » تعلم أنّ البيت معقل المرأة ومن المواقع المهمة في الإسلام ، وإذا ما تخلّت عنه وسرحت في البيع والشراء ، عجزت عن القيام بوظائف البيت وتربية الأبناء كما ينبغي ، فتهلّل وجهها بالبشر وداخلها السرور حينما قضىٰ الرسول (ص) علىٰ عليّ (ع) بأداء الأعمال الصعبة خارج البيت .

ولم تستنكف وحيدة الرسول ـ وهي بنت أعظم رجل في الإسلام والعالم ـ من العمل في البيت ، ولم تتنصل من أداء مهامّ البيت ، حتىٰ أنّ علياً (ع) رقّ لحالها وامتدح صنعها ، وقال لرجل من بني سعد : ألا أحدّثك عنّي وعن فاطمة (ع) ؟ إنّها كانت عندي وكانت من أحبّ أهله (ص) إليه ، وإنّها استقت بالقربة حتىٰ أثر في صدرها ، وطحنت

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٨١ .

بـالرحىٰ حتىٰ مجلت يـداها ، وكسحت البيت حتى اغبـرّت ثيابهـا ، وأوقـدت النار تحت القدر حتىٰ دكنت ثيابها ، فـأصابهـا من ذلك ضـرر شديـد . فقلت لها : لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك ضرّ ما أنت فيه من هذا العمل .

فأتت النبيّ (ص) فوجدت عنده حدّاثاً ، فاستحت فانصرفت .

قال عليّ (ع) : فعلم النبيّ (ص) أنّها جاءت لحاجـة . قال : فغـدا علينـا رسول الله (ص) ونحن في لفـاعنا ، فقـال : السلام عليكم . فقلت : وعليـك السلام يـا رسول الله ، ادخـل ، فلم يعـد أن جلس عنـدنـا . فقـال : يا فاطمة ، ما كانت حاجتك أمس عند محمد ؟

قـال : فخشيت إن لم تجبـه أن يقـوم . فـقلت : أنـا والله أخبـرك يـا رسول الله (ص) إنّهـا استقت بالقـربة حتىٰ أثـرت في صـدرهـا ، وجـرّت بـالرحىٰ حتىٰ مجلت يـداها ، وكسحت البيت حتىٰ اغبـرّت ثيابهـا ، وأوقـدت النار تحت القدر حتىٰ دكنت ثيابها ، فقلت لها : لو أتيت أبـاك فسألتيـه خادمـاً يكفيك ضرّ ما أنت فيه من هذا العمل .

قال (ص) : أفلا أعلمكمـا ما هـو خير لكمـا من الخادم ؟ إذا أخـذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين وأحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبّرا أربعاً وثلاثين . فذلـك مائة باللسان وألف حسنة في الميزان .

فقالت : رضيت عن الله ورسوله (ص)[1] .

وفي روايـة أخـرى ، أنّهـا لمّـا ذكـرت حـالهـا وسـألت جـاريـةً ، بكىٰ رسـول الله (ص) فقال : يـا فاطمـة ، والذي بعثني بـالحق ، إنَّ في المسجد أربعمـائة رجـل ما لهم طعـام ولا ثياب ، ولـولا خشيتي خصلة لأعـطيتـك مـا سألت . يا فـاطمة ، وإنّي لا أريـد أن ينفك عنـك أجرك إلىٰ الجـارية ، وإنّي أخـاف أن يخصمك علي بن أبي طـالب (ع) يوم القيـامة بين يـدي الله ـ عـزّ وجلّ ـ إذا طلب حقه منك ، ثمّ علّمها صلاة التسبيح .

فقال أمير المؤمنين(ع) : مضيت تـريدين من رسـول الله (ص) الدنيـا

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٨٢ و ١٣٤

فأعطانا الله ثواب الآخرة(١) .

وفي ذات يوم دخل رسول الله (ص) علىٰ عليّ (ع) فوجده هو وفاطمة (ع) يطحنان في الجاروش ، فقال النبيّ (ص) أيّكما أعيى ؟ فقال عليّ (ع) : فاطمة ، يا رسول الله . فقال لها : قومي يا بنيّة . فقامت ، وجلس النبيّ (ص) موضعها مع عليّ (ع) فواساه في طحن الحبّ(٢) .

وروي عن جابر الأنصاري أنه رأى النبيّ (ص) فاطمة وعليها كساء من أجلة الإبل ، وهي تطحن بيديها وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله (ص) ، فقال : يا بنتاه ، تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة ، فقالت : يا رسول الله الحمد لله على نعمائه ، والشكر لله علىٰ آلائه ، فأنزل الله ﴿ ولسوف يعطيك ربّك فترضىٰ ﴾(٣) .

وعن أبي عبدالله الصادق (ع) قال : كان أمير المؤمنين (ع) يحتطب ويستقي ويكنس ، وكانت فاطمة (ع) تطحن وتعجن وتخبز(٤) .

وعن أنس أنّ بلالاً أبطأ عن صلاة الصبح ، فقال له النبيّ (ص) : ما حبسك ؟ قال : مررت بفاطمة تطحن والصبيّ يبكي ، فقلت لها : إن شئت كفيتك الرحا وكفيتيني الصبيّ ، وإن شئت كفيتك الصبيّ وكفيتني الرحا . فقالت : أنا أرفق بابني منك . فذاك الذي حبسني . قال : فرحمتها ، رحمك الله(٥) .

حسن التبعّل :

عاشت الزهراء (ع) في بيت ثاني أعظم شخصية إسلامية ، رجل الشجاعة القوي ، وقائد الجند ، ووزير الرسول (ص) ومشاوره الخاص ، وهي تعرف مكانته وأهميته ، فلولا سيف علي ما قامت للدين قائمة .

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٨٥ .
(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٥٠ .
(٣) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٨٦ .
(٤) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٥١ .
(٥) دخائر العقبىٰ ص ٥١ .

عاشت (ع) في بيت عليّ (ع) في ظروف حسّاسة وغاية في الخطورة ، يوم كانت جيوش الإسلام في حالة إنذار دائم ، وكانت تشتبك في حروب ضروس في كلّ عام ، وقد اشترك الإمام عليّ (ع) فيها جميعاً أو في أكثرها .

والزهراء (ع) تعرف مسؤولياتها الثقيلة جيّداً ، ودورها ونفوذها في التأثير على زوجها . فالمرأة لها نفوذ واسع على زوجها ، ويمكنها أن توجّهه إلى أيّ جهة تشاء . ومن الواضح أنّ سعادة الرجل وتعاسته ، ورقيّه وتراجعه ، وانشراحه وكآبته ، ونجاحه وفشله في الحياة ، لها علاقة وثيقة بالمرأة وتعاملها معه في داخل البيت .

والبيت هو الملجأ الذي يلجأ إليه الرجل فراراً من متاعب الحياة ومشاكل الدنيا ومصاعبها ، ومصائب المجتمع وآلامه ، ليستريح في ظلاله الوارفة ، ويستعيد قواه ويتزوّد للقاء جديد مع الحياة خارج البيت ، ويتحمّل المهامّ والوظائف الملقاة على عاتقه ، والمرأة هي المسؤول الأول عن هذا المنتجع والمستراح . لهذا قالوا ـ كما عن الإمام موسى بن جعفر (ع) ـ : جهاد المرأة حسن التبعّل[1] .

والزهراء (ع) تعلم أنّ قائد الجيش الشجاع ـ علي (ع) ـ يدخل ساحة الوغى وينتصر على عدوّه إذا ما سكن واطمأن لزوجته ، وسعد وفرغ باله في بيته . فكان الإمام ـ وهو سيّد المحاربين والمضحي من أجل الدين ـ يعود إلى البيت بجسد متعب مكدود ، فيجد الدفء والحنان والمودّة في زوجته العزيزة ، حين تضمد جراحه ، وتغسل الدم عن جسده وثيابه ، وتسأله عن أخبار الحرب .

الزهراء (ع) كانت تقوم بكلّ هذه المهامّ ، بل كانت تغسل الدم عن ثياب النبيّ (ص) أحياناً .

وروي أنّ النبيّ (ص) وعلي(ع) حينما عادا من غزوة أحد دفعا

(١) الوافي كتاب النكاح ص ١١٤

بسيفيهما إلى فاطمة وقالا : اغسلي عنهما الدم[1] .

كانت الزهراء (ع) تشجع زوجها ، وتمتدح شجاعته وتضحيتـه ، وتشدّ علىٰ يده لتعدّه للمعارك المقبلة ، وتسكن جراحه وتمتص آلامه ، وتسـري عنه أتعـابـه . حتىٰ قـال الإمـام علي (ع) : ولقـد كنت أنـظر إليهـا فتنجلي عني الغموم والأحزان بنظرتي إليها[2] .

ما خرجت فاطمة من بيتها بدون إذن زوجها ، وما أسخطته يـوماً ، لأنّهـا تعلم أنّ الله لا يقبل عمل امرأة أسخطت زوجها حتىٰ ترضيه[3] .

الزهراء (ع) . . لم تغضب زوجهـا يومـاً ، ولم تخرج من البيت بـدون إذنه . وما كذبت في بيته وما خانته وما عصيت له أمراً حتىٰ قال الإمام (ع) : فوالله ما أغضبتها ولا أكربتها من بعد ذلك حتىٰ قبضها الله إليـه ، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً[4] .

وذكـر الإمام (ع) ذلـك في لحظات عمـر الـزهـراء (ع) الأخيـرة حين قالت : يا ابن عم ، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ، ولا خالفتك منذ عاشـرتني ، فقـال : معاذ الله ، أنت أعلم بـالله وأبرّ وأتقىٰ وأكـرم وأشدّ خـوفـاً منـه ، والله جدّدت عليّ مصيبة رسول الله (ص) وقد عظمت وفاتك وفقدك ، فإنّا لله وإنّـا إليه راجعون[5] .

من أجل هذا أحرز الإمام (ع) كلّ هذا التـوفيق والنجاح والإنتصـار في حياته .

هذه هي الزهـراء (ع) ، وأما عليّ (ع) فـلا يتصوّر أنّـه كان ـ والعيـاذ

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٠٦ .
(٢) المناقب للخوارزمي ص ٢٥٦ .
(٣) الوافي كتاب النكاح ص ١١٤ .
(٤) مناقب الخوارزمي ص ٢٥٦ .
(٥) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٩١ .

بالله ـ من الرجال المغرورين ، الذي ينتظر من زوجته كلّ شيء ويعقد عليها آلاف الآمال والتوقعات ، ولا يهتم بمسؤولياته وواجباته ، ويتعامل معها معاملة الإماء والرقيق .

أبداً ، لم يكن عليّ (ع) كأولئك ، وإنّما كان وفيّاً مخلصاً ، يجازي الإحسان بالإحسان ، ويعلم أنّه يقتحم الموت في ساحة المعركة ، وزوجته تجاهد من ورائه في معقل البيت ، وتقوم بكلّ مهامّ البيت في غيابه ، تطبخ الطعام ، وتغسل الثياب ، وتربّي الأطفال ، وتؤمن احتياجات المنزل ، رغم القحط والشحة والعسر في زمن الحرب ، وتتألم لما تسمعه من أخبار الحرب الواصلة .

وخلاصة القول : إنّها كانت تدير بيتاً لا تقلّ إدارته عن إدارة دولة كاملة .

والإمام عليّ (ع) يعلم أن الجندي المضحي الداخلي يحتاج إلىٰ من يمسح بالحنان قلبه ويشجعه ويرفق به ، فكان إذا دخل البيت سأل عمّا جرىٰ فيه أثناء غيابه ، وعمّا تحمّلته الزهراء (ع) من المشقّة والعناء ، وينشر محبّته ووده فيزيل أتعاب الجسد المكدود ، ويهدىء القلب المغموم بلطفه ، ويواسيها ويعينها على الفقر والعسر والفاقة . ويدفعها بقوة للإستمرار في العمل والحياة . فالمرأة تحتاج الرجل كي يغدق عليها حبّه وحنانه ويشعرها بإخلاصه لها وتشجيعه إيّاها على ما تبذله من جهد وتقوم به من دور ، وذلك عين ما يحتاجه الرجل من المرأة .

هكذا عاش هذان الزوجان النموذجيان في الإسلام وأدّيا واجباتهما ، وضربا المثل الأعلىٰ للأخلاق الإسلامية السامية .

كيف لا ؟ وقد قال النبيّ (ص) في ليلة الزفاف لعليّ (ع) : يا علي ! نعم الزوجة زوجتك ، وقال لفاطمة : يا فاطمة نعم البعل بعلك[1] .

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٣٢ و ١١٧ .

وقال (ص) : لولا عليّ لم يكن لفاطمة كفؤ[1] .

وروت فاطمة (ع) عن أبيها أنّه قال : خياركم ألينكم مناكبه وأكرمهم لنسائهم[2] .

وقال علي (ع) صبيحة عرسه ، حينما سأله النبيّ (ص) كيف وجدت أهلك ؟ قال : نعم العون علىٰ طاعة الله[3] .

تربية الأطفال :

تربية الأطفال من الوظائف الحسّاسة والمهامّ الثقيلة التي ألقيت علىٰ عاتق الزهراء (ع) حيث رزقت (ع) خمسة أطفال هم : الحسن ، والحسين ، وزينب ، وأم كلثوم ، ومحسن ـ الذي أسقط وهو جنين في بطن أمّه ـ وبقي لها ولدان وبنتان ، وقد قدّر الله سبحانه أن يكون نسل رسول الله (ص) وذريته من فاطمة (ع) .

قال رسول الله (ص) : إنّ الله جعل ذرية كلّ نبيّ من صلبه خاصة ، وجعل ذريتي من صلبي ومن صلب عليّ ابن أبي طالب[4] .

لهذا تحمّلت فاطمة (ع) مسؤولية التربية ، وقد تبدو لفظة « تربية الأطفال » مختصرة صغيرة ليس فيها كثير عناء، إلاّ أنّ معناها عميق واسع وحسّاس جدّاً ، فالتربية ليست مجرد أن يوفر الأب الطعام والشراب واللباس ويسعىٰ للحصول علىٰ لقمة العيش ، بينما تهيّء الأم الطعام وتغسل الملابس ، وتراعي نظافة الطفل وما شاكل . وأن لا مسؤولية أخرىٰ سوىٰ هذه .

لا أبداً ، فالإسلام لا يكتفي بهذا الحدّ ، وإنّما يجعل مسؤولية الأبوين

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٨ .
(٢) دلائل الإمامة ص ٧ .
(٣) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١١٧ .
(٤) مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٨٧ .

أكبر بكثير في تربية الأبناء ، حيث أن شخصية الطفل المعصوم ـ في حاضره ومستقبله مرهونة بتربية أبويه ومراقبتهما ومتابعتهما له ـ وكل صغيرة وكبيرة من حركاتهم وسكناتهم وأفعالهم وسلوكهم ـ كأبوين ـ تؤثّر في روح الطفل الشفيفة ، فهو يقلّد أبويه ، ويعكس سلوكهما تماماً كالمرآة .

من هنا أصبحت مسؤولية الأبوين مراقبة أطفالهم بدقّة ، والإعداد لمستقبلهم بجدّية ، وحماية فطرتهم السليمة من التلوّث ـ لأنّ الله خلقهم على فطرة الإيمان ـ .

والزهراء (ع) ربيبة الوحي التي كبرت في أحضان النبوة ، تعرف مناهج التربية الإسلامية ، ولا تغفل عنها وعن تأثيرها في الطفل ، ابتداء من تغذيته من لبن أمّه وقبلتها التي تطبعها علىٰ وجهه ، إلى سلوكها وأفعالها وأقوالها .

والزهراء (ع) تعلم أنّ عليها تربية أئمة تقدّمهم للمجتمع نماذج حية للإسلام ، وصوراً متحركةً للقرآن الكريم وحقائقه ومعارفه . ومن الواضح أنّ هذا العمل ليس سهلاً يسيراً .

الزهراء (ع) تعلم أنّ عليها أن تربّي مثل الحسين (ع) الذي يضحي بنفسه وبكلّ أهله وأصحابه وأعزّائه في سبيل الله ، ومن أجل الدفاع عن الدين ، ومقارعة الظلم والظالمين ، ليروي بدمه شجرة الإسلام .

وتربّي نساء مثل زينب وأمّ كلثوم ، وتعلمهنّ في مدرسة البيت دروس التضحية والفداء والصمود أمام الظالمين ، حتىٰ لا يرعن ولا يخضعن للظالم وقوّته ، ويقلن الحق ، وتعلمهن كيف يعرضن مظلومية الحسين علىٰ الأسماع ، فيبكي العدوّ والمحبّ في ديوان بني أمية . تعلمهن كيف يقفن تلك المواقف المشرّفة ، ويخطبن علىٰ الملأ بشجاعة ، ويفضحن مخططات الأمويين وجرائمهم ، ويحلن دون تحقيق الظالم لأهدافه .

وتربّي (ع) مثل الحسن (ع) ليعضّ علىٰ قلبه في المواقف الحرجة ، ويختار السكوت ويصالح معاوية ، ويفهم العالم أنّ الإسلام يرجّح الصلح

علىٰ الحرب ، فيسقط ما في يد معاوية ، ويفشل ريحه ويميت مؤامرته ، ويكشف تضليله للناس ، وتنتهي اللعبة التي أراد معاوية أن تمرّ علىٰ المسلمين .

من هذه النماذج الرسالية ـ الخارقة للعادة ـ تتجلىٰ عظمة الزهراء (ع) ، وقوّتها الروحية الفريدة .

نعم ، لم تكن الزهراء (ع) من تلك النساء القاصرات الجاهلات ـ والعياذ بالله ـ لتتصور البيت بمحيطه الصغير الضيّق ، وإنّما كانت تحسب محيط البيت محيطاً واسعاً شاسعاً مهمّاً ، باعتباره مصنعاً لإنتاج الإنسان الرسالي ، وجامعة لتعليم دروس الحياة ومعسكراً لتلقّي تمارين التضحية والفداء التي سيطبقها غداً في المجتمع الواسع خارج البيت .

الزهراء (ع) لم تشعر بالنقص وعقدة الدناءة . لأنّها امرأة ، فالمرأة ـ عندها ـ وجود مقدّس له مكانته العالية ومقامه الشامخ وقد فوّض الله إليها أصعب مسؤولية وأثقل مهمة في الحياة .

المدرسة التربوية :

بيت الزهراء (ع) مدرسة إسلامية تربوية للطفل المسلم .
مديرتها المرأة الأولىٰ في الإسلام ، الصدّيقة فاطمة (ع) .
ومعاونها عليّ ابن أبي طالب (ع) ـ ثاني رجل في الإسلام ـ
وبإشراف مباشر من الرسول الأكرم (ص) .
ومناهجها تنزيل من ربّ العالمين .
وخريجوها خيرة البشرية وقدوة الإنسانية .

وهنا لا بدّ من الإعتراف ـ وللأسف الشديد ـ بأنّ التاريخ لم يسجّل لنا مفردات المنهج القويم ، وذلك لأسباب منها :

أولاً : لأنّ المسلمين في ذلك العصر لم يكونوا بمستوىٰ من الرشد

والوعي تؤهّلهم للإهتمام بالتربية والمناهج التربوية ، فلم يراقبوا جزئيات سلوك النبيّ (ص) وعليّ (ع) وفاطمة ، قولاً وفعلاً مع أبنائهم ، كي يرووها للأجيال القادمة .

وثانياً : إنّ أكثر البرامج التربوية للطفل تطبق داخل البيت ، وفي مثل هذه الحالة يكون الستار مسدولاً بوجه الآخرين غالباً .

ولكن يمكن القول إجمالاً أنّ مناهج الزهراء (ع) في التربية هي نفسها مناهج الإسلام الواردة في القرآن الكريم وأحاديث النبيّ (ص) والأئمة (ع) ، ومع هذا فإنّ الشذرات القليلة المروية يمكن ـ إلىٰ حدّ ما ـ أن تكشف لنا عن منحاهم التربوي .

وجدير بالذكر ، أنّنا الآن لسنا بصدد بيان الأصول والمناهج التربوية بشكل مفصّل ، لأنّ المقام لا يسع هذا التفصيل ، ولكن نشير بإختصار إلىٰ ما ورد من أخبار عمّا كانت الزهراء تفعله ـ كمناهج للتربية ـ مع أبنائها .

الدرس الأول : الحبّ والمودّة :

قد يتخيل البعض أن فترة التربية تبدأ في حياة الطفل حينما يبدأ بالتمييز بين الجيّد والرديّء ، والحسن والقبيح . ولا ثمرة للتربية قبل هذا الحين ، بإعتباره لا يدرك شيئاً عن محيطه الخارجي وبيئته .

وهذا الرأي واضح الفساد ، لأنّ علماء التربية يؤكدّون أنّ ما يجري من أحداث ووقائع في بيئة الطفل أيّام الطفولة المبكرة ، وكذلك طريقة تعامل الأبوين ، وكيفية الرضاعة ، كلّها تؤثر ـ بشكل وآخر ـ تأثيراً ملحوظاً علىٰ الطفل وبناء شخصيته في المستقبل .

وقد ثبت لدىٰ علماء النفس والتربية أنّ الطفل يحتاج أكثر ما يحتاج في فترة الطفولة المبكرة والمتأخرة إلىٰ الشعور بحبّ الآخرين وإهتمامهم به ، ويلمس حبّ أمّه وأبيه وتعلّقهما به ، ولا يهمّه بعدها أن يعيش في قصر مشيد أو كوخ خاوٍ ، ويلبس الشفوف أو الثياب المهلهلة ، ويأكل ما لذّ وطاب أو لا

يأكل ، ما دام يستشعر الدفء والعطف والحنان الذي يُشبع إحساسه الداخلي ، ويتدفق فيه ينبوعاً أخلاقياً فاضلاً يمدّه في مستقبل عمره ويقوّم شخصيته .

صدر الأم الرؤوم وحضنها الدافىء ، وحبّ الأب الخالص وعطفه الشغيف ، يفجران فيه ينابيع الخير ، وروح التعاون ، وحبّ الآخرين ومساعدتهم .

هذه المودّة تنجيه من الضعف وخوف الوحدة ، وتمنحه الأمل في الحياة .

هذه القبلات الصادقة والمحبة العميقة الصافية ، تزرع فيه بذور الخير والعادات الطيّبة ، وتفتح أمامه آفاق النشاط الإجتماعي والتعاون وخدمة الآخرين ، وتهديه نحو السعادة ، وتنتشله من الإعتزال والهروب من الواقع .

هذا الحبّ يشعر الطفل بشخصيته واستحقاقه للحبّ والحياة .

وعلىٰ العكس تماماً ينشأ الطفل المحروم من الحبّ والحنان خائفاً في الغالب ، خجولاً ، ضعيفاً ، متشائماً ، معتزلاً ، خاملاً ، كئيباً ؛ وقد يشبّ مريضاً هزيلاً لا يقوىٰ علىٰ شيء ، ويحاول ـ من خلال ردود فعل خطيرة ـ إثبات استغنائه عن المجتمع ، فيرتكب الجرائم ، كالسرقة والقتل لينتقم من المجتمع الذي حرمه الحبّ والحنان واللمسة الرقيقة ، ليفهم الجميع أنّه ليس بحاجة لحبّهم الذي بخلوا عليه به .

فالحبّ والحنان ـ إذن ـ من الحاجات الضرورية في تربية الطفل ، وقد طبق هذا الدرس بدقة متناهية في بيت الزهراء (ع) ، والرسول الأكرم (ص) علّمه لابنته عملياً ، فقد روي عن جابر أنّه قال : لمّا حملت فاطمة بالحسن فولدت ، وقد كان النبيّ (ص) أمرهم أن يلفّوه في خرقة بيضاء ، فلفّوه في صفراء ، فجاء النبيّ (ص) فأخذه وقبّله ، وأدخل لسانه في فيه ، فجعل الحسن (ع) يمصّه ، ثم قال لهم رسول الله (ص) : ألم أتقدم إليكم أن لا

تلفّوه في خرقة صفراء ، فدعا (ص) بخرقة بيضاء فلفّه فيها ورمى بالصفراء .

فلمّا ولد الحسين جاء إليهم النبيّ (ص) ففعل به كما فعل بالحسن (ع)[1] .

وروي أنّ النبيّ (ص) كان يصلّي يوماً في فئة والحسين صغير بالقرب منه ، فكان النبيّ (ص) إذا سجد جاء الحسين فركب ظهره ثم حرّك رجليه ، وقال : حل حل ، فإذا أراد رسول الله (ص) أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلىٰ جانبه ، فإذا سجد عاد علىٰ ظهره وقال : حل حل ، فلم يزل يفعل ذلك حتىٰ فرغ النبيّ (ص) من صلاته . فقال يهوديّ : يا محمد ! إنّكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن . فقال النبيّ (ص) : أمّا لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله ، لرحمتم الصبيان . قال : فإنّي أؤمن بالله ورسوله . فأسلم لما رأىٰ كرمه (ص) مع عظم قدره[2] .

وذات يوم كان رسول الله (ص) يقبل الحسن والحسين (ع) ، فقال الأقرع بن حابس : إنّ لي عشرة ، ما قبّلت واحداً منهم قطّ . فغضب رسول الله (ص) حتىٰ التمع لونه ، وقال للرجل : إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك فما أصنع بك ؟ ! من لا يرحم صغيرنا ولا يعزّز كبيرنا فليس منّا[3] .

وروي أنّ النبيّ (ص) مّر علىٰ بيت فاطمة (ع) فسمع الحسين يبكي ، فقال : ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني[4] .

وعن أبي هريرة : خرج رسول الله (ص) ومعه الحسن والحسين هذا علىٰ عاتقه ، وهذا علىٰ عاتقه ، وهو يلثمْ هذا مرّة وهذا مرّة حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل : يا رسول الله (ص) إنّك لتحبّهما ؟ فقال : من أحبّهما فقد

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٤٠ .
(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٩٦
(٣) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٨٢ .
(٤) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٩٥ .

أحبّني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني[1] .

وروي أنّ النبيّ (ص) كـان يقـول لفـاطمـة (ع) : ادعي لي ابنَيّ ، فيشمّهما ـ كما يشمّم الوردة العطرة ـ ويضمّهما إليه[2] .

وعن أبي هريرة قال : رأيتِ النبيّ (ص) يمصّ لعاب الحسن والحسين كما يمصّ التمرة[3] .

الدرس الثاني : **تنمية الشخصية** :

قـال علمـاء النفس : لا بـدّ للمـربّي من أن ينشيء الـطفـل علىٰ الثقـة بـالنفس والإحتـرام وعلوّ الهمـة ، ويشعـره بشخصيتـه وكينـونتـه ، ليبتعـد عن الأعمـال الشريـرة ولا يركـع للأيّـام ولا يخضع للذلّ والهـوان . وبالعكس لـو احتقره المربّي ولم يحترمه وحطّم شخصيته ، فإنّه يشبّ جبـاناً يعيش الهـزيمة في داخله ، ولا يشعر بقيمة لنفسه ولا يثق بها ولا يقدم علىٰ الأعمال الكبيرة ، لأنّه يتخيّل الضعف وعدم القدرة عليها . والأشخاص من هـذا القبيل لا يكـون لهم دور في الحياة والمجتمع ، ولا يتركون بصماتهم علىٰ الأيّام ، وسرعان ما يركعون للذلّ والهوان ، ويستسلمون للمصاعب .

وقد أوصىٰ علماء النفس بجملة وصايا للمربّين نذكر منها اثنتين :

أولاً ـ إحاطة الـطفل بـالحبّ والحنان وإظهـار الإهتمام بـه . وقد ذكـرنا هذه النقطة في الدرس الأول ، وقلنا هناك : إنّ الحسن والحسين كانا يرضعان الحبّ والحنان الكافيين من أمّهما ، ويلمسانهما من جدّهما وأبيهما .

ثانياً ـ لا بـدّ من تشجيع الـطفل على الصفـات الحميدة والتـأكيد عليهـا بذكرها أمامه وأمام الآخرين ، وتعليمه علىٰ القوّة والعصامية في شخصيته .

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٨١ .

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٩٩ .

(٣) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٨٤ .

وقد قال الرسول (ص) مـراراً : إنّ الحسن والحسين سيدا شبـاب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما[١] .

وقال (ص) : الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا[٢] .

وروي عن أبي بكر قال : سمعت النبيّ (ص) علىٰ المنبر والحسن إلىٰ جنبه ينظر إلىٰ الناس مرّة وإليه مرّة ، وقال : إنّ ابني هذا سيّـد ، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين[٣] .

وعن جـابـر قـال : دخلت علىٰ النبيّ (ص) والحسن والحسين (ع) علىٰ ظهـره وهو يجثـو لهمـا ويقـول : نعم الجمـل جملكمـا ، ونعم العـدلان أنتما[٤] .

وعن يعلي العـامـري ، أنّـه خـرج مـع رسـول الله (ص) إلىٰ طعـام دعي إليـه ، فـإذا بحسين يلعب مع الصبيان ، فاستقبل النبيّ (ص) أمـام القـوم ، ثمّ بسط يديه فوثب الصبيّ هنا مرّة وهنا مرّة ، وجعل رسـول الله (ص) يضاحكـه حتىٰ أخذه ، فجعل إحدىٰ يديه تحت ذقنه والأخرىٰ تحت قفاه ووضـع فاه علىٰ فيـه وقبّله ، ثمّ قـال : حسين منّي وأنـا منـه ، أحبّ الله من أحبّ حسينـاً ، حسين سبط من الأسباط[٥] .

وكـان أمير المؤمنين (ع) يقـول للحسن والحسين (ع) : أنتما إمـامان بعقبي ، وسيدا شباب أهل الجنة ، والمعصومان ، حفظكما الله ولعنة الله علىٰ من عاداكما[٦] .

أتت فـاطمة بنت رسـول الله (ص) بـابنيهـا الحسن والحسين (ع) إلىٰ

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ٢٦٤ .
(٢) البحار ج ٤٣ ص ٢٨١ .
(٣) البحار ج ٤٣ ص ٣٠٥ .
(٤) البحار ج ٤٣ ص ٢٨٥ .
(٥) بحار ج ٤٣ ص ٢٧١ .
(٦) بحار ج ٤٣ ص ٢٦٥ .

رسول الله (ص) فقالت : يا رسول الله هذان ابناك فورّثهما شيئاً ، فقال : أمّا الحسن فإنّ له هيبتي وسؤددي ، وأمّا الحسين فإنّ له شجاعتي وجودي[١] .

وعن سلمان الفارسي قال : كان الحسين (ع) علىٰ فخذ رسول الله (ص) وهو يقبّله ويقول : أنت سيّد ابن السيّد أبو السادة ، أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمة ، أنت الحجة ابن الحجة أبو الحجج التسعة من صلبك ، وتاسعهم قائمهم[٢] .

نعم هكذا كان الرسول (ص) يكبر الطفل ويحترمه ، ولا يحتقره أمام الآخرين ليتصاغر وتتهاوىٰ شخصيته ، وتبعه علىٰ ذلك ـ أيضاً ـ علي (ع) وفاطمة (ع) ، ولهذا كان نتاج تربيتهم سادات البشر وكبراءهم .

روي أنّ رجلاً أذنب في حياة رسول الله (ص) فتغيب حتىٰ وجد الحسن والحسين (ع) في طريق خالٍ ، فأخذهما ، فاحتملهما علىٰ عاتقه ، وأتىٰ بهما النبيّ (ص) فقال : يا رسول الله ، إنّي مستجير بالله وبهما ، فضحك رسول الله (ص) حتى ردّ يده إلىٰ فمه ، ثمّ قال للرجل : اذهب فأنت طليق . وقال للحسن والحسين : قد شفّعتكما فيه أي فتيان[٣] .

لهذا تربّىٰ الحسين (ع) كبير النفس ، عظيم الهمّة ، فوقف مع صحبه المعدودين بوجه جيش يزيد وحاربهم بقوة واقتدار ولم يستسلم للذلّ والهوان ، وإنّما قال : والله لا أعطيكم بيديّ إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد[٤] .

ومن ثمار هذه التربية زينب (ع) ـ جبل الصبر والصمود ـ التي تحدت يزيد وأذنابه الظالمين ، وكشفت دسائس النظام الحاكم السفّاك ، بخطبها في الكوفة والشام ، ولم تهن ولم تنكل ولم تنهزم أمام الطغاة .

---

(١) بحار ج ٤٣ ص ٢٦٣ .
(٢) بحار ج ٤٣ ص ٢٩٥ .
(٣) البحار ج ٤٣ ص ٣١٨ .
(٤) مقتل أبي مخنف ص ٤٦ .

الدرس الثالث : الإيمان والتقوىٰ :

اختلف العلماء في السنّ المناسبة لتلقي المفاهيم والعقائد الدينية :

فمنهم من قال : إنّ الطفل لا يستوعب هذه الأفكار إلاّ بعد اجتياز مرحلة البلوغ والرشد .

ومنهم من قال : إنّ المربّي يمكنه أن يصوغ الأفكار والعقائد الدينية ويصبّها في قوالب سهلة جزلة يستأنس بها الصبيّ ويتقبّلها ، ويكلّف ببعض الأعمال الخفيفة السهلة ليشبّ عليها ، حتىٰ إذا ما ناهز سنّ البلوغ كان قد تعودّها من قبل وليست غريبة عليه .

والإسلام يأخذ بالإتجاه الثاني ، ويأمر أتباعه أن يمرّنوا الأطفال على الصلاة من سنّ السابعة[١] ، والرسول الأكرم (ص) لقّن التعاليم الدينية ـ في بيت الزهراء (ع) ـ منذ لحظات الطفولة الأولىٰ والرضاعة ، عندما ولد الإمام الحسن (ع) أذّن في أذنه اليمنىٰ ، وأقام في اليسرىٰ ، ولمّا ولد الحسين (ع) جاء النبيّ (ص) ، ففعل به كما فعل بالحسن (ع)[٢] .

وعن أبي عبدالله الصادق (ع) قال : إنّ رسول الله (ص) كان في الصلاة وإلىٰ جانبه الحسين بن علي ، فكبّر رسول الله (ص) فلم يحر الحسين التكبير ، ولم يزل رسول الله (ص) يكبّر ويعالج الحسين التكبير ولم يحر حتىٰ أكمل سبع تكبيرات ، فأحار الحسين التكبير في السابعة[٣] .

فالرسول الأكرم (ص) كان يولي هذا الإيحاء والتلقين الروحي أهمية كبيرة منذ لحظة الولادة . فأذّن وأقام في أذني الحسن والحسين (ع) ليكون ذلك درساً للمربّين .

والزهراء (ع) أيضاً كانت تلاعب الحسن (ع) وترقّصه وتقول :

---

(١) الشافي ج ٢ ص ١٤٩ .

(٢) بحار ج ٤٣ ص ٢٤١ .

(٣) بحار ج ٤٣ ص ٣٠٧ .

اشبه أباك يا حسن واخلع عن الحق الرسن
واعبد إلهاً ذا منن ولا توال ، ذا الإحَن[1]

ولو أمعنا النظر في هذين البيتين لوجدناهما يحتويان علىٰ نكات أربعة مهمّة لقّنتها الزهراء (ع) لابنها :

١ ـ كن كأبيك عبداً لله ، شجاعاً .
٢ ـ اعبد الله وحده .
٣ ـ دافع عن الحق .
٤ ـ لا توال ذا الإحن .

وكان النبيّ (ص) يهتمّ اهتماماً بالغاً بالتقوىٰ المالية ، ويراقب أبناءه ويحاذر عليهم من أيّ طعام فيه أدنىٰ إشكال أو شبهة .

ففي رواية عن أبي هريرة : إنّ النبيّ أُتي بتمر من تمر الصدقة ، فجعل يقسمه ، فلما فرغ حمل الصبيّ وقام ، فإذا الحسن في فيه تمرة يلوكها ، ففطن له رسول الله (ص) فأدخل إصبعه في في الصبيّ فانتزع التمرة ثمّ قذفها ، وقال : إنّا آل محمد لا نأكل الصدقة[2] .

هذا ، مع أنّ الإمام الحسن (ع) بعد صبيّ لم يبلغ الحلم ولم يكلف ، ولكنّه (ص) يعلم أنّ الأكل الحرام يؤثر تأثيراً موضوعياً علىٰ روح الطفل . وينبغي أن يعرف الطفل منذ سنيّه الأولىٰ أنّ هناك حراماً وحلالاً وقيوداً في الأكل .

بالإضافة إلىٰ أنّه (ص) أكّد شخصية الإمام الحسن (ع) وطيب منبته ، فالزكاة حق المحرومين ، وليس لمثل الحسن (ع) أن يأكل منها .

وهكذا خلط (ص) العظمة والشرف وأشربهما في ولد الزهراء (ع)

---

(١) بحار ج ٤٣ ص ٢٨٦ .
(٢) ينابيع المودة ص ٤٦ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٣٠٥ .

فوقفت أمّ كلثوم ذلك الموقف الـذي حكىٰ صنع جـدّها رسـول الله (ص) في الكوفة فكـانت تأخـذ الخبز والتمـر والجوز من أيـدي الأطفال وتـرميها ، وهي تقول : يا أهل الكوفة ، إنّ الصدقة محرّمة علينا أهل البيت[1] .

الدرس الرابع : الإلتزام بالنظم ورعاية حقوق الآخرين :

من الأمـور التي ينبغي للوالدين والمـربّين جميعـاً الإلتفـات إليهـا ، هي مـراقبة الـطفل مـراقبـة دقيقـة ، لكي لا يتجـاوز على الآخـرين ، وكي يحتـرم حقوقهم ، ويتعلم النظم في شؤون حياته ، ولا يعجز عن استرداد حقوقه ، ولا يبخس الناس أشياءهم .

والأبـوان يربّيـانه علىٰ هـذا الخلق من خلال تعـاملهم مـع أبنـائهم ـ في البيت ـ معـاملة صادقـة عادلـة ، لا ظلم فيها لأحـد ، ولا يؤثران بعضهم علىٰ بعض ، ولا يفرقان بين الولد والبنت ، والصغير والكبير ، والجميـل والقبيح ، والذكيّ والغبيّ ، في التودد والتحبب إليهم ، كي لا تنمو بذور الحقد والحسد والغيرة ، فيدخلوا المجتمع بحسن التجاوز والإعتداء .

فـالطفـل الذي تُـراعىٰ في بيته حقـوق الأفراد ، يعـرف أنّ عليه احتـرام حقوق الآخرين في الخارج ، وعلىٰ العكس إذا ما كـان البيت تسوده الفـوضىٰ والتفرقة ، فإنّه سوف يتربّىٰ على الإعتداء والتجاوز وظلم الآخرين .

ولو أنَّ طفلاً تجاوز أثناء دخوله أو خـروجه من المـدرسة ، أو ركـوبه في السيـارة ، أو في حانـوت الخبّاز ، أو أيّ مكـان آخر علىٰ حق صـاحبه وأخـذ نوبته ، وسكت عنه والداه أو مربّيه فإنهم بسكوتهم يخونون الطفل المعصـوم ، حيث أنّه يتصوّر أنّ القوة والتعدّي نوع من أنواع الشطارة والفن، فإذا مـا دخل المجتمـع ، أو تصدىٰ لمسؤوليـة ما ، فـإنّـه سيـظلم ويتعـدّىٰ ويسحق حقـوق الآخرين ، ولا يفكر إلاّ بمصلحته .

---

(١) مقتل أبي مخنف ص ٩٠ .

وقد نفّذ هذا الدرس بدقة في بيت الزهراء (ع) ، ونذكر الرواية التالية كنموذج :

عن علي (ع) قال : رأينا رسول الله (ص) قد أدخل رجله في اللحاف أو في الشعار ، فاستقىٰ الحسن (ع) فوثب النبي (ص) إلىٰ منيحة لنا فمصّ من ضرعها فجعله في قدح ثمّ وضعه في يد الحسن ، فجعل الحسين (ع) يثب عليه ورسول الله (ص) يمنعه ، فقالت فاطمة : كأنّه أحبّهما إليك ، يا رسول الله ؟ قال : ما هو بأحبّهما إليّ ، ولكنّه استقىٰ أوّل مرّة ، وإنّي وإيّاك وهذين وهذا المنجدل يوم القيامة في مكان واحد[1] .

الدرس الخامس : الرياضة واللعب :

يوصي علماء التربية أن يترك الأطفال لحالهم في إختيار اللعب التي يهوونها ، وعلينا أن نوفّر لهم الوسائل السليمة . وقد تنبه أخيراً ـ ما يسمّىٰ بالعالم المتمدن ـ لهذه الحقيقة فوفّروا ألعاباً مسلية سليمة في دور الحضانة ، والمدارس الإبتدائية والثانوية بما يناسب مراحلهم وأعمارهم ؛ وصاروا يشجعونهم علىٰ الألعاب الجماعية ، لما لهذه الألعاب من تأثير عميق علىٰ رشد أجسادهم وأرواحهم .

يتوقع بعض الناس من الأطفال أن يتصرفوا كما لو كانوا كباراً ، ويمنعونهم من اللعب ويحاسبونهم علىٰ تصرفاتهم الطفولية ، ويسمّون هذا تربية . فإذا كان الطفل لعوباً حركاً اتهموه بسوء الأدب ، وإذا كان منزوياً خاملاً لا يلعب ولا يتحرك امتدحوه وشجعوه على سكونه وهدوءه !! .

لكن علماء النفس يعدّون هذا خطأً كبيراً ، ويعتبرون سكون الطفل وخموله دليلاً علىٰ مرضه روحياً وفسيولوجياً ، علىٰ أن لا يكون لعبه مضراً به أو مزاحماً للآخرين .

بل على الأبوين أن يتصابوا لهم ويلاعبوهم في أوقات فراغهم ، لأنّ

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٨٣ .

الطفل يستشعر الحبّ في ذلك ، وكان رسول الله (ص) يلعب مع الحسين والحسن (ع) كما روي عن أبي هريرة أنّ رسول الله (ص) أخذ بيديه جميعاً بكتفي الحسن والحسين ، وقدماهما علىٰ قدم رسول الله (ص) ، وقال : ترقّ عين بَقّة . قال : فرقا الغلام حتىٰ وضع قدميه علىٰ صدر رسول الله (ص) ثمّ قال له : افتح فاك ثمّ قبّله ، ثمّ قال : اللّهم أحبّه فإنّي أحبّه[1] .

وعن أبي هريرة أيضاً قال : اصطرع الحسن والحسين ، فقال رسول الله (ص) إيهاً حسن ، فقالت فاطمة (ع) : يا رسول الله (ص) تقول : إيهاً حسن ، وهو أكبر الغلامين . فقال رسول الله (ص)أقول : إيهاً حسن ، ويقول جبرئيل : إيهاً حسين[2] .

وعن جابر قال : دخلت علىٰ النبيّ (ص) والحسن والحُسين (ع) علىٰ ظهره ، وهو يجثو لهما ويقول : نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما[3] .

وعن الرضا (ع) عن آبائه قال : إنّ الحسن والحسين (ع) كانا يلعبان عند النبيّ (ص) حتىٰ مضىٰ عامّة الليل ، ثمّ قال لهما : انصرفا إلىٰ أمّكما ، فبرقت برقة في السماء فما زالت تضيء لهما حتىٰ دخلا علىٰ فاطمة (ع) والنبيّ (ص) ينظر إلىٰ البرقة ، فقال : الحمد لله الذي أكرمنا أهل البيت[4] .

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٨٦ .

(٢) بحار ج ٤٣ ص ٢٦٥ .

(٣) بحار ج ٤٣ ص ٢٨٥ .

(٤) بحار ج ٤٣ ص ٢٦٦ .

الفصل الرابع

فضائل الزهراء "ع"

قال رسول الله (ص) : حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم[١] .

وقال (ص) : فاطمة خير نساء أهل الجنّة[٢] .

وقال (ص) : إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ من بطنان العرش : يا معشر الخلائق ، غضّوا أبصاركم حتىٰ تجوز فاطمة بنت محمد علىٰ الصراط[٣] .

وعن النبيّ (ص) أنّه قال : يا فاطمة ، إنّ الله ليغضب لغضبك ويرضىٰ لرضاك[٤] .

وعن عائشة أنّها قالت : ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة ، إلّا أن يكون الذي ولدها[٥] .

وعن أبي جعفر الباقر (ع) ـ والله لقد فطمها الله تبارك وتعالىٰ بالعلم[٦] .

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٧٦ .
(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٧٦ .
(٣) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٣ ـ ذخائر العقبىٰ ص ٤٨ .
(٤) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٤ ـ أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢ .
(٥) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٩ ـ ذخائر العقبىٰ ص ٤٤ .
(٦) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٩ .

وروي عن أبي عبدالله (ع) أنّه قال : لفاطمة تسعة أسماء عند الله عزّ وجلّ : فاطمة ، والصديقة ، والمباركة ، والطاهرة ، والزكيّة ، والرضيّة ، والمرضيّة ، والمحدّثة ، والزهراء . قال : وسمّيت بفاطمة لأنّها فطمت من الشر ، ولولا علي (ع) لما كان لها كفؤ في الأرض[1] .

وروي عن أبي جعفر الباقر (ع) أنّه سئل : لم سمّيت الزهراء ؟ قال : لأنّ الله تعالىٰ خلقها من نور عظمته ، فلمّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها ، وغشيت أبصار الملائكة وخرّت الملائكة لله ساجدين . وقالوا : إلهنا وسيّدنا ، ما هذا النور ؟ فأوحىٰ إليهم : هذا نور من نوري ، أسكنته في سمائي ، وخلقته من عظمتي ، أخرجه من صلب نبي من أنبيائي ، أفضّله علىٰ جميع الأنبياء ، وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري ، ويهدون إليّ خلقي ، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي[2] .

وقال رسول الله (ص) لفاطمة (ع) : يا بنيّة ، إنّ الله أشرف علىٰ الدنيا فاختارني علىٰ رجال العالمين ، ثمّ اطلّع ثانية فاختار زوجك علىٰ رجال العالمين ، ثمّ اطلّع ثالثة فاختارك علىٰ نساء العالمين ، ثمّ اطلّع رابعة فاختار ابنيك علىٰ شباب العالمين[3] .

وروي أنّ النبيّ (ص) قال : اشتاقت الجنّة إلىٰ أربع نساء : مريم بنت عمران ، وآسية بن مزاحم زوجة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد[4] .

وعنه (ص) أنّه قال : إنّ فاطمة شجنة منّي ، يسخطني ما أسخطها ، ويرضيني ما أرضاها[5] .

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٩ .
(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٠ .
(٣) كشف الغمة ج ٢ ص ٩١ .
(٤) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٢ .
(٥) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٣ .

وروي أنّ النبيّ (ص) قال وهو آخذ بيد فاطمة (ع) : من عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد ، وهي بضعة مني ، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي ، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله [1] .

وعن أمّ سلمة قالت : كانت فاطمة بنت رسول الله (ص) كانت أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله (ص) [2] .

وعنه (ص) أنّه قال : إنّ فاطمة خلقت حوريّة في صورة إنسية [3] .

وقال (ص) : أوّل شخص يدخل الجنّة فاطمة (ع) [4] .

وعن أبي عبدالله (ع) : وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها [5] .

وروي أنّ رسول الله (ص) يقول : إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين من نور [6] .

وعن ابن عباس قال : سألت النبيّ (ص) عن الكلمات التي تلقّىٰ آدم من ربّه فتاب عليه . قال : سأله بحق محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ ، فتاب عليه [7] .

وعن أبي عبدالله (ع) أنّه قال : لولا أنّ الله تبارك وتعالىٰ خلق أمير المؤمنين لفاطمة (ع) ما كان لها كفؤ علىٰ وجه الأرض ، آدم فمن دونه [8] .

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٢ ، الفصول المهمة تأليف ابن صباغ / نجف / ص ١٢٨

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٧ .

(٣) دلائل الإمامة ص ٥٢ .

(٤) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٤٤ .

(٥) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٦٥ .

(٦) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٤ .

(٧) كشف الغمة ج ٢ ص ٩١ .

(٨) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٨ .

وعن النبيّ (ص) قال : لمّا أسري بي ودخلت الجنّة ، بلغت إلىٰ قصر فاطمة فرأيت سبعين قصراً من مرجان ، حمراء مكلّلة باللؤلؤ[1] .

وعن النبيّ (ص) أنّه قال : يا فاطمة ، أتدرين لما سمّيت فاطمة ؟ فقال عليّ (ع) : يا رسول الله (ص) لم سمّيت ؟ قال : لأنّها فطمت هي وشيعتها من النار[2]

وعن الصادق (ع) قال : كان رسول الله (ص) يكثر تقبيل فاطمة (ع) فأنكرت ذلك عائشة ، فقال رسول الله (ص) : يا عائشة ، إنّي لمّا أُسري بي إلىٰ السماء دخلت الجنة ، فأدناني جبرئيل من شجرة طوبىٰ ، وناولني من ثمارها فأكلته ، فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري ، فلمّا هبطت إلىٰ الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، فما قبّلتها قطّ إلّا وجدت رائحة شجرة طوبىٰ منها[3] .

وعن ابن عباس قال : إنّ رسول الله (ص) كان جالساً ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) ، فقال : اللّهم إنّك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ ، فأحبب من أحبّهم ، وأبغض من أبغضهم ، ووالِ من والاهم ، وعادِ من عاداهم ، وأعن من أعانهم ، واجعلهم مطهّرين من كلّ رجس ، معصومين من كلّ ذنب ، وأيّدهم بروح القدس منك .

ثمّ قال : يا علي ، أنت إمام أمتي ، وخليفتي عليها بعدي ، وأنت قائد المؤمنين إلىٰ الجنة ، وكأنّي أنظر إلىٰ ابنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة علىٰ نجيب من نور ، عن يمينها سبعون ألف ملك ، وعن يسارها سبعون ألف ملك ، وبين يديها سبعون ألف ملك ، وخلفها سبعون ألف ملك ، تقود مؤمنات أمتي إلىٰ الجنّة ، فأيّما امرأة صلّت في اليوم والليلة خمس صلوات ،

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ٧٦ .

(٢) البحار ج ٤٣ ص ١٤ وكشف الغمة ج ٢ ص ٨٩ .

(٣) البحار ج ٤٣ ص ٦ .

وصامت شهر رمضان ، وحجّت بيت الله الحرام ، وزكّت مالها ، وأطاعت زوجها ، ووالت علياً بعدي ، دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة . وإنّها لسيّدة نساء العالمين .

فقيل : يا رسول الله (ص) ، أهي سيّدة نساء عالمها ؟

فقال (ص) : ذاك مريم بنت عمران ، فأمّا ابنتي فاطمة فهي سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ، وإنّها لتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين ، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم ، فيقولون : يا فاطمة إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك علىٰ نساء العالمين .

ثمّ التفت إلىٰ علي (ع) فقال : يا علي ، إنّ فاطمة بضعة منّي وهي نور عيني وثمرة فؤادي ، يسؤني ما ساءها ويسرّني ما سرّها ، وإنّها أوّل من يلحقني من أهل بيتي فأحسن إليها بعدي . وأمّا الحسن والحسين فهما إبناي وريحانتاي ، وهما سيّدا شباب أهل الجنة ، فليكونا عليك سمعك وبصرك .

ثمّ رفع (ص) يده إلىٰ السماء فقال : اللّهم إنّي أشهدك أنّي محبّ لمن أحبّهم ، ومبغض لمن أبغضهم ، وسلم لمن سالمهم ، وحرب لمن حاربهم ، وعدوّ لمن عاداهم ، ووليّ لمن والاهم[1] .

علم الزهراء (ع) :

روي عن عمّار أنّه قال : شهدت علي ابن أبي طالب (ع) وقد ولج علىٰ فاطمة ، فلمّا أبصرت به نادت : ادن لأحدثك بما كان وبما هو كائن وبما لم يكن إلىٰ يوم القيامة حين تقوم الساعة .

قال عمّار : فرأيت أمير المؤمنين (ع) يرجع القهقرىٰ فرجعت برجوعه ، إذ دخل علىٰ النبيّ (ص) فقال : ادن يا أبا الحسن ، فدنا ، فلما اطمأن به المجلس قال له : تحدّثني أم أحدّثك ؟ قال : الحديث منك أحسن

(١) البحار ج ٤٣ ص ٢٤ .

يـا رسول الله . فقـال : وكأنّي بـك وقد دخلت علىٰ فـاطمة وقـالت لـك كيت وكيت فرجعت ، فقال عليّ (ع) : نـور فاطمـة من نورنـا ؟ فقال (ع) : أولا تعلم ؟

فسجد عليّ شكراً لله تعالىٰ .

قال عمّار : فخرج أمير المؤمنين (ع) وخرجت بخروجـه ، فولـج على فاطمة (ع) وولجت معه ، فقالت : كأنّك رجعت إلىٰ أبي (ص) فأخبرته بما قلته لك ؟ قال : كان كذلك يا فاطمة . فقالت : اعلم ـ يـا أبا الحسن ـ أنّ الله تعالىٰ خلق نوري وكان يسبح الله جلّ جلاله ثمّ أودعه شجـرة من شجر الجنـة فـأضاءت ، فلمـا دخل أبي الجنـة أوحىٰ الله ـ تعالى ـ إليـه إلهامـاً أنّ اقتـطف الثمـرة من تلك الشجرة وأدرهـا في لهواتـك ، ففعل ، فـأودعني الله سبحـانـه صلب أبي (ص) ثمّ أودعني خـديجة بنت خـويلد ، فوضعتني وأنـا من ذلـك النور . فاعلم ما كان وما يكون وما لم يكن . يا أبا الحسن ، المؤمن ينظر بنور الله تعالىٰ[(١)] .

قال أبو محمـد العسكري (ع) : حضـرت امرأة عنـد الصديقـة فاطمـة الـزهراء (ع) فقـالت إنّ لي والدة ضعيفـة وقـد لبس عليهـا في أمـر صـلاتهـا شيء ، وقـد بعثتني إليك أسـألك ، فـأجابتهـا فاطمـة (ع) عن ذلـك ، فثنّت فأجابتها ، ثمّ ثلثت إلىٰ أن عشّرت فـأجابت ، ثم خجلت من الكثـرة فقالت : لا أشقّ عليك يا ابنة رسول الله (ص) ، قالت فاطمـة : هاتي وسلي عمّـا بدا لك ، أرأيت من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه ؟ فقالت : لا . فقالت : اكتريت أنا لكـلّ مسألـة بأكثـر من ملء مـا بين الثرىٰ إلى العرش لؤلؤاً فأحرىٰ أن لا يثقل عليّ .

سمعت أبي يقـول : إنّ علماء شيعتنـا يحشـرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله ، حتىٰ يخلع على

(١) البحار ج ٤٣ ص ٨ .

الـواحد منهم ألف ألف حلّة من نـور ، **ثم ينادي منـادي ربّنا عـزّ** وجلّ : أيّهـا الكـافلون لأيتام آل محمـد (ص) الناعشـون **لهم عنـد انقـطاعهم** عن آبـائهم الـذين هم أئمتهم ، هؤلاء تلامـذتكم والأيتـام الـذين **كفلتمـوهم ونعشتمـوهم** فـاخلعوا عليهم خلع العلوم في الـدنيا ، فيخلعـون **على كلّ واحـد** من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم ، حتىٰ أنّ فيهم ـ يعني في الأيتـام ـ لمن يخلع عليـه مائـة ألف خلعة ، وكـذلك يخلع هؤلاء الأيتـام على من تعلّم منهم ، ثمّ إنّ الله تعـالى يقول : اعيـدوا على هؤلاء العلماء الكـافلين للأيتـام حتىٰ تتمـوا لهم خلعهم ، وتضعّفـوهـا ، لهم فيتمّ لهم مـا كـان لهم قبـل أن يخلعـوا عليهم ، ويضـاعف لهم ، وكـذلـك من يليهم ممن خلع على من يليهم .

وقـالت فاطمـة : يا أمـة الله ، إنّ سلكة ، من تلك الخلع لأفضـل ممّـا طلعت عليه الشمس ألف ألف مرّة وما فضل فإنّ مشوب بالتنغيص والكدر[١] .

عن أبي محمـد (ع) قـال : قـالت فـاطمـة (ع) وقـد اختصم إليهـا امرأتان ، فتنازعتا في شيء من أمر الدين ، إحداهما معاندة ، والأخـرىٰ مؤمنة ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ، ففرحت فرحاً شديداً ـ فقالت فاطمة (ع) : إنّ فرح الملائكة بـاستظهـارك عليها أشـدّ من فرحـك ، وإنّ حـزن الشيطان ومـردته بحـزنهـا أشـدّ من حـزنهـا ، وإنّ الله تعـالى قـال لملائكته : أوجبوا لفاطمـة بما فتحت على هـذه المسكينة الأسيـرة من الجنان ألف ألف ضعف مما كنت أعددت لهـا ، واجعلوا هذه سنّـة في كلّ من يفتـح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان معدّاً له من الجنان[٢] .

إيمان الزهراء وعبادتها :

قال رسول الله (ص) : إنّ ابنتي فاطمة (ع) مـلأ الله قلبها وجـوارحها

---

(١) البحار ج ٢ ص ٣ .

(٢) البحار ج ٢ ص ٨ .

إيماناً إلى مشاشها ، ففرغت لطاعة الله[1] .

وعن الحسن بن علي (ع) قال : رأيت أمي فاطمة (ع) قامت في محرابها ليلة جمعة ، فلم تزل راكعة وساجدة حتىٰ انفجر عمود الصبح ، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء ، قلت لها : يا أمّاه ، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟ قالت : يا بنيّ ! الجار ثمّ الدار[2] .

وعنه (ع) : ما كان في الدنيا أعبد من فاطمة ، كانت تقوم حتىٰ تتورّم قدماها[3] .

وقال رسول الله (ص) : ابنتي فاطمة سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ، وهي بضعة منّي ، وهي نور عيني وثمرة فؤادي ، وهي روحي التي بين جنبي ، وهي الحوراء الإنسية ، متىٰ قامت في محرابها بين يدي ربّها ـ جلّ جلاله ـ زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته : يا ملائكتي انظروا إلىٰ أمتي فاطمة سيّدة إمائي ، قائمة بين يديّ ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها علىٰ عبادتي ، أشهدكم أنّي قد أمنت شيعتها من النار

ومن الطبيعي أن تكون فاطمة كذلك وهي وليدة بيت نزل فيه القرآن ، وربيبة أحضان الوحي وسيّد الرسل ـ الذي عبد الله حتىٰ تورّمت قدماه الشريفتان ، وسمعت آيات القرآن تتلى عليها في آناء الليل وأطراف النهار ـ وعاشت في بيت زوج هو أعبد الناس لله .

العقد المبارك :

عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال : صلّىٰ بنا رسول الله (ص) صلاة

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ٤٦ .

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٤ ودلائل الإمامة ص ٥٦ .

(٣) البحار ج ٤٣ ص ٧٦ .

العصر فلمّا انفتل جلس في قبلته والناس حوله . فبينا هم كذلك ، إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد تهلل وأخلق . ولا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً ، فأقبل عليه رسول الله (ص) يستحثّه الخبر ، فقال الشيخ : يا نبي الله ، أنا جائع الكبد فأطعمني ، وعاري الجسد فأكسني ، وفقير فأرشني ، فقال (ص) : ما أجد لك شيئاً ، ولكن الدالّ على الخير كفاعله ، انطلق إلىٰ منزل من يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، يؤثر الله علىٰ نفسه ، انطلق إلى حجرة فاطمة ، (وكان بيتها ملاصق بيت رسول الله (ص) الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه) وقال : يا بلال ! قم فقف به علىٰ منزل فاطمة .

فانطلق الأعرابي مع بلال ، فلمّا وقف علىٰ باب فاطمة نادىٰ بأعلى صوته : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط جبريل الروح الأمين بالتنزيل من عند رب العالمين .

فقالت فاطمة : عليك السلام فمن أنت يا هذا ؟

قال : شيخ من العرب أقبلت علىٰ أبيك السيّد البشير من شقة ، وأنا يا بنت محمد (ص) عاري الجسد ، جائع الكبد ، فواسيني يرحمك الله .

وكان لفاطمة وعلي في تلك الحال ـ ورسول الله (ص) ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً ، وقد علم رسول الله (ص) ذلك من شأنهما ، فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين ، فقالت : خذ هذا أيّها الطارق ، فعسىٰ الله أن يختار لك ما هو خير منه .

قال الأعرابي : يا بنت محمد شكوت إليك الجوع فناولتني جلد كبش ، ما أنا صانع به ، مع ما أجد من السّغب ؟

قال : فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلىٰ عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبد المطلب ، فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي وقالت : خذه وبعه ، فعسىٰ الله أن يعوّضك به ما هو خير منه .

فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله (ص) والنبيّ جالس في أصحابه فقال : يا رسول الله ، أعطتني فاطمة هذا العقد فقالت : بعه فعسى الله أن يصنع لك .

قال : فبكىٰ النبيّ (ص) وقال : كيف لا يصنع الله لك ! وقد أعطتك فاطمة (ع) بنت محمد (ص) سيّدة بنات آدم .

فقام عمار بن ياسر ـ رحمه الله ـ فقال : يا رسول الله ، أتأذن لي بشراء هذا العقد .

قال : اشتره يا عمّار ، فلو اشترك فيه الثقلان ما عذّبهم الله بالنار .

فقال عمار : بكم العقد يا أعرابي ؟

قال : بشبعة من الخبز واللحم ؛ وبردة يمانية أستر بها عورتي وأصلّي بها لربّي ، ودينار يبلغني إلىٰ أهلي .

وكان عمّار قد باع سهمه الذي نقله رسول الله (ص) من خيبر ولم يبق منه شيئاً ، فقال : لك عشرون دينار ومئتا درهم هجرية ، وبردة يمانية ، وراحلتي تبلغك أهلك ، وشبعك من خبز البرّ واللحم .

فقال الأعرابيّ : ما أسخاك بالمال ، يا رجل .

وانطلق به عمّار فوفاه ما ضمن له .

وعاد الأعرابي إلىٰ رسول الله (ص) ، فقال له رسول الله (ص) : أشبعت واكتسيت ؟ قال الأعرابيّ : نعم ، واستغنيت بأبي أنت وأميّ . قال : فاجز فاطمة بصنيعها .

فقال الأعرابيّ : اللّهم إنّك إله ما استحدثناك ، ولا إله لنا نعبده سواك . وأنت رازقنا علىٰ كلّ الجهات . اللّهم اعط فاطمة ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت .

فأمّن النبيّ علىٰ دعائه ، وأقبل علىٰ أصحابه فقال : إنّ الله قد أعطىٰ

فاطمة في الدنيا ذلك ، أنا أبوها ولا أحـد من العالمين مثلي ، وعلي بعلهـا ، ولولا علي لما كان لفاطمة كفؤ أبداً ، وأعـطاها الحسن والحسين ومـا للعالمين مثلهما ، سيّدا شباب أسباط الأنبياء ، وسيدا شباب أهل الجنّة .

وكان بإزائه مقداد وعمّار وسلمان .

فقال : وأزيدكم ؟

قالوا : نعم يا رسول الله (ص) .

قال : أتاني الروح ـ يعني جبريل ـ أنّها إذا هي قبضت ودفنت ، يسـألها المسلكان في قبرها : من ربّك ؟ فتقـول : الله ربّي . فيقولان ؟ فمن نبيّـك ؟ فتقول : أبّي : فمن وليك ؟ فتقول : هذا القائم علىٰ شفير قبري .

ألا وأزيـدكم من فضلهـا ؟ إنّ الله قـد وكّـل بهـا رعيـلاً من المـلائكـة يحفظونها من بين يديها ومن خلفهـا وعن يمينها وعن شمـالها ، وهم معهـا في حياتها ، وعند قبرها ، وعند موتها ، يكثرون الصلاة عليهـا وعلىٰ أبيها وبعلهـا وبنيها . فمن زارني بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي ومن زار فاطمة فكـأنّما زارني ، ومن زار عليّ ابن أبي طـالب (ع) فكـأنّمـا زار فـاطمـة ، ومن زار الحسن والحسين فكأنّما زار علياً ، ومن زار ذريتهما فكأنّما زارهما .

فعمد عمّار إلىٰ العقد فطيّبه بالمسـك ، ولفّه في بـردة يمانية ، وكان لـه عبد اسمه سهم ابتاعه من ذلك السهم الذي أصـابه بخيبـر ، فدفـع العقد إلىٰ المملوك وقال له : خذ هذا العِقد وادفعه لرسول الله (ص) وأنت لـه ، فأخـذ المملوك العقـد فـأتىٰ بـه رسـول الله (ص) فـأخبـره بقـول عمّـار . فقـال النبيّ (ص) : انطلق إلىٰ فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها ، فجـاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله (ص) فأخذت فـاطمة (ع) العقـد ، وأعتقت المملوك ، فضحك الغلام ، فقالت : ما يضحكك يا غلام ؟

فقال : أضحكني عظم بركة هذا العقد ، أشبع جائعاً ، وكسىٰ عرياناً ،

وأغنىٰ فقيراً وأعتق عبداً ، ورجع إلىٰ ربّه[1] .

حب النبي واحترامه لفاطمة (ع) :

عن عائشة قالت : ما رأيت أحداً أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله (ص) من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبّلها وأجلسها في مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت فقبلته وأخذت بيده فأجلسته في مكانها[2] .

وعن حذيفة بن اليمان قال : دخلت عائشة علىٰ النبيّ (ص) وهو يقبّل فاطمة (صلوات الله عليها) فقالت له : يا رسول الله (ص) أتقبلها وهي ذات بعل ؟ فقال لها : أما والله لو علمت ودّي لها ، إذن لازددت لها حبّاً . . . فاطمة حوراء أنسية ، فإذا اشتقت إلىٰ رائحة الجنّة شممت ابنتي فاطمة صلّىٰ الله عليها وعلىٰ أبيها وبعلها[3] .

وسأله علي (ع) يوماً ، فقال : يارسول الله ، أنا أحبّ إليك أم فاطمة ؟ فقال : أنت عندي أعزّ منها ، وهي أحبّ منك[4] .

وروي عنها (ع) قالت : لمّا نزلت ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ رغب رسول الله (ص) أن أقول له : يا أبه ، فكنت أقول يا رسول الله ، فأعرض عنّي مرة أو اثنتين أو ثلاثاً ، ثمّ أقبل عليّ فقال : يا فاطمة ! إنّها لم تنزل فيك ولا في نسلك ، وأنت منّي وأنا منك ، إنّما نزلت في أهل الجفاء من قريش ، قولي : يا أبه ، فإنّها أحيىٰ للقلب وأرضى للربّ[5] .

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ٥٦ .

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٧٩ .

(٣) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٥ .

(٤) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٨ .

(٥) بيت الأحزان ص ١٩ .

وسئلت عائشة : من كان أحبَّ الناس إلى رسول الله (ص) ؟ فقالت : فاطمة ، قلت : إنّما أسألك عن الرجال ، قالت : زوجها[1] .

وعن حذيفة قال : كان رسول الله (ص) لا ينام حتى يقبّل عرض وجه فاطمة[2] .

وكان رسول الله (ص) إذا سافر ، فآخر عهده إتيان فاطمة ، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة[3] .

ويقول النبيّ (ص) : فاطمة بضعة منّي ، من سرّها فقد سرّني ، ومن ساءها فقد ساءني ، فاطمة أعزّ البريّة عليّ .

لا شك أن النبيّ (ص) كان يحبّ فاطمة حبّاً جمّاً حتىٰ عذله البعض في ذلك . والحبّ الشديد الذي قد يتجاوز المتعارف يصدر أحياناً من الأب لجهله وقصر نظره . إلاّ أنّ النبيّ الذي فيه قال الله تعالى : ﴿ **وإنّك لعلىٰ خلق عظيم** ﴾[4] وهو ﴿ **لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلاّ وحي يوحى** ﴾[5] إنّما كان يحبّ فاطمة كلّ هذا الحبّ ، لعلمه بمقامها الشامخ ، ولأنّها أمّ الأئمة ومركز الولاية والإمامة ، وأنّها المرأة النموذجية في الإسلام ، والمعصومة من كلّ ذنب ودنس ، ولا يعرفها حق المعرفة إلاّ الله ورسوله وعليّ ، وهي الإشعاع الملائكي في الأرض ، ومنبع النور السماوي الملكوتي التي يشمّ فيها الرسول (ص) رائحة الجنّة كلّما اشتاقها .

حياتها الشاقة :

عن سويد بن غفلة قال : أصابت علي (ع) شدّة فأتت فاطمة (ع)

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٨ .
(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٣ .
(٣) مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٣٢ .
(٤) سورة القلم آية ٤ .
(٥) سورة النجم آية ٤ .

رسول الله (ص) ، فدقت الباب ، فقال : اسمع حسّ حبيبي بالباب ، يا أمّ أيمن قومي وانظري . ففتحت لها الباب فدخلت، فقال (ص) : لقد جئتنا في وقت ما كنت تأتينا في مثله ؟ فقالت فاطمة (ع) : يا رسول الله (ص) ما طعام الملائكة عند ربنا ؟ فقال : التحميد ، فقالت : ما طعامنا ؟ قال رسول الله (ص) : والذي نفسي بيده ما اقتبس في آل محمد شهراً ناراً ، وأعلمك خمس كلمات علمنيهن جبرئيل (ع) ؟ قالت : يا رسول الله (ص) وما الخمس كلمات ؟ قال : يا ربّ الأولين والآخرين ، يا ذا القوّة المتين ، ويا راحم المساكين ، ويا أرحم الراحمين ، ورجعت .

فلمّا أبصرها عليّ (ع) قال : بأبي أنت وأمي ، ما وراءك يا فاطمة ؟ قالت : ذهبت للدنيا وجئت بالآخرة . قال عليّ (ع) : خير أمامك ، خير أمامك[1] .

وذات يوم عاد رسول الله (ص) فاطمة (ع) في وجع لها فقال : يا بنيّة كيف تجدينك ؟ قالت : إنّي لوجعة وإنّه ليزيدني وجعاً أن ليس لي طعام آكله . فقال : أما ترضين أنّك سيّدة نساء العالمين ؟[2] .

وعن أبي جعفر (ع) قال : شكت فاطمة (ع) إلىٰ رسول الله (ص) عليّاً فقالت : يا رسول الله ما يدع شيئاً من رزقه إلاّ وزعه بين المساكين . فقال لها : يا فاطمة أتسخطين في أخي وابن عمي ، إنّ سخطه سخطي وإنّ سخطي لسخط الله[3] .

وعن أسماء بنت عميس عن فاطمة بنت رسول الله (ص) : أنّ الرسول (ص) أتىٰ يوماً فقال : أين أبنائي حسناً وحسيناً ؟

قالت : أصبحنا وليس عندنا في بيتنا شيئاً يذوقه ذائق ، فقال علي :

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ١٥٢ .

(٢) نظم درر السمطين ص ١٧٩ .

(٣) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٩ .

أذهب بهما إلىٰ فلان اليهودي . فتوجه إليه رسول الله (ص) فوجدهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر . فقال : يا علي ، ألا تقلب إبني قبل أن يشتدّ الحرّ عليهما ؟ قال : فقال عليّ : أصبحنا وليس في بيتنا شيء ، فلو جلست يا رسول الله (ص) حتىٰ أجمع لفاطمة ثمرات وهو ينزح ليهودي كلّ دلو بتمرة حتىٰ اجتمع له شيء من التمر ، فجعله في حجره ثم عاد إلىٰ البيت[١] .

وعن موسىٰ بن جعفر (ع) أنّه قال : إنّ رسول الله (ص) دخل علىٰ ابنته فاطمة (ع) وإذا في عنقها قلادة ، فأعرض عنها ، فقطعتها ورمت بها . فقال لها رسول الله (ص) : أنت منّي يا فاطمة . ثمّ جاء سائل فناوله القلادة ، ثمّ قال رسول الله (ص) : اشتدّ غضب الله علىٰ من أهرق دمي وآذاني في عترتي[٢] .

وعن أسماء بنت عميس أنّها كانت عند فاطمة إذ دخل عليها النبيّ (ص) وفي عنقها قلادة من ذهب أتىٰ بها عليّ (ع) من سهم صار إليه ، فقال لها : يا بنية لا تغترّي بقول الناس ، فاطمة بنت محمد ، وعليك لباس الجبابرة ـ فقطعتها لساعتها وباعتها ليومها واشترت بالثمن رقبة مؤمن فأعتقتها ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فسرّ[٣] .

وعن أبي جعفر (ع) قال : كان رسول الله (ص) إذا أراد السفر سلّم علىٰ من أراد التسليم عليه من أهله ، ثمّ يكون آخر من يسلم عليه فاطمة (ع) . فيكون وجهته إلى سفره من بيتها ، وإذا رجع مرّ بها .

فسافر مرّة وقد أصاب عليّ (ع) شيئاً من الغنيمة ورفعه إلىٰ فاطمة فخرج فأخذت سوارين من فضّة وعلقت علىٰ بابها ستراً .

---

(١) ذخائر العقبى ص ٤٩

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٧

(٣) ذخائر العقبى ص ٥١

فلمّا قدم رسول الله (ص) دخل المسجد فتوجّه نحو بيت فاطمة ، كما كان يصنع ، فقامت فرحة إلىٰ أبيها صبابة وشوقاً إليه ، فنظر فإذا في يدها سواران من فضّة ، وإذا علىٰ بابها ستر ، فقعد رسول الله (ص) حيث ينظر إليها ، فبكت فاطمة (ع) وحزنت وقالت : ما صنع هذا أبي قبلها ، فدعت ابنيها فنزعت الستر من بابها وخلعت السوارين من يديها ، ثمّ دفعت السوارين إلىٰ أحدهما والستر إلىٰ الآخر ، ثمّ قالت لهما : انطلقا إلىٰ أبي فاقرآه السلام ، وقولا له : ما أحدثنا بعدك غير هذا فشأنك به . فجاآه فأبلغاه.ذلك عن أمّهما فقبّلهما رسول الله (ص) والتزمهما وأقعد كلّ واحد منهما علىٰ فخذه ، ثمّ أمر بذينك السوارين فكسرا فجعلهما قطعاً ثمّ دعىٰ أهل الصفة ـ وهم قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا مال ـ فقسّم بينهم قطعاً ، ثم جعل يدعو الرجل منهم العاري الذي لا يستتر بشيء ، وكان ذلك الستر طويلاً ليس له عرض ، فجعل يؤزر الرجل فإذا التقيا عليه قطعه ، حتىٰ قسّمه بينهم أزراً .

ثمّ قال رسول الله (ص) : رحم الله فاطمة ، ليكسونّها الله بهذا الستر من كسوة الجنة ، وليحلينها بهذين السوارين من حلية الجنّة(١) .

وعن عمران بن حصين قال : كنت مع النبيّ (ص) جالساً إذ أقبلت فاطمة فوقفت بين يديه فنظر إليها وقد غلبت الصفرة على وجهها ، وذهب الدم من شدّة الجوع ، فقال : ادني يا فاطمة ، فدنت ثمّ قال : ادني يا فاطمة ، فدنت حتىٰ وقفت بين يديه ، فوضع يده على صدرها في موضع القلادة وفرج بين أصابعه ثم قال : اللّهم مشبع الجاعة ورافع الوضعة لا تجع فاطمة بنت محمد . قال عمران : فنظرت إليها وقد غلب الدم على وجهها وذهبت تلك الصفرة(٢) .

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ٨٣ .

(٢) نظم درر السمطين ص ١٩١ .

الدعوة بالعمل :

إنّ التأريخ العام والروايات تشهد أنّ حياة شخصيات الطراز الأول في الإسلام (محمد (ص) ، وعلي (ع) وفاطمة (ع)) كانت بسيطة جداً ، وكثيراً ما تتخللها الصعوبات والمشقة . ولا غرابة في ذلك ، إذا ما أخذنا الوضع العام للمسلمين ـ في زمانهم ـ بنظر الإعتبار ، لأنّ الأكثرية الساحقة كانت من الفقراء والمعدمين ، والأقلية القليلة التي كانت تتمتع بشيء من الغنىٰ النسبي ، اضطرت ـ تحت الضغوط وفراراً بالدين ـ إلىٰ ترك مكّة ، والهجرة إلىٰ المدينة المنوّرة .

والمجتمع المدني لا يختلف عن المجتمع المكي ، سوىٰ أنّ الأقلية التي كانت تتمتع بالغنىٰ النسبي ، هنا اضطرت إلىٰ مدّ يد العون والمساعدة للمهاجرين ، وتقديم كل ما بوسعهم لهم ومواساتهم تكريماً لهم .

ثمّ إنّ الإسلام والمسلمين كانوا يمرون بأزمة حادّة ، ومنادي الجهاد يدعوهم للتعبئة العامّة دائماً ، وهم في حالة إنذار قصوىٰ وإنشغال بالحرب والدفاع ، ولهذا كان من الصعوبة بمكان انتعاش الوضع الإقتصادي ودعمه .

وحياة أهل البيت (ع) كانت مواساة للفقراء والمساكين ، وترفعاً عن الترف والترهل ، فذلك لا يليق بهم ولا يناسبهم ، مع أنّ النبيّ الأكرم (ص) والإمام علي (ع) كانا يعملان بيديهما ولهما سهم في الغنائم ـ كسائر المسلمين ـ ، ويمكنهما أن يعيشا في سعة أفضل حياة .

ولكن كيف يشبع الرسول (ص) ، وصهره وابنته وبطون فقراء المدينة غرثىٰ ، وصرخاتهم مدوية ؟

وكيف تسدل بنت النبي (ص) ستراً علىٰ بابها ، وفي المسلمين من يجلس عارياً في المسجد ؟ !

وكيف يلبس الحسنان أسورة الفضة . وأطفال المسلمين جياع يسمعان أنينهم ؟

لقد اقتحمت جماهير المسلمين المستضعفة ميادين المعارك والتضحية ، وقدموا أرواحهم في سبيل الأهداف الرسالية المقدّسة ، وهم بعد لم يدركوا معنىٰ الوحي جيّداً ، ولا زالوا في صدر الإسلام وأيّامه الأولىٰ ، ولا زالت عقولهم في عيونهم .

ذلك لأنّ النبي (ص) نفذ وهيمن علىٰ قلوبهم وأرواحهم . ولأنّه (ص) وأهل بيته الطاهرين عليّ وفاطمة (ع) واسوا سائر المسلمين ، جاعوا حين جاعوا وتألّموا حين تألّموا وحرموا حين حرموا ، وكانوا أول من يعمل بما يقولونه ونموذجاً عملياً وتجسيداً حيّاً لأوامر الإسلام قولاً وفعلاً .

ولقد دعوا الناس بأعمالهم وسلوكهم إلىٰ الإسلام والتضحية والعطاء ولكن . . .

عصمة الزهراء (ع) :

تطلق كلمة المعصوم في اللغة علىٰ الممنوع المحفوظ .

وفي الإصطلاح تطلق علىٰ من لا يخطأ ولا يسهو ولا يذنب ، وله بصيرة نافذة يرىٰ من خلالها حقائق الكون بالمشاهدة والعيان . فلا عصيان ولا إثم ولا خطأ ولا سهو في ساحة وجوده المقدس ، لعلاقته الوثيقة بعالم الملكوت ولتسديده الغيبي ، وقد ذكروا أدلة وبراهين عقلية ونقلية لإثبات مقام العصمة الشامخ للأنبياء والمرسلين (ع) .

ويعتقد الإمامية بعصمة أوصياء النبي (ص) وخلفائه ـ الأئمة الإثني عشر ـ أيضاً ويقيمون الأدلّة والبراهين علىٰ ذلك ، ولا نريد التعرض لمباحث

الإمامة لئلا نبتعد عن محور البحث المقصود .

وكذلك ترىٰ الإمامية عصمة الزهراء (ع) ـ بالإضافة إلىٰ عصمة الأنبياء والأئمة الأطهار (ع) ـ ، ويمكن الإستدلال على ذلك بعدّة أدلّة منها :

الأول ـ قوله تعالىٰ ﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا ﴾[1] .

ورد في أحاديث كثيرة ـ من طرق العامة والخاصة ـ أنّها نزلت في النبيّ (ص) وعلي (ع) وفاطمة والحسن والحسين (ع) إليك نموذجاً منها :

عن عائشة قالت : خرج رسول الله (ص) غداة غدٍ وعليه مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله، ثمّ جاء الحسين فأدخله ، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ، ثمّ جاء علي فأدخله ، ثمّ قال : **﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا ﴾**[2] .

عن أمّ سلمة قالت: في بيتي نزلت **﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت . . . ﴾** فجاءت فاطمة ببرمة فيها ثريد فقال (ص) لها : ادعي زوجك وحسناً وحسيناً فدعتهم ، فبينا هم يأكلون إذ نزلت هذه الآية فغشاهم بكساء خيبري كان عليه فقال اللّهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا ، ثلاث مرّات[3] .

عن عمر بن أبي سلمة قال : نزلت **﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾** في بيت أمّ سلمة ، فدعا النبيّ (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء ثم قال : اللّهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً . قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٤ .

(٢) و(٣) ينابيع المودّة ص ١٢٥ .

الله ؟ . قال : أنت على مكانك ، وأنت إلى خير[١] .

عن واثلة بن الأسقع قال : جاء النبي (ص) إلى بيت فاطمة ومعه علي وحسن وحسين . حتىٰ دخل فأدنىٰ علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما على فخذه ، ثمّ لفّ عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم ، ثمّ تلا هذه الآية وقال : اللّهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً[٢] .

وقد روىٰ جماعة من الصحابة أحاديث كثيرة بهذا المضمون في شأن نزول الآية الشريفة ، منهم : عائشة ، أمّ سلمة ، معقل بن يسار ، أبو الحمراء ، أنس بن مالك ، سعد بن أبي وقاص ، واثلة بن الأسقع ، الحسن بن علي (ع) ، علي بن أبي طالب (ع) ، أبو سعيد الخدري ، زينب ، وابن عباس ، وجماعة آخرون . وثبّتها علماء الخاصة والعامة في كتبهم مثل جلال الدين السيوطي في الدر المنثور ، وسليمان بن إبراهيم القندوزي في ينابيع المودّة ، وغيرهم من علماء السنة .

وحصيلة هذه الروايات أنّ النبيّ (ص) ـ بعد نزول الآية ـ جعل علياً وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ تحت كسائه مراراً في عدّة مواطن (في بيت فاطمة ، في بيت أمّ سلمة ، وغيرها) وتلا الآية المباركة وقال : اللّهم إنّ هؤلاء أهل بيتي طهّرهم تطهيراً . وبهذا عرّف الرسول (ص) المراد من (أهل البيت) وحدّد موضوع الآية الشريفة .

وروي أنّه (ص) واظب علىٰ تلاوتها في باب الزهراء (ع) ستة أشهر ، وفي رواية سبعة أشهر ، وفي أخرىٰ ثمانية أشهر .

فعن نافع بن أبي الحمراء قال : شهدتُ رسول الله (ص) ثمانية

(١) و(٢) ينابيع المودّة ص ١٢٥ .

أشهر ، إذا خرج إلىٰ صلاة الغداة مرّ بباب فاطمة (ع) فقال : السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، الصلاة ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾[1] .

وإنّما فعل النبيّ الأكرم (ص) كلّ هذا ليقطع الطريق علىٰ الإنتهازيين والنفعيين لئلا يسيئوا الإستفادة من هذه الآية الشريفة ، فيدّعي أحدٌ يوماً أنّها نزلت فيه ، واهتمّ بالأمر غاية الإهتمام حتىٰ أنّ أمّ سلمة أرادت الدخول تحت الكساء فجرّه (ص) منها وقال : إنّك علىٰ خير ، وطرق باب فاطمة (ع) مدّة طويلة وهو يتلو الآية وقت صلاة الفجر ، ويخاطب من في الدار بالآية علىٰ مرأىٰ ومسمع جميع المسلمين ، لئلا ينكروها بعده .

وقد قال علي (ع) والحسن والحسين (ع) للصحابة ـ في مواطن عديدة ـ إنّ الآية نزلت فيهم ، وما أنكر عليهم أحد قطّ .

والآية المباركة نصّت علىٰ أنّ الله سبحانه أراد أن يطهّر أهل البيت من الرجس .

والرجس هنا ليس النجاسة الظاهرية وإلا فالتنزه عنها مطلوب من كلّ المسلمين ، ثمّ لو كانت النجاسة الظاهرية هي المقصود لما احتاج النبيّ (ص) إلىٰ كل تلك المراسم والتشريفات ، وإلىٰ تلاوتها شهوراً عديدة علىٰ باب علي وفاطمة (ع) ، ولما جرّ الرداء من أم سلمة وهو يقول : إنّك لعلىٰ خير .

فالمراد من الرجس إذن ـ هو التلوث والنجاسة الباطنية ، أي إرتكاب الذنوب ومعصية الرب ـ فيكون معنىٰ الآية الشريفة « إنّ الله أراد أن يكون أهل البيت منزّهين مطهّرين من إرتكاب الذنوب والمعاصي » .

---

(١) كشف الغمة ج ٥ ص ٨٣ ـ الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٩ .

والإرادة هنا ليست إرادة تشريعية ، أي أنّ الله أراد من أهل البيت أن ينزّهوا ويطهّروا أنفسهم من الذنوب ـ كلا ، لأنّ هذه الإرادة ليست مختصة بأهل البيت (ع) وإنّما تشمل الناس جميعاً ، فالمراد إذن ـ هي الإرادة التكوينية .

وقد فسّر الرسول الأكرم (ص) الآية الشريفة بالعصمة من الذنب أيضاً .

فعن ابن عباس عن النبيّ : قسّم الله الخلق قسمين وجعلني في أفضلهما ، فقال ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾ فأنا أفضل أصحاب اليمين . وقسّمهم ثلاثة أقسام وجعلني في أفضلها فقال ﴿ **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون** ﴾ فأنا أفضل السابقين . ثم قسّم الطوائف الثلاث إلى قبائل وجعلني في أفضلها فقال : ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ فأنا أتقىٰ بني آدم وأفضلهم ولن أفخر بذلك . وقسّم القبائل إلى أُسر وجعلني في أفضلها فقال : ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾ فأنا وأهل بيتي معصومون من الذنب والمعصية[1] .

إشكال :

قال بعضهم : إنّ الآية خاصة بنساء النبيّ (ص) ، وتشبّثوا في ذلك بسياق الآية ، فالآية واقعة في سياق الخطاب مع نساء النبيّ (ص) ، فإن دلت على العصمة فهي ثابتة لنساء النبيّ (ص) ولم يقل بذلك أحد من المسلمين .

الجواب :

ذكر العلامة السيّد عبد الحسين شرف الدين هذا الإشكال وأجاب عليه بعدّة وجوه : ـ

---

(١) الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٩ .

الأول : أنّه إجتهاد في مقابل النصوص الصريحة والأحاديث المتواترة الصحيحة ، وقد سمعت بعضها .

الثاني : أنّها لو كانت خاصة في النساء ـ كما يزعم هؤلاء ـ لكان الخطاب في الآية بما يصلح للإناث ولقال عزّ من قائل : عنكنّ ، ويطهّركن ، كما في غيرها من آياتهن ، فتذكير ضمير الخطاب فيها دون غيرها من آيات النساء كاف في ردّهم .

الثالث : أنّ الكلام البليغ يدخله الإستطراد والإعتراض ، وهو كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب العاربة وغيرهم من البلغاء ، وآية التطهير من هذا القبيل جاءت مستطردة بين آيات النساء ، فتبيّن بسبب استطرادها أنّ خطاب الله لهن بتلك الأوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن إلاّ لعناية الله تعالىٰ بأهل البيت « أعني الخمسة » لئلا ينالهم « ولو من جهتهن » لوم ، أو ينسب إليهم « ولو بواسطتهن » هناة ، أو يكون عليهم للمنافقين « ولو بسببهنّ » سبيل .

الرابع : أنّ القرآن لم يترتب في الجمع على حسب ترتبه في النزول بإجماع المسلمين كافة ، وعلىٰ هذا فالسياق لا يكافىء الأدلّة الصحيحة عند تعارضهما ، لعدم الوثوق حينئذٍ بنزول الآية في ذلك السياق(١) .

الدليل الثاني :

قال رسول الله (ص) : يا فاطمة ، إنّ الله يغضب لغضبك ويرضىٰ لرضاك (٢).

وبديهي أنّ ميزان الرضى والغضب عند الله هو الحق ، والله لا يرضىٰ بالقبيح ومخالفة الحق ، ولو غضب لذلك غيره ، كما لا يغضب ـ سبحانه ـ من الفعل الحسن والحق ولو أغضب الآخرين .

---

(١) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء ص ٢١٤

(٢) ينابيع المودّة ص ٢٠٣

ونتيجة ذلك أنّ الزهراء (ع) لا بدّ أن تكون معصومة من الذنب والخطأ ، وذلك لأنّها لو لم تكن معصومة لما صحّ قول النبيّ (ص) في حقها ، بينما لو كانت معصومة ـ كما هو الحق ـ فإنّ رضاها وغضبها يوافق الموازين الشرعية دائماً ، فهي لا تغضب من الحق ولا ترضىٰ بما يخالف رضا الله .

ونضرب مثلاً لتوضيح المعنىٰ : لو فرضنا أنّ فاطمة (ع) لم تكن معصومة ويصحّ الخطأ والإشتباه في حقها ، فلو تنازعت مع شخص ما على شيء ، فمن الممكن أن تطالب بدافع الهوىٰ والإشتباه بغير الحق وخلافاً للواقع ، وحينما ينتصر الحق ويغلبها الخصم فقد تغضب (ع) لذلك ولا رضىٰ عليه ، فهل يمكن ـ على هذا الغرض ـ أن يقال إنّ غضبها غضب الله ورضاها رضاه ، مع أنّ الحق لخصمها ؟ أبداً لا يمكن أن ينسب هذا الفعل القبيح إلى الله سبحانه .

ويمكن إثبات عصمتها (ع) بهذه الرواية أيضاً « قال رسول الله (ص) : فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني »[1] ـ رواه الفريقان واعترف به المسلمون جميعاً حتى عمر وأبو بكر .

وكما بيّنا فيما سبق فإنّ هذا الحديث يدلّ على عصمة فاطمة (ع) لأنّ النبيّ (ص) معصوم عن الذنب والخطأ والهوىٰ ويغضب ويرضىٰ لغضب الله ورضاه ، فلا يمكن أن يقال : إنّ النبيّ (ص) يغضب لغضب فاطمة ، إلّا إذا قلنا بعصمتها (ع) عن الذنب والخطأ .

ومن الشواهد الأخرىٰ على عصمتها (ع) قول الصادق (ع) : إنّ فاطمة إنّما سميت فاطمة لأنّها فطمت من الشر[2] .

---

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٩ .

رأي الزهراء (ع) في المرأة :

عن علي (ع) قال : كنّا عند رسول الله (ص) فقال : أخبروني أيّ شيء خير للنساء ؟ فعيينا بذلك كلّنا حتىٰ تفرقنا فرجعت إلى فاطمة (ع) فأخبرتها الذي قال رسول الله (ص) وليس أحد منّا علمه ولا عرفه ، فقالت : ولكنّي أعرفه ، خير للنساء أن لا يرين الرجال ، ولا يراهن الرجال ، فرجعت إلى رسول الله (ص) فقلت : يا رسول الله (ص) سألتنا أيّ شيء خير للنساء ؟ وخير لهنّ أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال . قال : من أخبرك فلم تعلمه وأنت عندي ؟ قلت : فاطمة ، فأعجب ذلك رسول الله (ص) ، وقال : إنّ فاطمة بضعة منّي[1] .

لا شكّ أنّ الإسلام العظيم خطا خطوات واسعة جدّاً في مجال المرأة وحقوقها واحترامها وتكريمها وحريتها ، وشرّع القوانين والأحكام لحمايتها ورعاية حقوقها ومصالحها الواقعية ، وأعطاها الحريّة في طلب العلم واحترم ملكيتها وعملها .

ولكن هناك سؤال يمكن أن يطرح نفسه للبحث وهو : ما هو الأصلح للمرأة في موارد الإختلاط بالرجال الأجانب ؟

هل الأصلح لها أن تكون كالرجال تماماً وتختلط بهم في محافلهم ؟

هل الأصلح لها ـ واقعاً ـ أن تتزين وتشارك الرجال سافرة متحللة لا وازع يردعها ولا مانع ؟

هل الأصلح لها أن تعرض نفسها ـ بالمجان ـ للعيون الفضولية التي ترعىٰ في أجساد النساء ، ليتمتع الرجال بالنظر ـ وهو من أهمّ المتع واللذات عندهم ـ .

هل الأصلح لها أن لا ترىٰ لنفسها حريماً ولا حدوداً ، وتعاشر الرجال وتختلط بهم تماماً وتنظر إليهم وينظرون إليها بحريّة كاملة ؟

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٢ .

هـل من مصلحة المـرأة أن تخرج من بيتهـا بشكل يـدعو العيـون القذرة لملاحقتها ؟

أو أنّ المصلحـة ـ للمجتمـع النسـوي ـ أن تتحجب المـرأة وتخـرج من البيت ببساطة وبـلا تكلّف ، وتستر مفـاتنها وزينتهـا عن الرجـال الأجانب ، لا تنظر إليهم ولا تسمح لهم بالنظر إليها ؟

هل أنّ الوضع الأول يحفظ المصلحة العامّة للمـرأة ، ويؤمّن لها العيش الرغيد المطمئن ، أم الوضع الثاني ؟

الرسول الأكرم (ص) طرح هذا الأمر الإجتمـاعي المهمّ على أصحابـه وطلب رأيهم فيـه ، فعيبوا جميعـاً ، وحينما سمعت بـه فاطمـة (ع) قـالت : « خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال » .

فكان جواب ربيبة الوحي وبيت الولاية عميق الفـور كثير الفـائدة ، قيّمـاً دقيقاً ، أظهرت فيه رأيها في أهمّ المسائل الإجتماعية وأكثرها حساسيّة ، فقـال رسول الله (ص) : فاطمة بضعة منّي .

إذا فكـر الإنسـان في المسـألـة بحيـاد ومـوضـوعيـة تـامين ، بعيـداً عن العواطف الكاذبة والمشاعر الساذجة ، ودرس عواقبها ونتائجها جيّداً ، يؤمن أنّ اقتـراح الزهـراء (ع) أفضل السبـل وأروع المناهـج لتأمين مصـالح المـرأة ، والإحتفاظ بكرامتها وقيمتها ومقامها في المجتمـع ، لأنّ المرأة إذا خـرجت من بيتهـا بصورة مثيـرة وعاشـرت الرجـال ، سيحصل الـرجال على اللّذة في كـلّ مكان ، ويسرحـوا أنظارهم في غـابات السيقـان والأجساد ، فيـأبون ـ عنـدها ـ تحمّـل مسؤولية الـزواج وعناء بنـاء الأسرة ، فتكثـر الفتيات العـزبات . وهـذا بالإضافة إلى ضرره على المجتمع وزيادة مشاكل الآباء والأمهات ، فإنّه ينتهي بالضرر على المصالح العامة للمجتمع النسوي خاصة .

إذا عـرضت المرأة مفـاتنها لكـلّ العيون ، وانشغلت بـاختـطاف القلوب وإصـطياد الـرجال ، فـإنّهـا سـوف تجـرّ خلفهـا قـافلة من القلوب وجبـالاً من

العواطف ، وغالباً ما يواجه الرجال الحرمان ـ في مثل هذه الحالات ـ ولا يتمكنون من الوصال الحرّ الذي يملأ القلب ويخمد لهيب العاطفة ، وتكون النتيجة الطبيعية إنتشار الأمراض العصبية والنفسية ، والإنتحار واليأس من الحياة وفقدان الأمل .

والنتيجة الأخرىٰ ـ وإن كانت غير مباشرة ـ هي أنّ بعض الرجال يلتمسون المكر والحيلة لإغتيال عفة الفتاة واستراق أعزّ ما تملك ، واستلاب الشرف الذي تحيىٰ به الفتاة ، ويدفعونها في مزالق الإنحراف ومهاوي الفساد والضلال .

وكذلك المرأة التي ترىٰ زوجها يسرح النظر أينما شاء ويلاحق النساء بعيونه ، تشتعل فيها نيران الغيرة وتعصف بها رياح الظنون والتشكيك ، وتبدأ بالمؤاخذة لزوجها في الأمور التافهة والخطيرة ، فينخرم نسيج العائلة وتتبدد أوصال الأسرة وتخبو جذوة الحبّ وتتزلزل أركان البيت ، وتكون العاقبة إلى الطلاق والفراق أو إلى المحاصرة في السجن الذي يسمّونه « البيت » ويبقىٰ كلّ منهما يعضّ على قلبه ويحسب ساعات العمر وأيّامه ، ليتخلص من الحياة المرّة التعيسة المكبلة بقيود الآخر ، ويصبح كل منهما شرطياً يراقب صاحبه .

الرجل الذي تتوفر له فرصة النظر إلى النساء لا بدّ أن يرىٰ بينهن من هي أجمل من زوجته وأكثر جاذبية ، وفي ساعة يجرح قلب زوجته بسبب أو لآخر بما رأىٰ وأعجب به ، فتهتزّ لذلك مشاعرها ويتحوّل البيت إلىٰ جحيم لا يطاق .

الرجل الذي يذهب إلى محلّ كسبه ، فيصادف في طريقه ، أو في محلّ عمله نساء ملطخات بـ (المكياج) ونصف عاريات ، فإنّه يقع تحت تأثير الغريزة الجنسية قهراً ويسخر فؤاده لخاطبات القلوب ، ولا يستطيع ـ حينئذٍ ـ أن ينشغل بكسبه وأداء واجبه وعمله ، أو طلب العلم ، أو النشاطات الإقتصادية الأخرى .

المرأة المستورة يمكنها أن تحتفظ بكرامتها وقدرها ، وأن تتمكن أكثر من قلب الرجل ، وتكون خيراً علىٰ المجتمع .

والإسلام يعتبر المرأة من أهمّ الأعضاء الفعّالة في المجتمع ، ويرىٰ أن طريقة تعاملها وسلوكها يؤثّر تأثيراً بليغاً في الوسط الإجتماعي ، لذا طلب منها أن تتحجب وتستر نفسها وتضحي من أجل الحفاظ علىٰ المجتمع من الإنحراف والفساد والتحلل ، والسعي من أجل سلامته وتقدمه ورقيّه .

ولهذا رأت الزهراء(ع) ـ ربيبة الوحي ـ أنّ من الخير للمرأة أن لا ترىٰ رجلاً ولا يراها رجل أجنبيّ .

الفصل الخامس

فاطمة (ع) بعد وفاة أبيها

في السنة الثامنة عشر من الهجرة دعا النبيّ الأكرم (ص) عامّة المسلمين لأداء مناسك الحج ، وحجّ بهم حجة الوداع ، وعلّمهم أحكام الحج ومناسكه . وعند العودة توقف الركب عند غدير خم ، وصعد النبيّ (ص) علىٰ منبر من أحداج الإبل ، ونادىٰ بصوت عال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، ونصب علياً (ع) لخلافته والولاية من بعده ، ثمّ أمر المسلمين ، فبايعوا علياً وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين ، وتفرقوا في بلدانهم . وعاد النبيّ (ص) إلى المدينة وبقي فيها وقد تغيّر حاله ، وبانت أمارات الموت عليه ، وضعفت صحته ، فكان يتهيّأ للموت ويوصي بأهل بيته في كلّ مناسبة ، ويزور البقيع ويستغفر للموتىٰ .

رأت فاطمة (ع) في منامها ـ بعد حجّة الوداع ـ أنّها كانت تقرأ القرآن وفجأة وقع القرآن من يدها واختفىٰ ، فاستيقظت مرعوبة ، وقصت الرؤيا على أبيها (ص) .

فقال رسول الله (ص) : أنا ذلك القرآن ـ يا نور عيني ـ وسرعان ما سأختفي عن الأنظار[1] .

ثم أخذ المرض يشتدّ به (ص) فجهّز النبيّ جيشاً بإمرة أسامة بن زيد ،

---

(١) رياحين الشريعة ج ١ ص ٢٣٩ .

وأمرهم بالمسير إلىٰ الروم ودعا الناس للإشتراك بهذا البعث ، ونصّ علىٰ بعضهم بالإسم ليخلي الساحة من المنافقين والمتربصين ، ويفوت الفرصة على المعارضين لخلافة عليّ (ع) .

واشتدّ مرض النبيّ (ص) أكثر فأكثر ، وهو مسجّى على فراش المرض ، والزهراء يشتدّ وجدها علىٰ أبيها ، فتارة تحدّق في وجهه الشاحب وتذرف الدموع الساخنة ، وأُخرىٰ تدعو له بالسلامة : إلهي . . هذا أبي الذي ما أوذي نبي مثل ما أوذي ليغرس شجرة الإسلام ، ويثبت جذورها في الأرض ، وقد لاحت في الأفق آيات النصر وإرهاصات الفتح الشامل ، وكان أملي أن تعلو راية الإسلام خفاقة ، ويفنىٰ الشرك والظلم والجور عن وجه الأرض علىٰ يديه ، لكنّه الآن ـ وواأسفها ـ قد اشتدّ مرضه . . إلهي . . سلّمه ، واشفه ، فمنك الشفاء ومنك السلامة .

ثقل المرض علىٰ رسول الله (ص) حتىٰ أُغمي عليه ، فلمّا أفاق وجد أبا بكر وعمر وآخرين عنده ، فقال (ص) : ألم آمركم بالمسير في جيش أسامة ؟ . فاعتذروا ، إلاّ أنّ النبي (ص) يعلم ما تكنّ صدورهم ـ وما يبيّتون ـ من بقائهم في المدينة لينزوا علىٰ مقام الخلافة .

فقال (ص) : ائتوني بدواة وبيضاء ، أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدي أبداً .

فأسرع بعضهم لإجابة طلب الرسول (ص) فمنعه عمر وقال : إنّ الرجل ليهجر ، قد غلبه مرضه[1] .

والزهراء (ع) ترىٰ وتسمع ذلك فيربو همها ويزداد غمها ، فقد كشر النفاق من الآن وطفح علىٰ وجوه القوم ، وأبوها لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلاّ وحي يوحىٰ ، ولا يريد سوىٰ خير المسلمين ومصلحتهم ، فما لهؤلاء القوم يعاندون ويعصون ولا يكادون يفقهون حديثاً . ؟ ! . . .

---

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢١٧ البخاري ج ٣ ص ١٢٥٩

يبدو أنّ المستقبل ينذر بالخطر ، والقوم صمّموا على تضييع أتعاب نبيهم ، والله أحكم الحاكمين .

ابتسامة مدهشة :

لما ثقل واشتدّ حال رسول الله (ص) وحضره الموت ، أخذ علي (ع) رأسه الشريف فوضعه في حجره (ع) فأُغمي عليه فكانت فاطمة (ع) تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل .

ففتح رسول الله (ص) عينيه وقال بصوت ضعيف : بنيّة قولي ﴿ **وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً** ﴾[١] .

فبكت طويلاً ، فأومأ إليها بالدنوّ منه ، فأسرّ إليها شيئاً تهلّل وجهها له ، فقيل لفاطمة (ع) : ما الذي أسرّ إليك رسول الله (ص) فسرّى عنك به ما كنت عليه من الحزن والقلق بوفاته ؟ قالت : إنّه أخبرني أنّني أول أهل بيته لحوقاً به ، وأنّه لن تطول المدّة لي بعده حتى أدركه ، فسرى ذلك عنّي[٢] .

عن أنس قال : جاءت فاطمة معها الحسن والحسين (ع) إلى النبيّ (ص) في المرض الذي قبض فيه فانكبت عليه فاطمة وألصقت صدرها بصدره وجعلت تبكي ، فقال لها : النبيّ (ص) : يا فاطمة لا تبكي عليّ ولا تلطمي ولا تخمشي عليّ خدّاً ولا تجزّي عليّ شعراً ، ولا تدعي بالويل والثبور ، وتعزّي بعزاء الله . ثمّ بكى وقال : اللّهم أنت خليفتي في أهل بيتي ، اللّهم هؤلاء وديعتي عندك وعند المؤمنين .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٤

(٢) بحار ج ٢٢ ص ٤٧٠ ، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢١٩ ، إرشاد المفيد ص ٨٨ طبقات ابن سعد ج ٢ القسم ٢ ص ٣٩ ـ ٤٠ صحيح مسلم ج ٤ ص ١٠٩٥ .

بوح الأسرار :

عن موسىٰ بن جعفر عن أبيه (ع) : لمّا كانت الليلة التي قبض النبيّ في صبيحتها ، دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين (ع) وأغلق عليه وعليهم الباب وقال : يا فاطمة ، وأدناها منه فناجاها من الليل طويلاً ، فلمّا طال ذلك خرج عليّ ومعه الحسن والحسين وأقاموا بالباب والناس خلف الباب ، ونساء النبيّ ينظرن إلىٰ عليّ (ع) ومعه ابناه .

فقالت عائشة : لأمر مّا أخرجك منه رسول الله وخلا بابنته عنك في هذه الساعة ؟

فقال لها عليّ (ع) : قد عرفت الذي خلا بها وأرادها له ، وهو بعض ما كنتِ فيه وأبوك وصاحباه ـ ممّا قد سمّاه ـ .

فوجمت أن تردّ عليه كلمة .

قال عليّ : فما لبثت أن نادتني فاطمة (ع) فدخلت علىٰ النبيّ (ص) وهو يجود بنفسه ، فقال لي : ما يبكيك يا عليّ ؟ ليس هذا أوان بكاء فقد حان الفراق بيني وبينك ، فاستودعك الله يا أخي ، فقد اختار لي ربّي ما عنده ، وإنّما بكائي وغمّي وحزني عليك وعلىٰ هذه أن تضيع بعدي ، فقد أجمع القوم على ظلمكم ، وقد استودعتكم الله وقبلكم مني وديعة ، إنّي قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء ، وأمرتها أن تلقيها إليك فنفّذها ، فهي الصادقة الصدوقة .

ثمّ ضمّها إليه وقبّل رأسها وقال : فداك أبوك يا فاطمة . فعلا صوتها بالبكاء ، ثم ضمّها إليه وقال : أما والله لينتقمنّ الله ربّي ، وليغضبن لغضبك ، فالويل ثم الويل للظالمين . ثم بكىٰ رسول الله (ص) .

قال عليّ (ع) : فوالله لقد حسبت قطعة مني ذهبت لبكائه ، حتىٰ هملت عيناه مثل المطر ، حتىٰ بلّت دموعه لحيته وملاءة كانت عليه ، وهو يلتزم فاطمة لا يفارقها ، ورأسه علىٰ صدري وأنا مسنده ، والحسن والحسين يقبّلان قدميه ويبكيان بأعلى أصواتهما .

قال عليّ : فلو قلت إن جبرئيل في البيت ، لصدقت ، لأنّي كنت أسمع بكاء ونغمة لا أعرفها ، وكنت أعلم أنّها أصوات الملائكة لا شكّ فيها ، لأنّ جبرئيل لم يكن في مثل تلك الليلة يفارق النبيّ (ص) .

ولقد رأيت بكاء منها أحسب أن السماوات والأرضين بكت لها .

ثمّ قال لها : يا بنيّة ، الله خليفتي عليكم وهو خير خليفة ، والذي بعثني بالحق لقد بكى لبكائك عرش الله وما حوله من الملائكة ، والسماوات والأرضون وما فيهما ، يا فاطمة ، والذي بعثني بالحق ، لقد حرمت الجنة على الخلائق حتى أدخلها ، وإنّك لأول خلق الله يدخلها بعدي ، كاسية حالية ناعمة ، يا فاطمة هنيئاً لك . والذي بعثني بالحق ، إنّ جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلاّ صعق ، فينادى إليها أن : يا جهنم ، يقول لك الجبّار : اسكني بعزّي ، واستقرّي ، حتى تجوز فاطمة بنت محمد (ص) إلى الجنان لا يغشاها قتر ولا ذلّة . والذي بعثني بالحق ليدخلنّ حسن وحسين : حسن عن يمينك ، وحسين عن يسارك ، ولتشرفنّ من أعلى الجنان بين يدي الله في المقام الشريف ، ولواء الحمد مع علي بن أبي طالب (ع) .

والذي بعثني بالحق ، لأقومن بخصومة أعدائك ، وليندمنّ قوم أخذوا حقّك وقطعوا مودّتك وكذبوا عليّ ، وليختلجن دوني ، فأقول : أمتي ، أمتي ، فيقال : إنّهم بدّلوا بعدك وصاروا إلى السعير[1] .

فاطمة بعد أبيها :

رأس الرسول (ص) في حجر علي (ع) ، والحسن والحسين وأمّهما ينظرون في وجه رسول الله (ص) ويذرفون الدموع . وفجأة أغمض الرسول (ص) عينيه ، وسكنت أنفاسه الطاهرة ، وحلّقت روحه الشريفة إلى الحياة الأبدية السرمدية عند مليك مقتدر . فانهالت هموم الدنيا ومصائب

---

(١) البحار ج ٢٢ ص ٤٩٠

الدهر على بضعة النبي (ص) الصدّيقة فاطمة (ع) التي قضت عمرها بالآلام والهموم والغصص . وكلّ ما كانت تجد فيه الأمل والراحة هو وجود أبيها وظلاله الوارفة ، وقد انهار صرح الآمال بعد هذا الحادث المدّ الجلل .

وعلى حين غفلة ـ والزهراء (ع) غرقى في الأحزان لفقد الرسول الأعظم (ص) ، وعلي (ع) مشغول بتجهيزه ـ فإذا بالخبر أنّ جماعة من المسلمين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لإختيار خليفة رسول الله (ص) !!

ولم تنقضي ساعة حتى جاء الخبر ثانية : إنّهم انتخبوا أبا بكر خليفة على المسلمين !!

هزّ الخبر فاطمة وعليّاً ـ عليهما السلام ـ ، وهم في غمرة الغموم والغصص والبكاء على رسول الله (ص) . .

سبحان الله . . ما عدا مما بدا . . أليس الخليفة هو علي بن أبي طالب بنصّ رسول الله (ص) ؟ ! كم مرة أوصى به منذ اليوم الأول حين دعا فيه عشيرته ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ إلى ساعة وفاته (ص) ؟ !! . .

ألم ينصبه خليفة للمسلمين في غدير خم قبل شهور فقط من وفاته ؟ !

وهل ينكر أحد جهاد عليّ وتضحياته وسابقته في الإسلام ، وعلمه وهو الذي غذاه النبيّ (ص) بعلوم النبوّة منذ نعومة أظفاره ليكمل المسير إلى أهدافه المقدّسة بعده ؟ !

الإسلام بحاجة إلى قائد معصوم ، لا يزلّ عن جادة الصواب ، ولا ينحرف يميناً وشمالاً .

آه . . ها قد وقع المسلمون في منزلق خطير وغلط يجرّ إلى الهاوية . .

ربّاه . . كم تحمّل النبيّ (ص) ، وضحّى عليّ (ع) من أجل الإسلام في أحلك الظروف وأخطر المواقف ، وكم مرّة اقتحم عليّ فم الموت وخاطر بحياته . .

ربّاه . . كما كابدتُ جوعاً وحرماناً ، وهاجرتُ من الأرض والوطن ، كلّ ذلك في سبيلك ، ومن أجل رفع راية الحق ونشر معالم التوحيد ، والدفاع عن المظلومين ، ومقارعة الظلم والجور والظالمين .

يـا لله . . ولهؤلاء . . هـلاّ يعلمـون أنّ عليـاً ربيب الـوحي والنبـوة المعصـوم ، الـذي استقىٰ الإسـلام من محمـد (ص) ، لـو أصبح قـائـداً للمسلمين لسـاق المجتمع الإسـلامي الفتيّ إلى السعـادة والـرفـاه ، ولقـادهم أحكم وأقوم قيادة ، ولحملهم على المحجّة البيضاء .

نعم . . لعلّ هذه الخواطر كانت تجيش في خلد فاطمة (ع) وتلّح علىٰ ذهنها ، وتحاول اختطاف الصبر منها (ع) .

ثلاثة أشهر من المواجهة :

لا نـودّ الدخـول في سرد قصـة السقيفة وانتخـاب أبي بكر ، لأنّهـا قصة طويلة ذات شجون ، تجرّنا خارج موضوع هذا الكتاب .

وخـلاصتهـا : لمّـا انتهىٰ علي وفـاطمـة (ع) من تجهيـز النبيّ (ص) ودفنه ، واجها قضية تمّ نسجها وأحبِك أمرها ، وانتهىٰ كل شيء فيهـا ، حيث بويع أبو بكر ونصب للخلافة .

وكان الإمام (ع) أمام خيارات ثلاثة :

الأول : أن يقدم علىٰ حركة حدّية ثورية ، ويعلن الحرب علىٰ أبي بكـر رسميّاً ، ويدعو الناس إليها ، ويدفعهم نحوها .

وهذا غير ممكن ، لأنّه يعني إقحام المجتمـع الإسلامي في معـركة غيـر محمـودة العواقب ، تؤدّي إلىٰ انتفـاع الإنتهازيين والـوصوليين من الفـرصـة ، واستحـواذ أعداء الإسـلام وقوّة شـوكتهم ، وهم يتربّصـون الدوائـر بـالإسـلام والمسلمين ، وبالنتيجة اقتلاح جذور الإسلام الفتيّ .

الثاني : أن يحافظ على وجوده ومنافعه الشخصية ومصالحه المستقبليـة ـ

بعد أن انتهى كلّ شيء ـ فبايع ـ دون ممانعة ـ أبا بكر ، وعندئذٍ تبقى مصالحه الشخصية في أمان ، وينال المكانة والتكريم والإحترام لدى الجهاز الحاكم .

وهذا غير ممكن أيضاً ، لأنّه يعني إمضاءه (ع) لبيعة أبي بكر وولايته ولعمل المسلمين أيضاً ، مما يؤدّي إلى إنحراف الخلافة والولاية والإمامة عن مسارها الأصلي ومعناها الحقيقي إلى الأبد ، وتبدد الجهود والتضحيات التي بذلها النبيّ (ص) والإمام عليّ (ع) من أجل إرساء قواعد الإسلام وتحكيم أصول الخلافة الشرعية .

هذا بالإضافة إلى أنّ ما سيفعله عمر وأبو بكر سيوضع في حساب الإسلام القويم ـ باعتبارهما ليسا معصومين وصدور الخطأ والذنب ومخالفة الشريعة منهما محتمل جدّاً .

الثالث : أن يسلك (ع) سبيلاً معتدلاً يحفظ بيضة الإسلام ويصون المسلمين ، وإن كانت ثماره تأتي متأخرة على المدى البعيد .

فعزم هو والزهراء (ع) على خوض معركة واسعة ـ يشتدّ أوارها ـ بهدوء وحكمة ، تؤمن سلامة الإسلام وعدم انهدام أركانه ، فكانت المواجهة على مراحل :

المرحلة الأولى :

أخذ علي وفاطمة بيدي الحسن والحسين (ع) وطافوا على بيوت المدينة ورجالها وأشرافها ، ودعوهم إلى نصرتهم وذكّروهم بوصايا النبيّ الأكرم (ص)[1] ، وفاطمة تقول :

أيّها الناس ، ألم ينصب أبي رسول الله (ص) علياً خليفة عليكم من بعده ؟ أنسيتم جهاده وتضحياته ؟ ! لو أطعتم ما أوصى به النبي ، وسلمتم زمام أموركم لعلي ، لهداكم إلى سواء الصراط ، وسار بكم على المحجة البيضاء ، وبلغ بكم غايات رسول الله (ص) .

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ .

أيّهـا النـاس . . ألم يقـل أبي رسـول الله (ص) : إنّي تـارك فيكم الثقلين ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعـدي أبداً ، كتـاب الله وعترتي أهـل بيتي ؟

أيّها الناس . . أتتركونا لوحدنا وتتقاعسون عن نصرتنا ؟ !

وهكـذا دأبوا علىٰ دعـوة الناس إلىٰ الحق ببيـانات شتّىٰ لعلّهم يـرشدون ويندمون ، وليعيدوا الخلافة إلىٰ أهلها وتعود الأمور إلىٰ نصابها .

وبالفعل استطاعوا أن يكسبوا من خلال هـذه الحملة الإعلاميـة الواسعـة جماعة وقعت تحت تأثير الحقيقـة ، فواعـدوهم النصرة ، ومـا وفىٰ بالـوعد إلاّ القليل .

فكانت ثمار هـذه المرحلة ـ التي أعلنـوا فيها مخـالفتهم للنظام الحـاكم ولشخص أبي بكر ـ ميل بعض القلوب نحو البضعة الـطاهرة وزوجهـا وانجلاء الحقيقة نسبياً للأمّة ، لا غير .

المرحلة الثانية :

رفض الإمـام عليّ (ع) البيعة لأبي بكـر ، وأعلن سخـطه علىٰ النـظام الحاكم ، ليتّضح للعالم أنّ هذه الحكومة التي أعرض عنها ـ الـرجل الأول في الإسلام بعد رسول الله (ص) ـ علي بن أبي طالب (ع) ـ لا تـوافق الخلافـة الإسلاميّة جذريّاً .

وكذلك فعلت فاطمة (ع) ليعلم الناس أنّ بنت نبيّهم لا ترضىٰ عن هذه الخلافة .

وبدأ الإمام (ع) جهـاداً سلبياً ضـد الغاصبين ، فـاشتغل بجمـع القرآن وتأليفه ، وأصبح جليس داره .

فقال عمر لأبي بكر : يا هذا ، إنّ الناس قد بايعوك ما خـلا هذا الـرجل وأهل بيته ، فابعث إليه ، فبعث إليـه قنفذاً ، فقـال له : يـا قنفذ ، انـطلق إلىٰ

عليّ فقل له : أجب خليفة رسول الله ، فبعثاه مراراً وأبىٰ علي (ع) أن يأتيهم ، فوثب عمر غضبان ونادىٰ خالد بن الوليد وقنفذاً فأمرهما أن يحملا حطباً وناراً ، ثم أقبل حتىٰ انتهىٰ إلىٰ باب علي وفاطمة (ع) ، وفاطمة قاعدة خلف الباب قد عصبت رأسها ونحل جسمها لوفاة رسول الله (ص) فأقبل عمر حتىٰ ضرب الباب ثم نادىٰ يا ابن أبي طالب ! افتح الباب ، فقالت فاطمة : يا عمر ما لنا ولك ، لا تدعنا وما نحن فيه !

قال : افتحي الباب ، وإلاّ أحرقنا عليكم[١] .

فقالت : يا عمر ، أما تتقي الله ؟ تدخل علىٰ بيتي وتهجم علىٰ داري .

فأبىٰ أن ينصرف . ثم دعا عمر بالنار[٢] فانفتح الباب وأراد عمر أن يدخل البيت . فاستقبلته فاطمة (ع) ووقفت أمامه بشجاعة واستبسلت[٣] وصاحت : يا أبتاه ! يا رسول الله ! لعلّها تحرّك في الناس ضمائرهم وتهيّج

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٦ و ج ٦ ص ٤٨ .

(٢) إثبات الوصية ص ١١٠ البحار ج ٤٣ ص ١٩٧ الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ .

(٣) البحار ج ٤٣ ص ١٩٧ . اتفقت المصادر الشيعية والسنية على أنّ أزلام أبي بكر هجموا علىٰ دار الزهراء (ع) ، ودعا عمر بالحطب ليحرق عليها الدار ، فقيل له : إنّ في الدار فاطمة ، فقال : وإن .

ذكر ذلك أبو الفداء ، وابن أبي الحديد ، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ، والبلاذي في أنساب الأشراف واليعقوبي ، وغيرهم .

وقد أظهر أبو بكر نفسه ندمه ـ حين الوفاة ـ من هذا الهجوم .

قال ابن أبي الحديد في ج ١٤ ص ١٩٢ : إنّ زينب بنت رسول الله (ص) تجهّزت للحوق بأبيها ، وخرجت علىٰ بعير وهي في الهودج ، فخرج في طلبها هبّار بن الأسود فروّعها بالرمح ـ وهي في الهودج ـ وكانت حاملاً ، فلمّا رجعت طرحت ما في بطنها ، فلذلك أباح رسول الله (ص) يوم فتح مكة دم هبّار بن الأسود .

قلت ـ والكلام لابن أبي الحديد ـ : وهذا الخبر أيضاً قرأته علىٰ النقيب أبي جعفر ـ فقال : إذا كان رسول الله (ص) أباح دم هبّار بن الأسود لأنّه روّع زينب فألقت ذا بطنها ، فظهر الحال أنّه لو كان حيّاً لأباح دم من روّع فاطمة حتّى ألقت ذا بطنها .

ولكنّ المصادر السنية سكتت عمّا وقع بعد تهديد فاطمة (ع) ، إلاّ أنّ المصادر الشيعية والروايات ذكرت أنّهم أحرقوا الباب ، وضربوا بنت رسول الله (ص) وأسقطوا جنينها .

ذكرياتهم ، إلّا أنّ الأوغاد ما رعوها ، كيف وقلوبهم كالحجارة بل أشدّ قسوة .

فرُفِع السيف وهو في غمده ووجأ به جنبها ، فصرخت ، فرُفِع بسوط وضُرِب عضدها حتى اسوّد عضدها[1] ثم دخلوا علىٰ عليّ (ع) فأخذوه . فمانعتهم فاطمة (ع) وحالت بينه وبينهم عند الباب ، فضربها قنفذ بالسوط[2] فألجأها إلى عضادة بيتها ودفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنيناً من بطنها[3] .

ثمّ أخذوا عليّاً إلى المسجد ، فهبّت الزهراء (ع) لنصرة الحق والدفاع عن ابن عمها ، وخرجت علىٰ أثره كسيرة الضلع منهكة الجسد ، شاحبة الوجه ، فلمّا انتهت إلى القبر قالت : خلّوا عن ابن عمّي ، فوالذي بعث محمداً بالحق لئن لم تخلوا عنه لأنشرنّ شعري ولأضعنّ قميص رسول الله (ص) علىٰ رأسي ولأصرخنّ إلى الله .

وكادت تقلب نظام الحكم يومئذٍ بدعائها واستغاثتها ، فلمّا أحسَّ عليّ (ع) بالخطر نادىٰ سلمان وقال له : أدرك بنت رسول الله (ص) واصرفها عن الدعاء . فجاءها سلمان وقال : يا سيّدتي ومولاتي ، إنّ الله تبارك وتعالىٰ بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة .

فقالت : يا سلمان ، دعني أنتقم من هؤلاء الظالمين .

قال : إنّ عليّاً أمرني أن أصرفك عن الدعاء .

قالت : الآن وقد أمر عليّ فسمعاً وطاعة ، أصبر .

وقيل : إنّ فاطمة أخذت بيد علي وعادا إلىٰ البيت[4] .

مواجهة قصيرة :

بالرغم من أنّ المعركة التي خاضتها فاطمة (ع) كانت لفترة قصيرة

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ١٩٧

(٢) البحار ج ٤٣ ص ١٩٨

(٣) البحار ج ٤٣ ص ١٩٨ .

(٤) البحار ج ٤٣ ص ٤٧ ، روضة الكافي ص ١٩٩ .

ووقعت في محيط محدود ، ولكن يجدر الإلتفات إلى عدّة أمور فيها :

الأول : أنّ الـزهراء (ع) هبت للدفـاع عن الوصيّ ووقفت وراء البـاب بصلابة متناهية حينما حاصروا البيت ليأخذوا علياً ولم تنهزم وتلوذ بزاوية البيت فراراً ـ كما هي عادة النساء ـ .

الثاني : أنّ الزهراء (ع) رفضت الفرار بعد أن اقتحموا الدار ، وأصرّت علىٰ الصمـود والمقاومـة والوقـوف بوجـوههم ، حتىٰ وجأوا صـدرها المقـدّس بغمد السيف ، وضربوها حتىٰ اسودّ عضدها المبارك .

الثالث : دخلت فاطمة (ع) الميدان من جديد ، عندما استخرجوا علياً وتعلّقت بـه ، وحالت بينهم وبينـه ، وما تـراجعت حتىٰ اسودّ بـدنها من سيـاط قنفذ .

الرابع : حينما أخرجوا علياً (ع) راحت الـزهراء (ع) تقـاتل في آخـر المواقع ، فلحقت بـه لعلّها تمنعهم عنـه ، وصمدت وقـاومت في موقعهـا هذا حتىٰ عصروها بين الحائط والباب ، وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها .

وبعـد كلّ هـذا انطلقت إلى المسجـد ـ فلعلّ مـا جرىٰ داخـل الدار لم يسمعه الناس ـ فصرخت واستغاثت بالله ورسوله علىٰ رؤوس الأشهاد . وحينما يئست منهم انصـرفت للدعاء عليهم لـولا أنّ الإمام (ع) أدركهـا فرجعت إلىٰ البيت .

نعم ، هكـذا وقفت فاطمـة (ع) ـ بكلّ مـا أوتيت من قوّة ـ للدفـاع عن عليّ (ع) ، وفكرت أن تدخل الميدان :

فـإن انتصرت منعتهم عن أخـذ البيعـة من علي (ع) ، ودافعت عنـه ، وأظهرت السخط علىٰ خلافة الشورىٰ .

وإن ضـربـوهـا وكسـروا ضلعهـا وأسقـطوا جنينهـا انفضحـوا وسقـطت أقنعتهم ، وفهم العـالم ـ عملياً ـ نتـائج الإنحـراف عن الخلافـة الحقّة . فمن أجل الإحتفاظ بالملك والسلطان ما تورّعوا عن كسر ضلع عزيـزة نبيّهم ، وقتل ابنها في بطن أمه . وبذلـك تنذر المسلمين ، وتقـدّم لهم أنموذجـاً واضحاً من

نتائج خلافة الشورى .

والزهراء (ع) خريجة مدرسة النبوة والإمامة ، درست التضحية والفداء والشجاعة في هذين البيتين ، فلا تخاف كسر الضلع ولا الضرب ، ولا تخشى سوى الله في مواقع الدفاع عن الحق والأهداف المقدّسة .

المرحلة الثالثة : فدك[1] :

فدك قرية تبعد عن المدينة عدّة فراسخ ، كانت فيها بساتين ومزارع لليهود ، فلما فرغ رسول الله (ص) من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك ، فبعثوا إلى رسول الله (ص) فصالحوه على النصف منها فقبل منهم ذلك . وكانت فدك لرسول الله (ص) خالصة[2] له ، لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب .

فكان (ص) يقسم منافعها في بني هاشم ، وفقراء المدينة ومساكينهم .

فلمّا نزلت الآية الشريفة ﴿ **وآت ذا القربى حقّه** ﴾[3] امتثل النبيّ (ص) أمر الله وأعطى فدكاً لفاطمة . وقد وردت في ذلك عدّة روايات :

عن أبي سعيد الخدري قال : لمّا نزلت ﴿ **وآت ذا القربى حقّه** ﴾ قال رسول الله (ص) : يا فاطمة لك فدك[4] . وفي رواية : فأعطاها فدكاً .

وعن علي بن أبي طالب (ع) قال : أقطع رسول الله (ص) فاطمة (ع) فدك .

وعن عطية قال : لما نزلت ﴿ **وآت ذا القربى حقّه** ﴾ دعا رسول الله (ص) فاطمة (ع) فأعطاها فدكاً[5] .

وكانت فدك ملكاً عظيماً ، وأرضاً واسعة ، وبساتين مثمرة يانعة ، تدرّ أرباحاً جمّة حتى قالوا : كان دخلها أربعة وعشرين ألف دينار ، وفي رواية :

---

(١) بحثنا مشكلة فدك ومنازعة الزهراء (ع) بشكل مفصّل في آخر الكتاب .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٠ .

(٣) سورة الاسراء آية ٢٦ .

(٤) و (٥) كشف الغمة ج ٢ ص ١٥٢ والدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج ٤ ص ١٧٧

سبعين ألف دينار[1] .

ونذكر لذلك شاهدين :

الأول : جواب أبي بكر للزهراء (ع) حينما طالبته بفدك حيث قال : « إنّ هذا المال لم يكن للنبيّ (ص) وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النبيّ (ص) به الرجال وينفقه في سبيل الله »[2] .

الثاني : لمّا ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان ، أقطع مروان بن الحكم ثلثها ، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها ـ وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها »[3] .

يستفاد من هذين الشاهدين أن ريع فدك كان كثيراً ، بحيث كان الرسول (ص) يحمل به الرجال وينفق منه في سبيل الله ، ويقسمها معاوية بين ابنه واثنين من أصحابه وخاصته .

لماذا منح النبي (ص) فدكاً لفاطمة (ع) ؟

لو راجعنا حياة الرسول (ص) وتأمّلنا فيها ، لعرفنا جيّداً أنّ النبي (ص) قد أعرض عن الدنيا وزخرفها ، وما استهوته الأموال يوماً ما ليجمعها ويكنز الذهب والفضّة ، ويستغل منصبه ومقامه كما فعل الآخرون !! وإنما أنفق كلّ ما يملك ، بل وكلّ ما كانت تملك خديجة (ع) من ثروة هائلة وأموال طائلة في سبيل رفع راية الحق ونشر كلمة التوحيد ، وعاش مع ابنته وصهره حياة الشظف ، واكتفوا من الدنيا بما يقيم الأود ، ولطالما شدّ (ص) حجر المجاعة علىٰ بطنه . . وهو الذي رفض أن يرىٰ ستراً من صوف علىٰ باب فاطمة ، وعقداً في جيدها وسوارين من فضّة في يدي ابنيه الحسنين .

إذن ، كيف وهب فدكاً لفاطمة ؟ !

لا بدّ من سبب وهدف من وراء ذلك ! .

قد يقال ـ في بيان ملاك ذلك ـ أنّ النبيّ مأمور بتنصيب علي لخلافته ،

---

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٣٥١ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٤ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٦ .

ويعلم أنّ الناس لا ينصاعون لهذا الأمر بسهولة ، وسيلوون رؤوسهم ويسلقونه بسيوفهم وألسنتهم . . لأنّ علياً قتل صناديد ـ العرب ـ وفرسانهم وذؤبانهم ، وأدخل الثكل في بيوتهم أيّام جاهليتهم ، فأوقرت قلوبهم أحقاد بدوية واحدية وخيبرية . .

فعليّ ـ إذن ـ بحاجة إلىٰ دعم ماليّ في أول خلافته ، تسير مشاريعه الأولية ، وإعلاء كلمة الحق ، واستمالة المؤلّفة قلوبهم .

ومن أين يهيّأ لعلي ذلك في بداية حكمه ؟

والنبيّ (ص) يعلم لو أنّ علياً أنفق على الفقراء والمساكين والمؤلّفة قلوبهم ، لمالت إليه القلوب وخفّ أوزار الحقد الدفين عليه ، فأعطىٰ فدكاً لفاطمة .

وقيل : إنّه (ص) أوقفها علىٰ بيت الولاية والإمامة (ولم يقطعها للزهراء (ع) خاصة) لتكون دعماً إضافياً لميزانية الخلافة المعصومة .

وكانت فدك بيد فاطمة (ع) في حياة رسول الله (ص) ، فكانت تأخذ منها قوتهم ، وتنفق الباقي على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله .

وعندما ولّي الخلافة أبو بكر بعث بوكيله إلىٰ فدك ، وأمره بإخراج وكيل فاطمة (ع) وجعل عليها عمّالاً من قبله[1] .

عوامل غصب فدك :

يمكن أن نذكر عاملين سهمين دفعا أبا بكر لغصب فدك :

العامل الأول : لو طالعنا التأريخ بإمعان لعرفنا جيّداً أنّ عائشة كانت تعاني من أمرين :

الأول : أنّ رسول الله (ص) كان يحبّ خديجة حبّاً جماً ، ويذكرها بخير كلّما سنحت الفرصة ، وهذا ما يثير الغيرة والحسد عند عائشة .

فعن عائشة قالت : استأذنت عليه (ص) يوماً هالة أخت خديجة ،

---

(١) تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٧٤ .

فارتاع لذلك وقال : اللّهم هالة بنت خويلد .

قالت : فغرتُ وقلت : وما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت في الدهر الأول ؟ ! فزجرني وقال : والله ما أخلف لي خيراً منها ، لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وأنفقتني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء[1] .

وعن عائشة قالت : ما غرت على إمرأة ما غرت على خديجة ، ـ ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين ـ لما كنت أسمعه يذكرها ، ولقد أمره ربّه أن يبشرّها ببيت من قصب في الجنة ، وإن كان ليذبح الشاة ثمّ يهديها إلىٰ خلائلها[2] .

وعن الصادق (ع) قال : دخل رسول الله (ص) منزله فإذا عائشة مقبلة علىٰ فاطمة تصايحها ، وهي تقول : والله يا بنية خديجة ما ترين إلّا أنّ لأمك علينا فضلاً ، وأيّ فضل كان لها علينا ؟ ما هي إلّا كبعضنا .

فسمع مقالتها لفاطمة ، فلّما رأت فاطمة رسول الله (ص) بكت .

قال : ما يبكيك يا بنية محمد (ص) ؟

قالت : ذكرت أمّي فتنقّصتها فبكيت .

فغضب رسول الله (ص) ثم قال : مه يا حميراء ، فإنّ الله تبارك وتعالىٰ بارك في الودود الولود ، وإنّ خديجة (رحمها الله) ولدت منّي طاهراً وهو عبدالله وهو المطهر وولدت مني القاسم ، وفاطمة ، ورقية ، وأم كلثوم ، وزينب ، وأنت أعقم الله رحمك فلم تلدي شيئاً[3] .

الثاني : كان النبيّ (ص) يحبّ فاطمة حبّاً لا مثيل له ، ويظهر حبّها ، وكان هذا يعذّب عائشة ويثير غيرتها ـ وعادة النساء أن يكرهن بنات الضرّة ـ

---

(١) تذكرة الخواص ص ٣٠٣ ـ مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٤ .

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٨٨ .

(٣) البحار ج ١٦ ص ٣ .

حتىٰ أنّها قالت لرسول الله (ص) حينما دخلت عليه وهو يقبّل فاطمة (ع) : أتقبّلها وهي ذات بعل ؟

فقال لها : أما والله لو علمت ودّي لها إذاً لازددت لها حبّاً ، ولما قلت هذا ـ فكان كلّما حدثها عن منزلة فاطمة غارت وثارت[1] .

وفي يوم دخل أبو بكر على رسول الله (ص) وعائشة تحدّثه وقد علا صوتها على النبيّ وهي تقول : إنّك تحبّ فاطمة وعلياً أكثر مني ومن أبي ، فقال أبو بكر : يا عائشة لا ترفعي صوتك فوق صوت النبيّ (ص)[2] .

أضف إلىٰ ذلك أنّ عائشة عقيم ، وقد جعل الله نسل نبيّه من فاطمة (ع) .

وعلىٰ هذا فإنّ الحسد والكدورة والغيض كان أمراً طبيعياً من عائشة ، وعلىٰ عادة النساء كانت إذا لقيت أباها ـ أبا بكر ـ شكت له فاطمة (ع) .

ومن هنا يمكن أن نحدس الحقد والحنق والحسد الذي كان يكتمه أبو بكر لفاطمة ، ويتربّص الدوائر ـ بها ـ لينتقم ويشفي غليله .

فلمّا توفيّ النبيّ (ص) أصبحت فاطمة (ع) تنادي : واسوء صباحاه ، فسمعها أبو بكر فقال لها : إنّ صباحك لصباح سوء[3] .

العامل الثاني : من الواضح لأبي بكر وعمر أنّ فضائل علي وكمالاته الذاتية ، وتضحيته وسابقته ، غير قابلة للإنكار ، وأنّ وصايا الرسول (ص) به وبأهل بيته شاعت وتناقلتها الركبان ، وأنّه صهر النبيّ وابن عمّه ، فلو استقامت له الأمور الماليّة والدعم الإقتصادي ، لاستجاب له الكثير من الناس ، فيكون خطراً محدقاً بالخلافة حين ذلك .

وقد نبّه عمر أبا بكر علىٰ ذلك وقال : الناس عبيد الدنيا ، فامنع علياً

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٥ .

(٢) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١١ .

(٣) الإرشاد للمفيد ص ١٠١ ط منشورات بصيرتي ـ قم .

عن خمس الغنائم ، وخذ منه فدكاً ، فإنّهم سيتفرقون عنه ويميلون إليك[1] .

نعم ، هذان العاملان ، وعوامل أخرىٰ دعت أبا بكر إلىٰ غصب فدك ، وطرد وكيل فاطمة (ع) عنها ، وجعل وكيله عليها .

ردّ فعل الزهراء (ع) :

عندما بلغ الخبر فاطمة (ع) أنّ عمالها طردوا من فدك ، حزنت وأصبحت في مواجهة مشكلة جديدة ، لأنّ الخلفيات والبواعث الكامنة وراء تحركات الجهاز الحاكم واضحة لدىٰ علي وفاطمة ـ عليهما السلام ـ ، فكان أمامها (ع) طريقان :

الأول : اختيار السكوت وغض النظر عن حقّها المشروع ، باعتبارها عازفة عن المال والدنيا وزخرفها ، وما فدك وغير فدك ؟ فليغصبوها .

بل وأكثر من ذلك ، ترفع مذكرة إلىٰ خليفة الإسلام المقتدر تقول فيها : أنت ولينا ، وهذه فدك نقدمها ـ بتواضع ـ بين يديك ، مع الشكر والثناء .

ولكن ليس بوسعها (ع) اختيار هذا الطريق ، لأنّها تعلم بما يجري خلف الكواليس ، فالغرض الأساسي هو قطع الشريان الإقتصادي للخليفة الحقيقي (علي بن أبي طالب) ليحدد نفوذه ويؤمن جانبه من أيّ حركة تستهدف الحكم ، وأخيراً : غصب فدك يعني أن توصد باب علي إلىٰ الأبد .

الطريق الثاني : أن تدافع عن حقّها ـ بما لها من قوّة ـ وتغتنم الفرصة ، فهذا خير مستمسك وأهمّ وثيقة تدين بها حكومة الشورىٰ وتفضحها أمام الملأ ، وتنشر الوعي في صفوف الجماهير المظللة .

ففكرت فاطمة (ع) أنّها إذا ما رزحت تحت الظلم وتخاذلت أمام الجور وسكتت عن حقّها ، ستقوىٰ شوكة الخليفة ، ويعتاد على الظلم والجور وسحق حقوق الآخرين .

---

(١) ناسخ التواريخ جزء الزهراء ص ١٢٢ .

فكرت . . أنّها لو سكتت عن الحقّ ، ولم تدافع عنه ، لتوهّم الناس أنّ السكوت عن الحقّ والإستسلام للظلم والجور حَسَنٌ .

فكرت . . أنّها لو تخاذلت عن حقّها المشروع وغضت الطرف عنه ـ وهي بنت رسول الله (ص) ـ لصار سنّة ، وتوهّم المسلمون أنّ المرأة محرومة من الحقوق الإجتماعية ، وليس لها الدفاع عن حقوقها .

فكرت . . أنّها لو تثاقلت عن إحقاق حقّها وأظهرت العجز ـ وهي ربيبة بيت النبوة والولاية ومثال المرأة في الإسلام وقدوة العاملين ـ لتزلزلت مكانة المرأة في الإسلام ، وبقي مقامها مجهولاً ، وتغبشت رؤية المسلمين للمرأة ، وظنوا بها عيّاً وعورة وعضواً مشلولاً لا ينفع ولا قيمة له في المجتمع .

نعم . . هذه الأفكار الرفيعة المتألقة ونظائرها منعت الزهراء (ع) عن انتخاب الطريق الأول ، وسلكت طريق المقاومة والوقوف ـ بكلّ الإمكانات ـ بوجه الظلم لإسترداد الحقّ السليب .

ومن الطبيعي أنّ مواجهة من هذا القبيل لا تكون سهلة يسيرة ، فمواجهة حكم أبي بكر كانت غاية في الخطورة ، خصوصاً لفاطمة (ع) وقد ثقل المرض عليها وأسقط جنينها وكسر ضلعها واسود متنها من الضرب قبل أيّام في حوادث أخذ البيعة من علي (ع) . فالمفروض أن يداخلها الرعب والخوف من جهاز الحكم إلىٰ الأبد .

ولكن هيهات ، هيهات ، ففاطمة ورثت التضحية والشجاعة والصبر والإستقامة من أمها خديجة وأبيها محمد (ص) .

وعاشت في بيت بطل الإسلام وسيف الله وأشجع المقاتلين ، رجل القوة والتضيحة والفداء ، وغسلت ـ مئات المرات ـ ثياب زوجها من دماء الكفار والمشركين ، وضمدت جراحات بدنه (ع) . ومثل هذه لا ترعبها الحوادث الجزئية الطارئة ، ولا يخيفها جهاز أبي بكر الحاكم .

فتقدمت ببسالة للمواجهة في مراحل : ـ

احتجاج

لما بويع أبو بكر واستقام له الأمر بعث إلىٰ فدك من أخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله (ص) منها ، فجاءت فاطمة (ع) إلىٰ أبي بكر ثمّ قالت : لم تمنعني ميراثي من أبي رسول الله (ص) ؟ وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله (ص) بأمر الله تعالىٰ ؟

فقال : إن شاء الله إنّك لا تقولين إلاّ حقاً ولكن هاتي علىٰ ذلك بشهود .

فجاءت بأمّ أيمن ، فقالت له أمّ أيمن : لا أشهد ـ يا أبا بكر ـ حتىٰ أحتج عليك بما قال رسول الله (ص) ، أنشدك بالله ألست تعلم أنّ رسول الله (ص) قال : « أمّ أيمن إمرأة من أهل الجنّة » ؟

فقال : بلىٰ .

قالت : « فأشهد أنّ الله عزّ وجلّ أوصى إلىٰ رسول الله (ص) : ﴿ وآت ذا القربىٰ حقّه ﴾ فجعل فدكاً لها طعمة بأمر الله .

فجاء عليّ (ع) فشهد بمثل ذلك .

فكتب لها كتاباً ودفعه إليها .

فدخل عمر فقال : ما هذا الكتاب ؟ فقال : إنّ فاطمة (ع) ادعت في فدك وشهدت لها أم أيمن وعليّ (ع) ، فكتبته لها ، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ومزّقه ، فخرجت فاطمة (ع) تبكي .

فلمّا كان بعد ذلك جاء عليّ (ع) إلى أبي بكر وهو في المسجد فقال : يا أبا بكر ، لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله (ص) ؟ وقد ملكته في حياة رسول الله (ص) ؟

فقال أبو بكر : هذا فيء المسلمين ، فإن أقامت شهوداً أنّ رسول الله (ص) جعله لها ، وإلاّ فلا حق لها فيه .

فقال أمير المؤمنين (ع) : يا أبا بكر ، تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين .

قال : لا

قال : فإن كان في يد المسلمين شيء يملكـونه ، ثمّ ادعيت أنـا فيه من تسأل البينة ؟

قال : إيّاك أسأل البيّنة .

قال : فما بال فاطمة سألتها البيّنة على ما في يدها ؟ وقد ملكته في حياة رسول الله (ص) وبعده ، ولم تسأل المسلمين بيّنة علىٰ ما ادعوا شهوداً ، كما سألتني علىٰ ما ادعيت عليهم ؟

فسكت أبو بكر .

فقال عمر : يا علي ، دعنا من كـلامك ، فـإنّا لا نقـوىٰ علىٰ حجّتك ، فـإن أتيت بشهـود عـدول ، وإلاّ فهـو فيء للمسلمين لا حقّ لـك ولا لفـاطمــة فيه[1] .

والإنصاف في هذه المحاكمة أنّ الحق مع فاطمـة (ع) ، لأنّها صـاحبة اليد في فدك ، لذا قال علي (ع) في نهـج البلاغـة : « بلىٰ كانت في أيـدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قـوم آخرين ، ونعم الحكم الله »[2] .

وعلىٰ أبي بكـر ـ الطرف الآخـر للدعوىٰ أي المـدعي ـ إقـامـة البيّنـة ، ولكن أبا بكر ركل هذا الحكم البديهي بقدميه ولم يقض به .

مع هذا خرجت الزهراء (ع) ظافرة منتصرة من هذه المرحلة ، بمنطقها السليم واحتجاجها القويم وأدلّتها المحكمة ، التي اضطرت أبا بكر لـلإعتراف بحقها وكتب صحيفة لها بذلك ، إلاّ أنّ عمر دخل الميدان بمنـطق القوّة فـأخذ الكتاب ومزّقهُ واختلق قصة نقصان البيّنة .

---

(١) الإحتجـاج للطبـرسي ج ١ ص ١٢١ ط النجف سنـة ١٣٨٦ هـ ـ وكشف الغمـة ج ٢ ص ١٠٤ وشرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٧٤ .

(٢) نهج البلاغة ج ٣ كتاب ٤٥ .

احتجاج آخر :

عن أبي جعفر (ع) قال : قال عليّ لفاطمة (ع) : انطلقي فاطلبي ميراثك من أبيك رسول الله (ص) . فجاءت إلىٰ أبي بكر فقالت : اعطني ميراثي من أبي رسول الله (ص) .

فقال : النبيّ (ص) لا يورث .

فقالت : ألم يرث سليمان داود[1] ؟

فغضب وقال : النبيّ لا يورث .

فقالت (ع) : ألم يقل زكريا ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾[2] ؟

فقال : النبي (ص) لا يورث .

فقالت (ع) : ألم يقل : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الانثيين** ﴾[3] .

فلم يجد أبو بكر جواباً لمنطق الزهراء (ع) وحجّتها فقال : النبيّ لا يورث .

ولكن يبرّر عمله غير المشروع هذا أسند حديثاً للنبيّ (ص) أنّه قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث .

وشهدت عليه حفصة وعائشة .

ولكن الزهراء (ع) أفحمت أبا بكر .

ولاحظنا مما مرّ أنّ الزهراء انتصرت ، وبرهنت له أنّ الحديث الذي وضعه علىٰ الرسول (ص) يخالف نصّ القرآن ، وما خالف نصّ القرآن يضرب به عرض الحائط ولا يعتنىٰ به ، فأدانته وأحرجته ، فلم يحر جواباً

---

(١) سورة النمل آية ١٦

(٢) سورة مريم آية ٦ .

(٣) سورة النساء آية ١١

سوىٰ ترديد كلامه السابق : إنّ النبيّ لا يورث[1] .

والجدير بالذكر أنّ عائشة نفسها التي أيّدت كلام أبيها وشهدت بصحة الحديث المجعول على رسول الله (ص) وطالبت عثمان ـ لمّا وليّ الأمر ـ بميراثها من رسول الله ، فقال : أليس جئتِ فشهدت أنت أنّ رسول الله (ص) قال : لا نورث . فأبطلت حق فاطمة وجئت تطلبينه ! لا أفعل[2] .

استيضاح الخليفة :

انتصرت الزهراء (ع) في حوارها مع أبي بكر ، وأثبتت حقّها مستدّلة بالآيات القرآنية ، وجعلت الخصم عاجزاً عن ردّ منطقها الفيّاض .

فواعجباً . . تغصب الخلافة من بعلي ؟ ! ما لهم لا يذعنون لآيات الله ؟ . ويحكمون بخلاف ما أنزل الله ؟ .

لماذا أعطاني أبو بكر كتاباً ثم مزّقه عمر . .
ربّاه . . أيّ حكومة هذه . . ؟ وأيّ قضاء ؟
أهؤلاء يدعون حماية الدين والدفاع عن القرآن ؟
أنا لا أريد فدك ، ولا غير فدك ، ولكن هيهات أن أصبر على ظلم هؤلاء الحاكمين . .

لا أسكت عن الحق . . ولا بدّ من استجواب الخليفة على رؤوس الأشهاد ليعلم الناس أنّي علىٰ الحق المبين ، وأنّ الخليفة الذي نصبوه لا ينصاع لأمر الله ولا يعمل بكتابه وسنّة رسوله ، وإنّما يطيع هواه .

إذن لا بدّ من الإعلان . . فلأذهب إلى المسجد ، وألقي في الناس خطاباً .

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ١٠٤ .
(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ١٠٥ .

وسرىٰ الخبر في المدينة .. وشاع في الناس أنّ بقية رسول الله (ص) ـ التي تذكّر به ـ وبضعته وريحانته فاطمة تريد أن تخطب في الناس في مسجد رسول الله (ص) .

وهزّ الخبر أرجاء المدينة ـ كأعنف انفجار ـ ، وتقافزت علامات الإستفهام في الرؤوس .. ماذا ستقول ؟ وما هي ردود فعل الخليفة ـ حينئذٍ ـ ؟ فاحتشدوا في المسجد ليسمعوا الخطاب التاريخي .

خطبة الزهراء (ع) :

لما أجمع[١] أبو بكر وعمر علىٰ منع فاطمة (ع) فدكاً وبلغها ذلك ، لاثت خمارها[٢] علىٰ رأسها ، واشتملت بجلبابها[٣] ، وأقبلت في لمّة[٤] من حفدتها ونساء قومها ، تطأ ذيولها[٥] ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (ص)[٦] حتىٰ دخلت علىٰ أبي بكر وهو في حشد[٧] من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة[٨] .

فجلست ، ثم أنّت أنّة أجهش[٩] القوم لها بالبكاء ، فارتجّ المجلس ، ثم أمهلت هنيئة حتىٰ إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم ، افتتحت الكلام ، بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة علىٰ رسوله ، فعاد القوم في بكائهم ، فلما أمسكوا عادت في كلامها فقالت (ع) :

---

(١) أجمع : احكم النية والعزيمة .

(٢) اللوث الطي والجمع ، ولاث العمامة شدها وربطها ، ولاثت خمارها لفته ، والخمار ـ بالكسر ـ المقنعة ، سميت بذلك لأن الرأس يخمر بها أي يغطى .

(٣) الإشتمال بالشيء : جعله شاملاً ومحيطاً لنفسه ـ والجلباب : الرداء والإزار .

(٤) في لمّة : أي جماعة .

(٥) أي إن أثوابها كانت طويلة تستر قدميها فكانت تطأها عند المشي .

(٦) الخرم : الترك ، والنقص ، والعدول .

(٧) الحشد : الجماعة .

(٨) نيطت : علقت وناط الشيء : علقه ، والملاءة : الازار .

(٩) أجهش القوم : تهيئوا .

الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدّم من عموم نعم ابتدأها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام منن أولاها ، جمّ عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن الإدراك أبدها ، وندبهم لإستذادتها بالشكر لإتصالها، واستحمد إلىٰ الخلائق بإجزالها ، وثنى بالندب إلىٰ أمثالها .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الإخلاص تأويلها ، وضمن القلوب موصولها ، وأنار في التفكير معقولها ، الممتنع من الأبصار رؤيته ، ومن الألسن صفته ، ومن الأوهام كيفيته ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها ، كوّنها بقدرته ، وذرأها بمشيته ، من غير حاجة منه إلىٰ تكوينها ، ولا فائدة له في تصويرها ، إلاّ تثبيتاً لحكمته وتنبيهاً علىٰ طاعته ، وإظهاراً لقدرته ، تعبّداً لبريته وإعزازاً لدعوته ، ثمّ جعل الثواب علىٰ طاعته ووضع العقاب علىٰ معصيته ، ذيادة لعباده من نقمته وحياشته[1] لهم إلىٰ جنته .

وأشهد أنّ أبي محمد (ص) عبده ورسوله ، اختاره قبل أن أرسله ، وسمّاه قبل أن اجتباه ، واصطفاه قبل أن ابتعثه ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة ، علم من الله تعالى بمآلي الأمور ، وأحاط بحوادث الدهور ، ومعرفة بمواقع الأمور .

ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمة على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير حتمه ، فرأىٰ الأمم فرقاً في أديانها ، عكفاً علىٰ نيرانها، عابدة لأوثانها منكرة لله مع عرفانها ، فأنار الله بأبي محمد (ص) ظلمهم ، وكشف عن القلوب بهمها[2] ، وجلىٰ عن الأبصار غممها[3] ، وقام في الناس بالهداية ، فأنقذهم من الغواية ، وبصّرهم من العماية ، وهداهم إلىٰ الدين القويم ، ودعاهم إلىٰ

(١) حاش الابل : جمعها وساقها .

(٢) بهمها : أي مبهمها : وهي المشكلات من الأمور .

(٣) الغمم : جمع غمة : وهي المبهم والملتبس .

الطريق المستقيم ، ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار ، ورغبة وإيثار .

فمحمد (ص) من تعب هذه الدار في راحة ، قد خصّ بالملائكة الأبرار ، ورضوان الربّ الغفار ، ومجاورة الملك الجبّار ، صلّى الله علىٰ أبي نبيّه وأمينه ، وخيرته من الخلق وصفيّه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ثم التفت إلى أهل المجلس وقالت : أنتم ـ عباد الله ـ نصب أمره ونهيه ـ ، وحملة دينه ووحيه ، وأمناء الله على أنفسكم وبلغائه إلى الأمم ، زعيم حق له فيكم ، وعهد قدّمه إليكم ، وبقية استخلفها عليكم ، كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره ، منجلية ظواهره ، مغتبطة به أشياعه ، قائداً إلى الرضوان أتباعه ، مؤدّ إلىٰ النجاة استماعه ، به تنال حجج الله المنوّرة وعزائمه المفسّرة ، ومحارمه المحذرّة ، وبيّناته الجالية ، وبراهينه الكافية . وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه المكتوبة .

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق ، والصيام تثبيتاً للإخلاص ، والحج تشييداً للدين ، والعدل تنسيقاً للقلوب وطاعتنا نظاماً للملّة . وإمامتنا أماناً للفرقة ، والجهاد عزّاً للإسلام ، والصبر معونة علىٰ إستيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة ، وبرّ الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام منسئة في العمر[١] ، ومنماة للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس ، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة ، وترك السرقة إيجاباً للعفّة ، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية ، فاتقوا الله حقّ تقاته ، ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون ، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فإنّه إنّما يخشىٰ الله من عباده العلماء .

---

(١) منسأة في العمر : مؤخره .

ثمّ قالت : أيّها الناس ، اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمد (ص) أقول عوداً وبدواً ، ولا أقول ما أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل شططا[١] ، لقدجاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم[٢] حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فإن تعزوه[٣] وتعرفوه تجدوه أبي من دون نسائكم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم ، ولنعم المعزّى إليه (ص) ، فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة[٤] مائلاً عن مدرجة المشركين[٥] ، ضارباً ثبجهم[٦] ، آخذاً بأكظامهم[٧] داعياً إلىٰ سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة يجفّ الأصنام[٨] وينكث الهام ، حتىٰ انهزم الجمع وولّوا الدبر ، حتىٰ تفرىٰ الليل عن صبحه[٩] ، وأسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين ، وخرست شقاشق الشياطين[١٠] ، وطاح وشيظ النفاق[١١] ، وانحلت عقد الكفر والشقاق ، وفهتم بكلمة الإخلاص[١٢] ، في نفر من البيض الخماص[١٣] .

وكنتم علىٰ شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب[١٤] ، ونهزة

---

(١) الشطط : هو البعد عن الحق ومجاوزة الحد في كل شيء .
(٢) عنتم : أنكرتم وجحدتم .
(٣) تعزوه : تنسبوه .
(٤) صادعاً : الصدع هو الإظهار ، النذارة : الإنذار وهو الإعلام على وجه التخويف .
(٥) المدرجة : هي المذهب والمسلك .
(٦) ثبجهم : الثبج وسط الشيء ومعظمه .
(٧) أكظامهم : الكظم : مخرج النفس من الحلق .
(٨) يجف الأصنام : وفي بعض النسخ « يكسر الأصنام » وفي بعضها « يجذ » أي يكسر .
(٩) تفرى الليل عن صبحه : أي انشق حتى ظهر وجه الصباح .
(١٠) شقاشق الشياطين ، الشقاشق ـ جمع شقشقة بالكسر ـ وهي شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج .
(١١) طاح : هلك ، والوشيظ : السفلة والرذل من الناس .
(١٢) كلمة الإخلاص : كلمة التوحيد .
(١٣) البيض الخماص : المراد بهم أهل البيت (ع) .
(١٤) مذقة الشارب : شربته .

الطامع[١] ، وقبسة العجلان ، موطىء الأقدام[٢] ، تشربون الطرق[٣] ، وتقتاتون القدّ[٤] ، أذلّة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالىٰ بمحمد (ص) بعد اللتيا والتي .

وبعد أن مني ببهم[٥] الرجال ، وذؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب ، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، أو نجم قرن الشيطان[٦] ، أو فغرت فاغرة من المشركين[٧] قذف أخاه في لهواتها[٨] ، فلا ينكفيء حتىٰ يطأ جناحها بأخمصه[٩] ، ويخمد لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله ، قريباً من رسول الله ، سيّداً في أولياء الله ، مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

وأنتم في رفاهية من العيش ، وادعون[١٠] فاكهون[١١] آمنون ، تتربّصون بنا الدوائر[١٢] ، وتتوكفون الأخبار[١٣] ، وتنكصون عند النزال ، وتفرّون من القتال .

فلمّا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ، ومأوىٰ أصفيائه ، ظهر فيكم حسكة

---

(١) نهزة الطامع : الفرصة أي محل نهزته .
(٢) قبسة العجلان : مثل في الاستعجال ، وموطيء الأقدام : مثل مشهور في المغلوبية والمذلة .
(٣) الطرق : ماء السماء الذي تبول به الإبل وتبعر .
(٤) القد : سير يقد من جلد غير مدبوغ .
(٥) بهم الرجال : شجعانهم .
(٦) نجم : ظهر ، وقرن الشيطان أمته وتابعوه .
(٧) فغر فاه : أي فتحه ، والفاغرة من المشركين الطائفة منهم .
(٨) قذف : رمىٰ ، واللهوات : جمع لهات : وهي اللحمة في أقصىٰ شفة الفم .
(٩) ينكفيء : يرجع ، والأخمص : مالا يصيب الأرض من باطن القدم .
(١٠) وادعون : ساكنون .
(١١) فاكهون : ناعمون .
(١٢) الدوائر : صروف الزمان ، أي كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا .
(١٣) تتوقعون أخبار المصائب والفتن النازلة بنا .

النفاق[١] ، وسمل جلباب الدين[٢] ، ونطق كاظم الغاوين[٣] ، ونبغ خامل الأقلّين[٤] ، وهدر فنيق المبطلين[٥] ، فخطر في عرصاتكم[٦] ، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم[٧] ، فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللعزّة فيه ملاحظين ، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحمشكم فألفاكم غضاباً[٨] ، فوسمتم غير إبلكم[٩] ، ووردتم غير مشربكم[١٠] .

هذا والعهد قريب ،والكلم رحيب[١١] ،والجرح لما يندمل[١٢] ، والرسول لما يقبر ، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ، ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين .

فهيهات منكم ، وكيف بكم ، وأنّىٰ تؤفكون ؟ ! وكتاب الله بين أظهركم ، أموره ظاهرة ، وأحكامه زاهرة ، وأعلامه باهرة ، وزواجره لائحة ، وأوامره واضحة ، وقد خلّفتموه وراء ظهوركم ، أرغبة عنه تريدون ، أم بغيره تحكمون ؟ ! بئس للظالمين بدلاً ، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .

---

(١) حسكة النفاق : عداوته .
(٢) وسمل جلباب الدين : سمل : صار خلقاً ، والجلباب : الإزار .
(٣) الكظوم : السكوت .
(٤) الخامل : من خفي ذكره وكان ساقطاً لا نباهة له .
(٥) الهدير : ترديد البعير صوته في حنجرته ، والفنيق : الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان .
(٦) خطر البعير بذنبه : إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه .
(٧) مغرزه : أي ما يختفي فيه تشبيهاً له بالقنفذ فإنه يطلع رأسه بعد زوال الخوف .
(٨) أي حملكم علىٰ الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه .
(٩) الوسم : أثر الكي .
(١٠) الورود : حضور الماء للشرب .
(١١) الكلم : الجرح ، الرحب : السعة .
(١٢) أي لم يصلح بعد .

ثمّ لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها[١] ، ويسلس قيادها[٢] ، ثمّ أخذتم تورون وقدتها[٣] ، وتهيجون جمرتها ، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي ، وإطفاء أنوار الدين الجلّي ، وإهمال سنن النبيّ (ص) الصفي ، تشربون حسواً في ارتغاء[٤] ، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء[٥] ، ويصير منكم على مثل حزّ المدىٰ[٦] ، ووخز السنان في الحشىٰ .

وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، أفلا تعلمون ؟ ! بلىٰ : قد تجلىٰ لكم كالشمس الضاحية أنّي ابنته .

أيّها المسلمون : أأغلب على إرثي ! يا ابن أبي قحافة ، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي ، لقد جئت شيئاً فريّاً ، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ، إذ يقول : ﴿ وورث سليمان داوود ﴾[٧] .

وقال في ما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال : ﴿ فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾[٨] .

وقال : ﴿ وأولي الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله ﴾[٩] .
وقال : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الانثيين ﴾[١٠] .

---

(١) نفرتها : نفرت الدابة : جزعت وتباعدت .
(٢) يسلس : يسهل .
(٣) أي لهبها .
(٤) الحسو : هو الشرب شيئاً فشيئاً ، والارتغاء : هو شرب الرغوة وهي اللبن المشوب بالماء وحسواً في ارتغاء : مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره .
(٥) الخمر ـ بالفتح ـ ما واراك من شجر وغيره ، والضراء الشجر الملتف بالوادي .
(٦) الحز : القطع ، المدى : السكاكين .
(٧) سورة النمل : آية ١٦
(٨) سورة مريم آية ٦
(٩) سورة الأنفال آية ٧٥ .
(١٠) سورة النساء آية ١١

وقال : ﴿ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقّاً على المتقين ﴾[1] .

وزعمتم أن لا حظوة لي[2] ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا ، أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها ؟ ! أم هل تقولون : إنّا أهل ملّتين لا يتوارثان ! أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة ؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي .

فدونكها مخطومة مرحولة[3] ، تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون .

ولا ينفعكم إذ تندمون ، ولكلّ نبأ مستقر ، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم .

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت : يا معشر النقيبة[4] ، وأعضاد الملّة ، وحضنة الإسلام ، ما هذه الغميزة[5] في حقي ، والسنة[6] عن ظلامتي ؟ أما كان رسول الله (ص) أبي يقول : « المرء يحفظ في ولده » ؟ سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا إهالة[7] ، ولكم طاقة بما أحاول ، وقوّة على ما أطلب وأزاول ، أتقولون مات محمد (ص) ؟ فخطب جليل ، استوسع وهنه[8] ، واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه ، وأظلمت الأرض لغيبته ، وكسفت

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٠

(٢) الحظوة : المكانة .

(٣) مخطومة : من الخطام - بالكسر - وهو كل ما يدخل في أنف البعير ليقاد به ، والرحل - بالفتح - : هو للناقة كالسرج للفرس .

(٤) النقيبة : الفتية .

(٥) الغميزة : ضعفة في العمل .

(٦) السنة : بالكسر النوم الخفيف .

(٧) اهالة : وسرعان ذا إهالة مثل يضرب لكينونة الشيء قبل وقته .

(٨) الوهن : الخرق ، واستنهر : اتسع .

الشمس والقمر ، وانتثرت النجوم لمصيبته ، وأكدت[1] الآمال ، وخشعت الجبال ، وأضيع الحريم ، وأزيلت الحرمة عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرىٰ ، والمصيبة العظمىٰ ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة[2] عاجلة ، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه ، في أفنيتكم ، وفي ممساكم ، ومصبحكم ، يهتف في أفنيتكم هتافاً ، وصراخاً ، وتلاوة ، وألحاناً ، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله ، حكم فصل وقضاء حتم : ﴿ **وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين** ﴾[3] .

إيهاً بني قيلة[4] ، أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأىً منّي ومسمع ، ومنتدى[5] ومجمع ، تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعدّة ، والأداة والقوّة ، وعندكم السلاح والجنّة[6] ، توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة التي انتخبت ، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت .

قاتلتم العرب ، وتحمّلتم الكدّ والتعب ، وناطحتم الأمم ، وكافحتم البهم ، لا نبرح[7] أو تبرحون نأمركم فتأتمرون ، حتىٰ إذا دارت بنا رحىٰ الإسلام ، ودرّ حلب الأيّام ، وخضعت ثغرة الشرك ، وسكنت فورة الإفك ، وخمدت نيران الكفر ، وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق[8] نظام الدين ، فأنّىٰ

---

(١) أكدت : قل خيرها .
(٢) بائقة : داهمة .
(٣) سورة آل عمران آية ١٤٤ .
(٤) بنو قيلة : قبيلتا الأنصار : الأوس والخزرج .
(٥) المنتدىٰ : المجلس .
(٦) الجنة : بالضم ـ ما استترت به من السلاح .
(٧) لا نبرح : لا نزال .
(٨) استوسق : اجتمع .

حزتم بعد البيـان ؟ وأسررتم بعـد الإعلان ؟ ونكصتم بعـد الإقدام ؟ وأشـركتم بعـد الإيمان ؟ بؤسـاً لقـوم نكثـوا إيمـانهم من بعـد عهـدهم وهمّـوا بـإخـراج الـرسـول ، وهم بـدؤكم أوّل مـرّة ، أتخشـوهم فـالله أحقّ أن تخشـوه إن كنتم مؤمنين .

ألا وقـد أرىٰ أن قـد أخلدتم إلىٰ الخفض[1] ، وأبعـدتم من هـو أحق بالبسط والقبض ، وخلوتم بالدعة[2] ، ونجـوتم بالضيق من السعـة ، فمججتم ما وعيتم ، ودسغتم الذي تسوغتم[3] ، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغنيّ حميد .

ألا وقد قلت هذا علىٰ معرفة منّي بـالجذلـة التي خامـرتكم[4] ، والغدرة التي استشعـرتهـا قلوبكم ، ولكنّهـا فيضـة النفس ، ونفثـة الغيض ، وخـور[5] القناة ، وبثة الصدر ، وتقدمة الحجّة .

فدونكموها فاحتقبـوها[6] ، دبـرة الظهـر ، نقبة الخفّ[7] بـاقية العـار ، موسومة بغضب الجبّار ، وشنـار الأبد ، مـوصولـة بنار الله المـوقدة التي تـطّلع علىٰ الأفئـدة ، فبعين الله مـا تفعلون ، وسيعلم الـذين ظـلمـوا أيّ منـقلب ينقلبـون ، وأنا ابنـة نذيـر لكم بين يدي عـذاب شديـد فاعملـوا إنّا عـاملون ، وانتظروا إنّا منتظرون[8] .

---

(١) أخلدتم : ملتم ، والخفض : السعة والخصب واللين .
(٢) الدعة : الراحة والسكون .
(٣) الدسغ : القيء ـ وتسوغ ـ الشراب : شربه بسهولة .
(٤) خامرتكم : خالطتكم ، الجذلة : ترك النصر .
(٥) الخور : الضعف ، والقناة : الرمح والمراد من ضعف القناة هنا ضعف النفس عن الصبر على الشدة .
(٦) فاحتقبوها : أي احملوها علىٰ ظهوركم ، ودبر البعير : اصابته الدبرة وهي جراحة تحدث من الرحل .
(٧) نقب خف البعير : رقّ وتثقب .
(٨) الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٣١ ـ ١٤١ ط النجف ـ ١٣٨٦ هـ .

ردّ فعل الخليفة :

أنهت الزهراء (ع) خطابها الناري ، الذي ألقته بشجاعة أمام الآلاف وبحضور أبي بكر ، واستجوبت الخليفة ، وفضحت مخططاته بالأدلّة والبراهين الساطعة المحكمة ، وذكرت فضائل الخليفة الحقيقي في الإسلام وكمالاته المطلوبة . فتوتر الجوّ وانساق الرأي العام لصالح الزهراء (ع) ، وجعلت أبا بكر في زاوية حرجة وطريق مسدود ، فإن انساق مع الرأي العام وأرجع فدكاً للزهراء (ع) فهو أمام محذورين :

الأول : أنّ فاطمة (ع) إذا ما انتصرت في هذه الجولة ، وصدقها الخليفة في هذه القضية ، فإنّها سوف تبدأ جولة جديدة تطالب فيها بالخلافة لزوجها .

يقول ابن أبي الحديد : سألت ابن الفارقي مدرّس المدرسة الغربية ببغداد ، وقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟

قال : نعم .

قلت : فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدكاً وهي عنده صادقة ؟

فتبسّم ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً قال : لو أعطاها اليوم فدكاً لمجرد دعواها ، لجاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يمكن الإعتذار والموافقة ، لأنّه يكون قد أسجل علىٰ نفسه أنّها صادقة ، فيما تدعي كائناً ما كان ، من غير حاجة إلىٰ بيّنة وشهود[1] .

الثاني : أنّ تصديقه لفاطمة يعني اعترافه بخطئه واشتباهه ، وبذلك يفتح باب الإعتراض عليه من قبل المسلمين مما يشكل خطراً على جهاز الخلافة الحاكم إبان حكمه .

ولكن أبا بكر لم يولِّ هارباً من الميدان بهذه السرعة ، فقد حسب

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٨٤ .

لهذه الأحداث حساباً ، وفكر من قبل وقدّر ، وهو يعلم أنّه لا يقوىٰ علىٰ حجة الـزهـراء (ع) . ولا يستـطيـع مقـابلتهـا بخشـونـة وقـوة مـا دام الـرأي العـام لصالحها . ويجب عليه أن يجيب علىٰ الأسئلة التي وجهتها له ليستميل الـرأي العـام ، ويخدّر الضمـائر ويمتصّ النقمـة . فالأفضـل لـه أن يستفيـد من نفس السلاح الذي استخدمه سابقاً في تضليل الناس ، والتظاهر بـالدفـاع عن حمىٰ الدين وأحكامه وسنّة الرسول (ص) ويقول : إنّه يعمل بما أنزله الله وهو بريء مما يرمىٰ به . وبتقمص لباس الدين يمكن أن يخدع الجمهور ، ويلبس الحق بالباطل ، ويدحض كلّ دعوىٰ حتىٰ لو كانت هي الدين نفسه .

جواب الخليفة :

لجأ أبو بكر إلىٰ أسلوب التضليل والإستغفال فقال :

يـا بنت رسول الله ، لقـد كان أبـوك بالمؤمنين عـطوفـاً كـريمـاً ، رؤوفـاً رحيماً ، وعلىٰ الكافرين عذاباً أليماً ، وعقاباً عظيماً ، إن عزوناه وجـدناه أبـاك دون النساء ، وأخا إلفك[(١)] دون الأخلاء ، آثره علىٰ كل حميم ، وسـاعده في كـل أمـر جسيم ، لا يحبكم إلا سعيـد ، ولا يبغضكم إلا شقي بعيـد ، فـأنتم عترة رسول الله الطيبون ، الخيرة المنتجبون ، علىٰ الخير أدلتنا ، وإلىٰ الجنـة مسالكنا ، وأنت يا خيرة النساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حقك ، ولا مصـدودة عن صدقـك ، والله ما عدوت رأي رسول الله ، ولا عملت إلا بإذنه ، والرائد لا يكـذب أهله ، وإني أشهـد الله وكفىٰ بـه شهيـداً ، أني سمعت رســول الله (ص) يقـول : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبـاً ولا فضة ولا داراً ولا عقـاراً وإنما نـورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة ، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمـه » وقد جعلنـا ما حـاولته في الكـراع والسـلاح يقـاتـل بهـا المسلمـون ويجاهدون الكفار ، ويجالدون المردة الفجار ، وذلك بإجماع من المسلمين ، لم أنفرد به وحدي ، ولم أستبد بما كان الرأي عندي وهذه حالي ومالي ، هي

(١) الإلف : هو الأليف بمعنى المألوف والمراد به هنا الزوج لأنه ألف الزوجة .

لك وبين يديك لا تزوىٰ عنك ولا ندخر دونك ، وإنك وأنت سيدة أُمة أبيك ، والشجرة الطيبة لبنيك ، لا ندفع مالك من فضلك ، ولا يوضع في فرعك وأصلك ، حكمك نافذ فيما ملكت يداي ، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك (ص)[1] .

جواب فاطمة (ع) :

فقالت (ع) : سبحان الله ، ما كان أبي رسول الله (ص) عن كتاب الله صادفاً[2] ، ولا لأحكامه مخالفاً ! بل كان يتبع أثره ويقفو سوره ، أفتجتمعون على الغدر اعتلالاً عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل[3] في حياته ، وهذا كتاب الله حكماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً ؛ يقول : ﴿ **يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾ ويقول : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾ وبيّن عزّ وجلّ فيما وزع من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظّ الذكران والإناث ، ما أزاح به علّة المبطلين ، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين ، كلّا بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً مغبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

فقال أبو بكر : صدق الله ورسوله ، وصدقت ابنته ، معدن الحكمة وموطن الهدىٰ والرحمة ، وركن الدين وعين الحجة ، لا أبعد صوابك ، ولا أنكر خطابك ، هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلّدوني ما تقلّدت ، وباتّفاق منهم أخذت ، غير مكابر ولا مستبدٍّ ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود[4] .

وهكذا استطاع أبو بكر إخماد العواطف ، وحرف الرأي العام نحوه ، من خلال التضليل والتظاهر بالصلاح .

---

(١) الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٤١ .

(٢) صادفاً : معرضاً .

(٣) الغوائل : المهالك .

(٤) الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٤٤

ردّ فعل الخليفة :

اضـطرب المجلس ، وتفـرّق النـاس ، وارتفعت الضجّـة ، وأصبحت خطبة الزهراء (ع) حديث الساعة ، فلجأ أبو بكر إلى التهديد والوعيد .

قالوا : لم ير باك وباكية كان أكثر من ذلك اليوم ، ارتجّت المدينة وهاج الناس وارتفعت الأصوات ، فلمّا بلغ ذلك أبا بكر قـال لعمر : تـربت يداك مـا كان عليك لـو تركتني ، فـربّما مـات الخرق ورتقت الفتق . ألم يكن ذلـك بنا أحقّ .

فقال الرجـل : قد كـان في ذلك تضعيف سلطانـك ، وتوهين كـافتك ، وما أشفقت إلاّ عليك .

قال : ويلك فكيف بابنة محمد ، وقـد علم الناس مـا تدعـو إليه ، ومـا نحن من الغدر عليه .

فقال : هل هي إلاّ غمرة انجلت ، وساعة انقضت، وكأنّ ما قد كان لم يكن .

مـا قد مضىٰ ممّـا مضىٰ كمـا مضىٰ   ومـا مضىٰ ممّـا مضىٰ قـد انقضىٰ

أقم الصلاة ، وآت الزكاة ، وأمر بـالمعروف ، وانـه عن المنكر ، ووفّـر الفيء ، وصل القرابة ، فإنّ الله يقول : إنّ الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكر للذاكرين . ذنب واحد في حسنات كثيرة . قلّدني ما يكون من ذلك ، فضرب بيده علىٰ كتف عمر وقال : ربّ كربة فرجتها يا عمر .

ثم نادىٰ الصلاة جامعة ، فاجتمع النـاس وصعد المنبـر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : ألا لو شئت أن أقولٰ لقلت ، ولـو تكلّمت لبحت ، وإنّي ساكت ما تركت ، يستعينون بالصبيـة ، ويستنهضون النسـاء ، وقد بلغني ـ يـا معاشـر الأنصار ـ مقالة سفهائكم ، فوالله إنّ أحقّ الناس بلزوم عهـد رسول الله (ص) لأنتم ، لقـد جـاءكم الـرسـول فـآويتم ونصـرتم ، وأنتم اليـوم أحقّ من لـزوم

عهده ، ومع ذلك فاغدوا على أعطياتكم فإنّي لست كاشفاً قناعاً ولا باسطاً ذراعاً ولا لساناً ، إلاّ على من استحق ذلك[1] ، والسلام .

تأييد أمّ سلمة :

أطلعت أمّ سلمة رأسها من بابها ، وقالت : ألمثل فاطمة يقال هذا ، وهي الحوراء بين الإنس والأنس للنفس ، ربّيت في حجور الأنبياء وتداولتها أيدي الملائكة ، ونمت في المغارس الطاهرات ، نشأت خير منشأ ، وربيت خير مربا ، أتزعمون أنّ رسول الله حرّم عليها ميراثه ولم يعلمها ، وقد قال الله له : وأنذر عشيرتك الأقربين ، أفأنذرها ؟ وجاءت تطلبه ، وهي خيرة النسوان ، وأمّ سادة الشبان ، وعديلة مريم ابنة عمران ، وحليلة ليث الأقران ، تمت بأبيها رسالات ربّه ، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحرّ والقرّ ، فيوسدها يمينه ويدثرها شماله ، رويداً فرسول الله بمرأىٰ لأعينكم ، وعلىٰ الله تردون فواهاً لكم وسوف تعلمون .

قال فحرمت أمّ سلمة تلك السنة عطاءها[2] .

المقاطعة :

استمرت الزهراء (ع) في جهادها واختارت الإعتصام عن الكلام مع أبي بكر هذه المرّة ، فأعلنت رسمياً أمام الملأ وقالت : والله لا أكلّمك بكلمة ما حييت[3] ، فما كلّمته حتىٰ ماتت .

ولم تكن فاطمة من سواد الناس ، بحيث لو قاطعت الخليفة لم تؤثر عليه ، ولم يكن الأمر غير ذي بال ، ففاطمة عزيزة رسول الله وحبيبته ، ولم يخف اهتمامه بها (ص) وحبّه لها علىٰ أحد ، وهي التي قال فيها

---

(١) دلائل الإمامة ص ٣٨ .

(٢) دلائل الإمامة ص ٣٩ .

(٣) كشف الغمة ج ٢ ص ١٠٣ . شرح ابن أبي الحديد ج ٦ ص ٤٦ .

رسول الله : فاطمة بضعة منّي ، من آذاها فقد آذاني[1] . وقال : اشتاقت الجنة إلى أربع من النساء ومنهن فاطمة بنت محمد[2] .

وقال : يا فاطمة ، إن الله ليغضب لغضبك ويرضىٰ لرضاك[3] .

نعم ، قاطعت ابنة الرسول وعزيزته وأقسمت أن لا تكلم أبا بكر ما حييت أمام الملأ .

فانتشر الخبر، رويداً رويداً : إنّ فاطمة بنت رسول الله ساخطة على أبي بكر ولم تكلّمه ، وسمع بذلك القاصي والداني من داخل المدينة وخارجها ، فتساءل الناس : لماذا أقسمت فاطمة علىٰ ذلك ؟ لعلّه غصبها حقّها في فدك ؟ فاطمة صدّيقة لا تكذب ، ولا تغضب إلاّ لله ، لأنّ النبيّ (ص) قال فيها : يغضب الله لغضبها .

وهكذا بدأت تعلو أمواج المشاعر ، ويزداد الناس نفوراً من الخليفة يوماً بعد يوم ، ويحاول جلاوزة النظام أن يعيدوا المياه إلى مجاريها ، ويصلحوا الخليفة وفاطمة . فلا يمكنهم تجاوز فاطمة وعدم الإهتمام بمقاطعتها ، إلاّ أنّ الزهراء (ع) استمرّت في جهادها السلبي ، وبقيت علىٰ الإستقامة والصمود .

فلمّا مرضت استأذن أبوبكر وعمر لعيادتها مراراً ، فلم تأذن ، إلىٰ أنّ ثقلت فسألا عنها ، قالا لعليّ (ع) : قد كان بيننا وبينها ما قد علمت ، فإن رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا ، قال : ذاك إليكما . فقاما فجلسا بالباب .

فدخل عليّ (ع) علىٰ فاطمة (ع) وقال لها : أيّتها الحرّة ، فلان وفلان بالباب ، يريدان أن يسلّما عليك ، فما تريدين ؟

قالت : البيت بيتك ، والحرّة زوجتك ، افعل ما تشاء !

فقال : شدّي قناعك، فشدّت قناعها وحوّلت وجهها إلىٰ الحائط .

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٠٣ .
(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٩٢ .
(٣) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٤ .

فدخلا وسلّما وقالا : ارضي عنّا رضي الله عنك

فقالت : ما دعا إلىٰ هذا ؟

فقالا : اعترفنا بالإساءة ، ورجونا أن تعفي عنّا .

فقالت : إن كنتما صادقين ، فأخبراني عمّا أسألكما عنه ، فإنّي لا أسألكما عن أمر إلاّ وأنا عارفة بأنّكما تعلمانه ، فإن صدقتما علمت أنّكما صادقان في مجيئكما .

قالا : سلي عمّا بدا لك .

قالت : نشدتكما بالله ، هل سمعتما رسول الله (ص) يقول : « فاطمة بضعة مني ، فمن آذاها فقد آذاني » ؟

قالا : نعم .

فرفعت يدها إلىٰ السماء فقالت : اللّهم إنّهما قد آذياني ، فأنا أشكوهما إليك وإلىٰ رسولك ، لا والله لا أرضىٰ عنكما أبداً حتىٰ ألقى أبي رسول الله (ص) وأخبره بما صنعتما ، فيكون هو الحاكم فيكما .

قال : فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور ، وجزع جزعاً شديداً .

فقال عمر : تجزع يا خليفة رسول الله (ص) من قول إمرأة[1] ؟

وقد يقول القاريء : إنّ أبا بكر أخطأ وأذنب وغصب حقّ الزهراء (ع) ولكنه جاء الآن نادماً تائباً ، فلماذا لا تقبل الزهراء (ع) عذره ؟

ولكن لا ينبغي للقاريء أن يغفل عن الموضوع الحقيقي للخلاف بينهم وبين فاطمة ، وهو قضيّة الخلافة وليست فدك ، والخلافة لا يمكن التغاضي والتنازل عنها ، وما فدك إلاّ ذريعة توسلت بها فاطمة للوصول إلى الهدف الأسمىٰ والرئيسي .

هذا بالإضافة إلىٰ أنّ الزهراء (ع) تعلم علم اليقين أنّهم ماندموا على

---

(١) بحار الأنوار جزء ٤٣ ص ١٩٨ .

ما فعلوا ، وإنّما أرادوا تضليل الناس ، ولـو كانـوا صادقين في تـوبتهم لسلكوا طريق العقلاء في ذلك ، ولأمر عماله علىٰ فـدك بالخـروج منها وإرجـاعها إلى فاطمة (ع) . ثمّ يأتي ليعتذر ويتوب .

الدفين ليلاً :

كان صمود الزهراء (ع) واستقامتها في الدفاع عن الحق ، والجهـاد في سبيل الهدف المقدّس ، مثلاً في القـوّة والثبات ، وثـابرت عليـه حتىٰ لحظات عمرها الأخيرة ، بل وسّعت ساحة المعركة إلىٰ ما بعد وفاتها ، وأجّجت أوارها بما لم يخمد لهيبه إلىٰ يوم القيامة .

وقد يتعجب القاريء الكريم ، ويقول كيف يمكن لشخص أن يستمر في جهاده إلىٰ ما بعد موته ؟

ولكن فـاطمة ربيبـة الوحي خـططت للمستقبل ، فـإذا جاءهـا الموت لا تنتهي مراحل جهادها ، ولا يخمد لهيب المعركة مع الظالمين ، فأوصت علياً أن لا يعلم ـ إذا ماتت ـ أبا بكر وعمر ولا يصليا عليها ، فعمل بوصيتها فدفنهـا ليلاً ، ولـم يعلمهما وسوّى حواليها أربعين قبراً كي لا يبيّن قبرهـا من غيره .

وبهـذا وجّهت الزهـراء (ع) ضربتهـا القاضيـة للخصم ؛ وبقي قبـرهـا ودفنها السرّي وثيقة دامغة حيّة لمظلوميتهـا ، وطغيان الجهـاز الحاكم إلىٰ أبـد الآبدين .

ومن الطبيعي جدّاً أن يسأل المسلمون عن قبر ابنة نبيّهم وعزيزتـه ، فإذا ما كان مجهولاً أثار فيهم السؤال مرّة أخرىٰ عن السبب ، فيأتي الجواب : إنّها أوصت بـذلك ـ أن تـدفن سرّاً ويعفىٰ ثـراهـا ـ وحينهـا ينحـلّ اللغـز وينكشف الأمر ، ويفهـم السائل أنّها كانت ساخـطة علىٰ الجهاز الحـاكم حينذاك ، وقـد دفنت في زمن يسوده الإرهاب والقمع .

ويعــود السؤال : كيف تكــون فــاطمــة (ع) بنت رســول الله (ص) وريحانته ، العالمة ، الفاضلة ، الكاملة ، ساخطة على الخلافة والخليفة ؟ !

لا يمكن ذلك ، إلاّ أن تكون الخلافة مزوّرة ، والخليفة ظالماً غاصباً غشوماً يعمل خلاف سنّة الله ورسوله (ص) .

النتيجة :

لم يستسلم أبو بكر لفاطمة (ع) ، وقاوم جهادها المستمرّ ، وأصرّ على عناده ، ولم يرجع إليها فدكاً .

وكذلك فاطمة (ع) لم تهن ولم تنكل ، فاستطاعت رفع القناع عن الجهاز الحاكم وكشف ظلمه وجوره ، وإثبات حقّها ومظلوميتها ، وعرف العالم كلّه ذلك ، فبقيت فدك شجىً في حلوق الظالمين ، والبركان الذي يهدّدهم بالإنفجار في كلّ حين ، والركن المهزوز بعنف في حكمهم ، والثغرة المفتوحة في أسوار جهازهم الحاكم ، وأكبر وسيلة إعلامية ضدّهم ؛ فكانوا إذا أرادوا كسب رضا العلويين أعادوها إليهم ، وإذا ما نقموا منهم سلبوها منهم .

فلمّا ولّي الأمر معاوية أقطع مروان بن الحكم ثلثها ، وأقطع عمر بن عثمان بن عفان ثلثها ، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها ، فلم يزالوا يتداولونها حتىٰ خلصت كلّها لمروان بن الحكم أيّام خلافته ، فوهبها لعبد العزيز ابنه ، فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز ، فلّما ولّي عمر بن عبد العزيز الخلافة ردّها إلىٰ الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وقيل : بل ردها إلىٰ علي بن الحسين (ع) .

وكانت بيد أولاد فاطمة (ع) مدّة ولاية عمر بن عبد العزيز .

فلمّا ولّي يزيد بن عاتكة قبضها منهم ، فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها حتىٰ انتقلت الخلافة عنهم .

فلّما ولّي أبو العباس السفاح ردّها علىٰ عبدالله بن الحسن بن الحسن .

ثمّ قبضها أبو جعفر لما غضب على ولد الحسن .

ثمّ ردّها المهدي ـ ابنه ـ على ولد فاطمة (ع) .

ثمّ قبضها موسىٰ بن المهدي وهارون أخوه ، فلم تزل في أيديهم .

حتىٰ ولّي المأمون فردّها علىٰ الفاطميين ، ففي ذات يوم جلس المأمون للمظالم فأوّل رقعة وقعت في يده نظر فيها وبكىٰ وقال للذي علىٰ رأسه : ناد أين وكيل فاطمة ، فقام شيخ فتقدّم فجعل يناظره في فدك والمأمون يحتج ، وهو يحتج على المأمون ، ثمّ أمر أن يسجل لهم بها ، فكتب السجل وقرىء فأنفذه .

فلم تزل في أيديهم حتىٰ كان في أيّام المتوكل فأقطعها عبدالله بن عمر البازيار ، وكان فيها إحدى عشر نخلة غرسها رسول الله بيده ، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر ، فيصلونهم ، فيصير لهم من ذلك مال جزيل جليل ، فصرم عبدالله بن عمر البازيار ذلك التمر ، ووجّه رجلا يقال له بشران بن أبي أمية الثقفي إلى المدينة فصرمه ثم عاد إلى البصرة ففلج[1] .

وعلىٰ أثر هذه المواقف المشرفة والصراع المقدّس ، اضطر عمر بالرغم من سياسته الخشنة أن يردّ بعض صدقات المدينة التي طالبت بها فاطمة (ع) .[2]

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٦ .

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ١٠٠

الفصل السادس

فاطمة "ع" على أعتاب الموت

لم تبق الزهراء (ع) بعد أبيها سوىٰ شهور معدودة قضتها بالبكاء والنحيب والأنين ، حتىٰ عدّت من البكّائين ، ولم تر ضاحكة قطّ[1] ، وكان لبكائها أسباب ودوافع كثيرة ، أهمّها انحراف المسلمين عن الطريق المستقيم ، وانزلاقهم في مهاوٍ تؤدّي إلىٰ الإختلاف والفرقة والتشتت والتعاسة لا محالة .

والزهراء (ع) عاشت التقدم الإسلامي السريع ، والزحف المقدّس أيّام أبيها (ص) ، فكان من المتوقع استمراره ليمحو الكفر والشرك في فترة قصيرة ، ويمحق الظلم والجور .

ولكن غصب الخلافة والأحداث التي تلتها هدّم صرح آمالها ، وأدخل الحزن على قلبها وروحها الشفيفة .

ففي ذات يوم دخلت أمّ سلمة علىٰ فاطمة (ع) فقالت لها : كيف أصبحت عن ليلتك ، يا بنت رسول الله (ص) ؟

قالت : أصبحت بين كمد وكرب ، فقد النبيّ (ص) وظلم الوصي (ع) ، هتك والله حجاب من أصبحت إمامته مقبضة علىٰ غير ما

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ القسم ٢ ص ٨٥ .

شرع الله في التنزيل ، وسنّها النبيّ (ص) في التأويل ، ولكنّهـا أحقاد بـدريّة وتراث أحديّة[1] .

وعن علي (ع) قال : غسلت النبيّ (ص) في قميصه ، فكانت فاطمـة تقول : أرني القميص ، فإذا شمّته غشي عليها ، فلّما رأيت ذلك غيّبته[2] .

وروى أنّه لمّا قبض النبيّ (ص) امتنع بلال من الأذان ـ قـال : لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله (ص) وإنّ فاطمة (ع) قالت ذات يـوم : إنّي أشتهي أن أسمع صوت مؤذّن أبّي (ص) بـلال ، فبلغ ذلك بـلالاً ، فأخـذ في الآذان ، فلّما قال : الله أكبر ، الله أكبر ، ذكرت أباهـا وأيّامـه فلم تتمالـك من البكاء ، فلّما بلغ إلىٰ قولـه : أشهد أنّ محمـداً رسول الله (ص) شهقت فـاطمة (ع) وسقطت لوجهها وغشي عليها . فقـال الناس لبـلال : امسك يـا بـلال ، فقـد فارقت ابنة رسول الله (ص) الدنيـا ؛ وظنّوا أنّهـا قد مـاتت ، فقطع أذانـه ولم يتمّه ، فأفاقت فاطمة (ع) وسألته أن يتّم الآذان فلم يفعل وقال لها : يـا سيّدة النسـوان ، إنّي أخشى عليك ممـا تنزلينـه بنفسـك إذا سمعت صـوتي بـالآذان فأعفته عن ذلك[3] .

هكذا أخذت فاطمة (ع) بالبكاء والعويل ليلهـا ونهارهـا ، ولا ترقـأ لها دمعة حتىٰ جزع لذلك جيرانها ، فاجتمع شيـوخ أهل المـدينة وأقبلوا إلىٰ أميـر المؤمنين (ع) فقالوا له : يا أبا الحسن ، إنّ فاطمة (ع) تبكي الليل والنهار ، فلا أحد منا يتهنّأ بالنوم في الليل علىٰ فرشنا ، ولا بالنهار لنا قرار علىٰ أشغالنا وطلب معايشنا ، وإنّا نخبرك أن تسألها إمّا أن تبكي ليلًا أو نهاراً .

فـأقبل أميـر المؤمنين (ع) حتىٰ دخل علىٰ فـاطمة (ع) . فقـال لهـا : يا بنت رسول الله (ص) إنّ شيوخ المدينة يسألونني أن أسألـك ، إمّا أن تبكي أباك ليلًا وإمّا نهاراً .

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ١٥٦ .

(٢) (٣) البحار ج ٤٣ ص ١٥٧ .

فقالت : يا أبا الحسن ، ما أقلّ مكثي بينهم ، وما أقـرب مغيبي من بين أظهرهم .

ثمّ إنّ أمير المؤمنين (ع) بنىٰ لها بيتاً في البقيع نـازحـاً عن المـدينـة يسمّىٰ بيت الأحـزان ، وكـانت إذا أصبحت قـدمت الحسن والحسين (ع) أمامها ، وخرجت إلىٰ البقيع باكية ، فلا تزال بين القبور باكية[١] .

عن أنس قـال : لمـا فـرغنـا من دفن النبيّ (ص) أتيت إلىٰ فـاطمـة (ع) فقـالت : كيف طـاوعـتكـم أنفسكـم علىٰ أن تـهيـلوا التـراب عـلىٰ وجـه رسول الله (ص) ثم بكت[٢] .

وعن محمود بن لبيد قال : مررت على قبور شهداء أحد ، وإذا بفاطمـة تبكي عند قبر حمزة (رض) ـ وكانت تأتي قبره بعـد وفاة أبيهـا ـ فصبرت حتىٰ هدأت ، فسلّمت وقلت : يا سيّدتي ، لقد قـطّع بكاؤك نيـاط قلبي ، فقالت : كيف لا أبكي وقـد فقدت أبي خيـر الآباء وأفضـل الأنبياء ؟ ! مـا أشـوقني إلى رسـول الله (ص) . فقلت : يا سيّـدتي ، أحبّ أن أسألـك مسألـة ؟ فقالت : سل فقلت : هل صرّح النبيّ (ص) بإمـامة عليّ (ع) في حيـاته ؟ فقـالت : عجبـاً ، أونسيتـم غديـر خم ؟ فقلت : أعرف يـوم الغـديـر ، ولكنّي أريـد أن أسمع ما قاله لكم في ذلـك ـ فقالت : والله لقـد سمعت النبيّ (ص) يقول : عليّ خليفتي من بعـدي وهو الإمـام والحسن والحسين ، إمامـان ، ويكون من صلب الحسين (ع) تسعة أئمة من تبعهم اهتـدىٰ ونجىٰ ، ومن خالفهم ضـلّ وهوىٰ[٣] .

علىٰ فراش المرض :

عن الصـادق (ع) كان سبب وفـاتها (ع) أنّ قنفـذاً مولىٰ عمـر لكزهـا

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ١٧٧

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ج ٥ ص ٥٢٤ ، طبقات ابن سعد ج ٢ القسم ٢ ص ٨٣ .

(٣) رياحين الشريعة ج ١ ص ٢٥ .

بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً ، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً[1] ، وكان عليّ (ع) يمرّضها بنفسه ، وتعينه علىٰ ذلك أسماء بنت عميس[2] .

وفي يوم دخلت نسوة من المهاجرين والأنصار علىٰ فاطمة بنت رسول الله (ص) يعدنها فقلن : السلام عليك يا بنت رسول الله (ص) كيف أصبحت ؟ فقالت : أصبحت والله عائفة لدنياكن قالية لرجالكن ، لفظتهم بعد إذ مججتهم وسئمتهم بعد أن سبرتهم ، فقبحاً لأفون الرأي ، وخطل القول ، وخور القناة ، ولبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، لا جرم والله لقد قلّدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها ، فجدعاً ورغماً للقوم الظالمين .

ويحهم أنّى زحزحوها عن أبي الحسن ، ما نقموا والله منه إلّا نكير سيفه ونكال وقعه ، وتنمّره في ذات الله ، وتاالله لو تكافّوا عليه عن زمام نبذه إليه رسول الله (ص) لإعتلقه ، ثمّ لسار بهم سيرة سجحاً ، فإنّه قواعد الرسالة ، ورواسي النبوة ، ومهبط الروّح الأمين والطبين بأمر الدين والدنيا والآخرة ، ألا ذلك هو الخسران المبين .

والله لا يلتكم خشاشه ، ولا يتعتع راكبه ، ولأوردهم منهلاً روّياً فضفاضاً تطفح ضفته ، ولأصدرهم بطاناً قد خثر بهم الرّي ، غير متحلّ بطائل إلّا تغمّر الناهل وردع سورة سغب ، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض ، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون .

فهلمّ فاسمع ، فما عشت أراك الدهر عجباً ، وإن تعجب بعد الحادث ، فما بالهم بأيّ سند استندوا ، أم بأيّ عروة تمسّكوا ، لبئس المولىٰ ولبئس العشير . وبئس للظالمين بدلاً ، استبدلوا الذنابى بالقوادم ، والحرون بالقاحم ، والعجز بالكاهل ، فتعساً لقوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ، ألا

---

(١) دلائل الإمامة ص ٤٥ ، البحار ج ٤٣ ص ١٧٠ .

(٢) البحار ج ٤٣ ص ٢١١ .

إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . أفمن يهدي إلىٰ الحقّ أحقّ أن يتّبع أم من لا يهدِّي إلاّ أن يهدىٰ فما لكم كيف تحكمون .

لقحت فنظرة ريثما تنتج ، ثمّ احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً ، وذعافاً ممضّاً ، هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف التالون غبّ ما أسس الأوّلون ، ثمّ طيبوا بعد ذلك بأنفسكم لفتنها ، ثم اطمأنّوا للفتنة جأشاً وابشروا بسيف صارم ، وهرج دائم شامل ، واستبداد من الظالمين .

يدع فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فيا حسرة لهم ، ولقد عميت عليهم الأنباء أنلزمكموها وأنتم لها كارهون[1] .

الهموم المتراكمة :

ليس المرض لوحده سبب آلام الزهراء (ع) ووجدها وحزنها ، وإنّما كانت الهموم تجتاحها من كلّ حدب وصوب ، فحينما كانت تمد جسدها النحيل المكدور علىٰ جلد الكبش وتتكيء على وسادة الليف ، تنساب الخواطر إلى رأسها الشريف ، وتهجم عليها الهواجس . . آه . . تركوا وصية أبي . . وغصبوا الخلافة من زوجي ؟ ! ولن تنتهي آثارها إلى يوم القيامة . . فبئس عاقبة الخلافة التي توسلت بالحيلة والجور . .

بماذا سار المسلمون وانتشرت كلمة الإسلام ؟ ! بوحدة الكلمة . ! ، والإتحاد بين فصائل المجتمع وصلوا إلىٰ العظمة والرقي . .

آه . . أذهبوا ريحهم . . وأوقعوا الخلاف بينهم ، وبدّلوا قوّة الإسلام الواحدة وطاقة المسلمين المهيبة إلىٰ قوىٰ وطاقات متناثرة ، . وجرّوا العالم الإسلامي إلىٰ العجز والضعف والفرقة والذلّة . . .

آه . . أنا فاطمة ـ عزيزة رسول الله (ص) ـ أرقد الآن على فراش المرض ؟ ! لم يخفت أنيني من ضربات هذه الأمة المبرحة . . وأقف علىٰ

---

(١) الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٤٧ ، البحار ج ٤٣ ص ١٦١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٣٣ ، بلاغات النساء ص ١٩ .

أعتاب الموت ؟ . . أين وصايا أبي رسول الله (ص) ؟ .

. . ربّاه . . أعليّ الشجاع القويّ أراه ـ اليوم ـ مضطرّاً إلىٰ السكوت عن حقّه المشروع لحفظ مصلحة الإسلام العليا ؟ . . .

اقتربت ساعتي . . وحان أجلي . . وها أنذا أودع الحياة في ربيع عمري وأيّام شبابي . . . وسأنجو من الهموم والغصص . .

ولكن . . ماذا عن أيتامي الذين سيبقون بعدي ؟ . أولادي . . . الحسن . . الحسين . . زينب . . أم كلثوم . .

آه . . يا للمصائب التي تصبّ عليهم ـ أيتامي الأعزّاء علىٰ قلبي ـ . . فإنّي سمعت أبي يقول ـ مراراً ـ : يموت ولدك الحسن مسموماً ، والحسين مقتولاً بالسيف شهيداً عطشاناً . . وهذه علامات ذلك وأماراته تلوح لي وأراها بعيني . . . كان (ص) يأخذ صغيري الحسين ـ مرّة ـ ويقبّل نحره ويبكي لمصيبته ، ويأخذ الحسن ـ أخرىٰ ـ ويلصق صدره بصدره ويقبّله في فمه ، ويذكر مصائب زينب ، وأمّ كلثوم فيبكي . . .

نعم . . كانت تمرّ هذه الخواطر في ذهن فاطمة (ع) وتؤلمها ، فتشحب يوماً بعد يوم ، وتنحل ساعة بعد ساعة ، وقد ورد في الأثر أنّ فاطمة لمّا حضرتها الوفاة بكت ، فقال لها أمير المؤمنين : يا سيّدتي ما يبكيك ؟ قالت : أبكي لما تلقى بعدي ، فقال لها : لا تبكي ، فوالله إنّ ذلك لصغير عندي في ذات الله[١] .

العيادة المبغوضة :

كان الصحابة رجالاً ونساءً يعودون فاطمة (ع) بين الحين والحين ، إلاّ عمر وأبا بكر لم يعوداها لأنّها قاطعتهم ورفضتهم ولم تأذن لهم بعيادتها ، وحينما ثقل عليها المرض وقاربتها الوفاة لم يجدا بدّاً من عيادتها لئلا تموت

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ٢١٨

بنت النبي (ص) ، وهي ساخطة عليهما ، وتبقى وصمة العار تلاحق الخليفة وجهازه الحاكم إلىٰ يوم القيامة .

فجاءا لعيادتها تحت ضغط الرأي العام ، فسألا عنها ، وقالا لأمير المؤمنين (ع) : قد كان بيننا وبينها ما قد علمت فإن رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا .

قال : ذاك إليكما . فقاما فجلسا بالباب .

ودخل عليّ (ع) علىٰ فاطمة (ع) فقال لها : أيّتها الحرّة ، فلان وفلان بالباب ، يريدان أن يسلّما عليك فما تريدين ؟

قالت : البيت بيتك ، والحرّة زوجتك ، افعل ما تشاء !

فقال : شدّي قناعك ، فشدّت قناعها ، وحوّلت وجهها إلىٰ الحائط .

فدخلا وسلّما وقالا : ارضي عنّا رضي الله عنك ، فقالت : ما دعا إلى هذا ؟

فقالا : اعترفنا بالإساءة ورجونا أن تعفي عنّا .

فقالت : إن كنتما صادقين فأخبراني عمّا أسألكما عنه ، فإنّي لا أسألكما عن أمر إلّا وأنا عارفة ، بأنّكما تعلمانه ، فإن صدقتماني علمت أنّكما صادقان في مجيئكما .

قالا : سلي عمّا بدا لك .

قالت : نشدتكما بالله ، هل سمعتما رسول الله (ص) يقول : « فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني » ؟

قالا : نعم .

فرفعت يدها إلىٰ السماء ، فقالت : اللّهم إنّهما قد آذياني ، فأنا أشكوهما إليك وإلىٰ رسولك ، لا والله لا أرضىٰ عنكما أبداً حتىٰ ألقىٰ أبي رسول الله (ص) ، وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما .

قال : فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور ، فقال عمر : تجزع يا خليفة رسول الله (ص) من قول إمرأة ؟[1] .

وصية فاطمة (ع) :

مرضت فاطمة (ع) مرضاً شديداً ، ومكثت أربعين ليلة في مرضها ، فلمّا نعيت إليها نفسها قالت لعليّ (ع) : يا بن عم ، إنّه قد نعيت إليّ نفسي ، وإنّني لا أرىٰ ما بي إلاّ أنّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة ، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي .

قال لها عليّ (ع) : أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله (ص) فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت ، ثم قالت : يا بن عمّ ، ما عهدتني كاذبة ، ولا خائنة ، ولا خالفتك منذ عاشرتني .

فقال (ع) : معاذ الله ، أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقىٰ وأكرم وأشدّ خوفاً من الله ، من أن أوبّخك بمخالفة ، وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك إلاّ أنّه أمر لا بدّ منه ، والله جدّدت عليّ مصيبة رسول الله (ص) ، وقد عظمت وفاتك وفقدك ، فإنا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضّها وأحزنها ، هذه والله مصيبة لا عزاء لها ، ورزيّة لا خلف لها ، ثم بكيا جميعاً ساعة[2] .

لخّصت فاطمة (ع) في هذا الحوار حياتها الزوجيّة في هذه العبارات ، فذكّرت الأمير (ع) بإخلاصها وطهارتها وإطاعتها لزوجها .

وشكر لها الإمام وفاءها ، وأثنىٰ علىٰ طهارتها وقدسيتها ومعاناتها وتقواها ، وأبدىٰ لها حبّه وودّه وتعلّقه بها .

وهاجت بهما الذكريات وحاشت الخواطر وتذكّرا حياتهما السعيدة التي غمرتها الغبطة والدفء والحنان والوفاء ، والوقوف جنباً إلىٰ جنب في مواجهة

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ١٩٨ .

(٢) البحار ج ٤٣ ص ١٩١ .

الأحداث والمشاكل وتذليل الصعاب ، فانهمرت لذلك عيناهما بالدموع ، لعلّها تطفيء نار القلب التي كادت تقضي علىٰ الجسد .

وبعد أن بكيا ساعة أخذ عليّ (ع) رأسها وضمّها إلىٰ صدره ثمّ قال : أوصيني بما شئت ، فإنّك تجديني فيها أمضي كما أمرتني به ، وأختار أمرك علىٰ أمري .

ثمّ قالت : جزاك الله عنّي خير الجزاء ، وأوصته بوصاياها ، وهي :

١ ـ يابن عم ، أوصيك أن تتزوّج بعدي بابنة أختي أمامة ، فإنّها تكون لولدي مثلي ، فإنّ الرجال لا بدّ لهم من النساء[١] .

٢ ـ إن أنت تزوّجت إمرأة فاجعل لها يوماً وليلة واجعل لأولادي يوماً وليلة ، يا أبا الحسن لا تصح في وجوههم فيصبحا يتيمين غريبين[٢] .

٣ ـ أوصيك يابن عم ، أن تتّخذ لي نعشاً ، فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته ، فقال لها : صفيه لي . . فوصفته ، فاتّخذه لها[٣] .

٤ ـ أوصت لأزواج النبيّ لكلّ واحدة منهن اثنتىٰ عشرة أوقية[٤] .

٥ ـ ولنساء بني هاشم مثل ذلك .

٦ ـ وأوصت لأمامة بنت أبي العاص بشيء[٥] .

وكانت لها وصية مكتوبة جاء فيها :

« هذا ما أوصت فاطمة بنت رسول الله بحوائطها السبعة ؛ ذي الحسنىٰ والساقية ، والدلال ، والغراف ، والرقمة ، والهيثم ، ومال أم إبراهيم ، إلىٰ علي بن أبي طالب ، ومن بعده فإلى الحسن ، فإلى الحسين ، ومن بعد الحسين فإلى الأكبر فالأكبر من ولده ، شهد الله علىٰ ذلك وكفىٰ به شهيداً ،

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٦٢ .

(٢) البحار ج ٤٣ ص ١٧٨ .

(٣) و (٤) البحار ج ٤٣ ص ١٩٢

(٥) دلائل الإمامة ص ٤٢ .

وشهد المقداد بن الأسود ، والزبير بن العوام ، وكتب عليّ بن أبي طالب[1] .

وروىٰ ابن عباس وصية مكتوبة أخرىٰ لها (ع) جاء فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله (ص) أوصت وهي تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنّ الجنة حق ، والنار حق ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وأنّ الله يبعث من في القبور ، يا علي : أنا فاطمة بنت محمد ، زوّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة ، أنت أولىٰ بي من غيري ، حنّطني وغسّلني وكفّني بالليل وصلّ عليّ وادفني بالليل ولا تعلم أحداً ، وأستودعك الله وأقرأ علىٰ ولدي السلام إلىٰ يوم القيامة[2] .

لحظات عمرها الأخيرة :

ثقل عليها المرض ، والإمام لا يفارقها ، وأسماء تمرضها ، والحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم عندها ، وهي تفيق مرّة ويغشّىٰ عليها أخرىٰ من شدّة المرض ، وتجيل بصرها في أولادها . .

يقول الإمام عليّ (ع) : إنّها لمّا حضرتها الوفاة فتحت عينيها وقالت : السلام عليك يا جبريل ، السلام عليك يا رسول الله ، اللّهم احشرني مع رسولك ، اللّهم اسكنّي جنّتك وفي جوارك .

ثمّ قالت : هؤلاء ملائكة ربي ، وجبريل ورسول الله حاضرون عندي ، وأبي يقول : القدوم إلينا[3] .

يقول عليّ (ع) : فلما كانت الليلة التي أراد الله أنّ يكرمها ويقبضها إليه أخذت تقول : وعليكم السلام . يابن عم ، هذا جبريل أتاني مسلّماً ، وقال : السلام يقرئك السلام يا حبيبة حبيب الله وثمرة فؤاده ـ اليوم تلحقين

---

(١) دلائل الإمامة ص ٤٢ .

(٢) البحار ج ٤٣ ص ٢١٤ .

(٣) دلائل الإمامة ص ٤٤ .

بالرفيق الأعلىٰ وجنة المأوىٰ ثمّ انصرف عنّي .

ثمّ أخذت تقول : وعليكم السلام، وتقول : يـابن عم ، وهذا ميكـائيل يقول كقول صاحبه .

ثمّ أخـذت ثـالثـاً تقـول : وعليـك السـلام ، ثمّ فتحت عينيهـا شـديـداً وقـالت : يـابن عم هـذا والله الحق ، عـزرائيـل نشـر جنـاحـه في المشـرق والمغرب ، وقد وصفه لي أبي وهذه صفته .

ثمّ قـالت : يا قـابض الأرواح عجّل بي ولا تعـذّبني ، ثمّ قالت : إليـك ربي لا إلىٰ النار ، ثمّ غمضت عينيها ، ومدّت يديها ورجليها ، وكأنّها لم تكن حيّة قطّ .

وروي عن أسماء أنّ فاطمة لما حضرتها الوفاة قالت لأسماء : إنّ جبريل أتىٰ النبيّ (ص) ـ لما حضرته الوفـاة ـ بكافـور من الجنة فقسّمـه أثلاثـاً ، ثلثاً لنفسه ، وثلثاً لعليّ ، وثلثـا لي ، وكان أربعين درهمـاً ، فقالت يـا أسماء أتيني ببقية حنوط والدي من موضع كذا وكذا وضعيه عند رأسي ، فوضعتـه ثمّ قالت لأسماء حين توضّأت وضوءها للصلاة : هاتي طيبي الذي أتـطيّب به ، وهـاتي ثيابي التي أصلّي فيها ، فتوضّأت ثمّ تسجّت بثوبها ثمّ قالت : انتظريني هنيئة وادعيني ، فإن أجبتك وإلاّ فاعلمي أنّي قدمت علىٰ أبي فأرسلي إلىٰ علي .

فانتظرت هنيئة ثمّ نـادتها ، فم تجبهـا ، فكشفت الثوب عن وجههـا فإذا بها قد فارقت الدنيا ، فوقعت عليها تقبّلها .

فبينا هي كذلك إذ دخل الحسن والحسين فقـالا لها : يـا أسماء مـا ينيم أمّنا في هذه الساعة ، قـالت : يا ابني رسـول الله . ليست أمكما نـائمة ، قـد فارقت الدنيا ، فوقع عليها الحسن يقبّلهـا مرّة ويقـول : يا أمـاه كلميني قبل أن تفـارق روحي بدني ، وأقبـل الحسين يقبّل رجلهـا ويقول : أنـا ابنك الحسين كلميني قبل أن يتصدّع قلبي فأموت .

قالت لهما أسماء : يا ابني رسول الله ، انطلقـا إلىٰ أبيكما عليّ فـأخبراه

بموت أمكما ، فخرجا حتىٰ إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء ، فقالا : قد ماتت أمنا فاطمة (ع) فوقع عليّ (ع) علىٰ وجهه يقول : بمن العزاء يا بنت محمد ، كنت بك أتعزّىٰ فبمن العزاء من بعدك ؟[1] .

التشييع والدفن :

ارتفعت أصوات البكاء من بيت عليّ (ع) فصاح أهل المدينة صيحة واحدة ، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها ، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع لها ، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلىٰ عليّ (ع) ، وهو جالس ، والحسن والحسين بين يديه يبكيان . وخرجت أمّ كلثوم ، وهي تقول : يا أبتاه يا رسول الله ، الآن حقّاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً .

واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجّون ، وينتظرون خروج الجنازة ليصلّوا عليها ، وخرج أبو ذر وقال : انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أخر إخراجها في العشية[2] .

وأقبل أبو بكر وعمر يعزّيان عليّاً (ع) ، ويقولان له : يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة علىٰ ابنة رسول الله (ص)[3] .

ولكن عليّاً (ع) غسّلها وكفّنها هو وأسماء في تلك الليلة ثمّ نادىٰ : يا أم كلثوم ، يا زينب ، يا حسن ، يا حسين ، هلمّوا تزوّدوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء الجنّة ، وبعد قليل نحاهم أمير المؤمنين (ع)[4] عنها . ثمّ صلّىٰ عليّ علىٰ الجنازة ، وشيعها والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار وبريدة والعباس وابنه الفضل[5] .

فلما هدأت الأصوات ونامت العيون ومضىٰ شطر من الليل أخرجها أمير

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ١٨٦ .
(٢) البحار ج ٤٣ ص ١٩٢ .
(٣) البحار ج ٤٣ ص ١٩٩ .
(٤) البحار ج ٤٣ ص ١٧٩ .
(٥) البحار ج ٤٣ ص ١٨٣ .

المؤمنين (ع) ودفنها سرّاً وأهال عليها التراب ، والمشيعون من حوله يترقّبون لئلا يعرفهم القوم ، ويمنعهم المنافقون ، فدفنوها وعفّوا تراب قبرها .

وقوف الإمام (ع) علىٰ قبرها :

انتهت مراسم الدفن بسرعة خوفاً من انكشاف أمرهم وهجوم القوم عليهم ، فلمّا نفض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن لفقد بضعة الرسول التي تذكر به ، وزوجته الودود التي عاشت معه الصفاء والطهارة والتضحية ، وتحملت من أجله الأهوال والصعاب فواغوثاه . . من هظمها . . من آلامها . . من تصدّع قلبها . . وأغوثاه من كسر ضلعها . . واسوداد عضدها . . وإسقاط جنينها . . ولكن .

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة
وكلّ الذي دون الممات قليل
وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد
دليل علىٰ أن لا يدوم خليل

فأرسل دموعه على خدّيه ، وحوّل وجهه إلىٰ قبر رسول الله (ص) فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرّة عينك وزائرتك ، والبائتة في الثرىٰ ببقعتك ، المختار الله لها سرعة اللحاق بك ، قلّ ـ يا رسول الله ـ عن صفيتك صبري ، وضعف عن سيّدة النساء تجلّدي ، إلّا أنّ في التأسّي لي بسنتّك ، والحزن الذي حلّ بي لفراقك ، موضع التعزّي ، ولقد وسدّتك في ملحودة قبرك ، بعد أن فاضت نفسك علىٰ صدري ، وغمضتك بيدي وتوليت أمرك بنفسي .

نعم ، وفي كتاب الله أنعم القبول ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، قد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة ، واختلست الزهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء ، يا رسول الله .

أمّا حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهّد ، لا يبرح الحزن من قلبي أو

يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم ، كمد مقيّح ، وهمّ مهيّج ، سرعان ما فرّق (الله) بيننا ، وإلىٰ الله أشكو ، وستنبّئك ابنتك بتظافر أمّتك عليّ ، وعلىٰ هضمها حقّها ، فاستخبرها الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلىٰ بثّه سبيلًا ، وستقول ، ويحكم الله وهو خير الحاكمين .

سلام عليك يا رسول الله ، سلام مودّع لا سئم ولا قالٍ ، فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله الصابرين ، الصبر أيمن وأجمل .

ولولا غلبة المستولين علينا ، لجعلت المقام عند قبرك لزاماً ، وللبثت عنده معكوفاً ، ولأعولت إعوال الثكلىٰ علىٰ جليل الرزيّة ، فبعين الله تدفن بنتك سرّاً ، ويهتضم حقّها قهراً ، ويمنع إرثها جهراً ، ولم يطل العهد ، ولم يخلق منك الذكر ، فإلىٰ الله ـ يا رسول الله ـ المشتكىٰ ، وفيك أجمل العزاء ، فصلوات الله عليها ورحمة الله وبركاته[١] .

وروي أنّ عليّاً (ع) سوّىٰ قبرها مع الأرض مستوياً ، وقيل : سوّى حواليها قبوراً مزوّرة سبعة حتىٰ لا يعرف قبرها ، وروي أنّه رشّ أربعين قبراً حتىٰ لا يبيّن قبرها من غيره من القبور خوفاً من الأعداء[٢] .

فلمّا أصبح الناس أقبل عمر وأبو بكر والناس يريدون الصلاة علىٰ فاطمة (ع) .

فقال المقداد : قد دفنّا فاطمة (ع) البارحة .

فالتفت عمر إلىٰ أبي بكر فقال : ألم أقلّ لك ، إنّهم سيفعلون ؟

قال العباس : إنّها أوصت أن لا تصلّيا عليها .

فقال عمر : لا تتركون ـ يا بني هاشم ـ حسدكم القديم لنا أبداً ، إنّ

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ٢١١ . ص ١٩٣

(٢) البحار ج ٤٣ ص ١٨٣

هذه الضغائن التي في صدوركم لن تذهب ، والله لقد هممت أن أنبشها فأصلّي عليها .

فقال عليّ (ع) : والله لو رمت ذاك لأرجعت إليك يمينك ، لئن سللت سيفي لا أغمدته دون إزهاق روحك .

فانكسر عمر وسكت وعلم أن علياً إذا حلف صدق[١] .

تاريخ وفاتها (ع) :

لا شك أنّ وفاتها (ع) كانت في السنة الحادية عشرة من الهجرة ـ ظاهراً ـ لأنّ النبيّ (ص) حجّ حجّة الوداع في السنة العاشرة ، وتوفيّ في أوائل السنة الحادية عشرة ، واتفق المؤرخون والكتّاب علىٰ أنّ فاطمة (ع) عاشت بعد أبيها أقلّ من سنة ، إلاّ أنّهم اختلفوا في يوم وشهر وفاتها اختلافاً شديداً .

فصاحب دلائل الإمامة ، والكفعمي في المصباح ، والسيّد في الإقبال ، والمحدّث القمي في منتهى الآمال ، قالوا : إنّ وفاتها كانت في الثالث من جمادى الآخرة .

وذكر ابن شهر آشوب في المناقب أنّه في يوم ١٣ ربيع الآخر .

وقال ابن الجوزي في كتاب تذكرة الخواص ، والطبري في تاريخه : إنّ الزهراء (ع) توفّيت في الثالث من شهر رمضان ، وروى المجلسي ذلك أيضاً عن محمد بن عمر .

وروىٰ المجلسي عن محمد بن ميثم أنّ وفاتها كانت في ٢٠ من جمادي الآخرة .

واختار محمد تقي سپهر في ناسخ التواريخ يوم السابع والعشرين من جمادىٰ الأولىٰ .

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ١٩٩

وأساس الإختلاف راجع إلىٰ معرفة المدة التي عاشتها (ع) بعد أبيها (ص) .

٧٥ يوماً ـ ذكر ذلك الكليني في الكافي ، وصاحب كتاب دلائل الإمامة ، واختاره السيّد المرتضىٰ في عيون المعجزات ، واستندوا في ذلك إلى ما روي عن الصادق (ع) : عاشت فاطمة (ع) ٧٥ يوماً بعد رسول الله (ص)[١] .

٧٢ يوماً ـ ذكر ذلك ابن شهر آشوب .

٣ أشهر ـ قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين : وكانت وفاة فاطمة بعد وفاة النبيّ (ص) بمدّة يختلف في مبلغها فالمكثر يقول : ستة أشهر ، والمقلل يقول : أربعين يوماً ، إلاّ أنّ الثابت في ذلك ما روي عن أبي جعفر محمد بن عليّ[٢] على أنها توفيت بعده بثلاث أشهر .

ورواه صاحب كشف الغمة عن الدولابي ، وابن الجوزي عن عمر بن دينار .

٤٠ يوماً ـ رواه المجلسي عن فضة خادمة فاطمة (ع) ، وعن كتاب روضة الواعظين ، وعن ابن عباس . ورواه أيضاً ابن شهر آشوب في المناقب عن القرباني .

٦ أشهر ـ رواه المجلسي في البحار عن الإمام محمد الباقر (ع) ورواه ـ أيضاً ـ صاحب كشف الغمة عن ابن شهاب والزهري ، وعائشة ، وعروة بن الزبير .

وعدّ ابن الجوزي في تذكرة الخواص ـ في الأقوال ـ الستة أشهر إلاّ عشرة .

٩٥ يوماً ـ روي ذلك عن الإمام الباقر (ع) .

---

(١) أصول الكافي ج ١ ص ٢٤١ .
(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٩ .

٧٠ يـوم ـ رواه ابن الجـوزي في تـذكـرة الخـواص عن جعفـر بن محمد (ع) .

شهران ، ٨ أشهر ، ١٠٠ يوماً ـ رواها المجلسي في البحار .

واختلفوا في تاريخ وفاة الـرسول (ص) أيضـاً ، والمشهور بين علمـاء الإمامية أنّه في ٢٨ صفر ، وقال أكثر علمـاء السنة : إنّـه في ١٢ ربيع الأول ، وقالوا أيضاً : إنّه توفّي في الثاني من ربيع الأول .

إذن فالأقوال في وفاة الزهراء ١٣ قول تقـريباً ، فـإذا قسناهـا إلى الأقوال في وفـاة النبيّ (ص) تكـون الإحتمـالات في وفـاة الـزهـراء (ع) ـ بـاليـوم والشهر ـ كثيرة ، أي حاصل ضرب ١٣ في ٣ وهو ٣٩ .

ولكن لا يخفىٰ علىٰ العلمـاء أنّ رأي الأئمـة (ع) والـروايـات الـواردة عنهم مقـدّمة على أقـوال الآخرين ؛ لأنّهم أبنـاء فاطمـة وأعرف بتـاريـخ أمّهم وحيـاتها . إلاّ أنّ الـروايات ـ كمـا لاحظتم ـ اختلفت أيضـاً بين ٧٥ و٩٥ و٧٠ يوماً و٣ و٦ أشهر .

فإذا كانت وفاة النبيّ (ص) في ٢٨ صفر ، وأخذنا بـرواية (٧٥ يـوماً) ستكـون وفاتهـا (ع) في ١٣ ـ ١٥ جمادي الأولىٰ ، وإذا أخـذنا بـرواية (٩٥ يوماً) تكون في ٣ ـ ٥ من جمادي الآخرة ، وهكذا يمكن للقـاريء العزيـز أن يحسب الإحتمالات بهذه الطريقة .

واختلفـوا في عمـر مـولاتنـا فـاطمـة (ع) بين ١٨ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣٥ سنة ، ونكتفي بما أشرنا إليه سابقاً في هذا المجال .

قبرها (ع) :

ذكرنا ـ سـابقاً ـ أنّ فـاطمة (ع) أوصت أن يعفىٰ تـراب قبرهـا ، ويبقى مجهولاً ، فسوّىٰ عليّ القبر بمستوىٰ الأرض ، ورشّ أربعين قبراً ليشتبه الأمـر علىٰ القوم ، وإن كان هو (ع) يعرف مكانه وكـذا خواص أصحـابه وقـرابته ،

ولكنّهم سمعوا وصايا فاطمة (ع) ووعوها فلم يفشوا السرّ ، ولم يفعلوا ما يستفيد منه ـ العدوّ ـ كقرائن وإحتمالات لتحديد مكان القبر الشريف .

ومع هذا لم يصرف المحقّقون نظرهم عن المسألة وحاولوا البحث والتحقيق فيها ، وتعيين بعض المواضع المحتملة من القرائن والإحتمالات الواردة .

١ ـ روىٰ المجلسي عن محمد بن همام أنّ عليّاً دفن فاطمة في روضة النبيّ (ص) ، ولكنّه عفىٰ تراب قبرها فلم يعرف .

وروىٰ المجلسي أيضاً عن فضة ـ خادمة الزهراء (ع) ـ أنّها صُلّي عليها في روضة النبيّ (ص) ودفنت هناك .

وقال أبو جعفر الطوسي : الأصوب أنّها مدفونة في دارها ، أو في الروضة ، ويؤيّد قوله قول النبيّ (ص) : إنّ بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة[1] . ويؤيده ـ أيضاً ـ أنّ عليّاً صلّىٰ عليها في الروضة ثمّ قال مخاطباً النبيّ (ص) : السلام عليك يا رسول الله عنّي ، والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والبائتة في الثرىٰ ببقعتك .

٢ ـ روىٰ المجلسي عن ابن بابويه أنّه قال : صحّ عندي أنّ فاطمة (ع) مدفونة في بيتها . فلمّا زاد بنو أمية في المسجد صارت في المسجد .

وروىٰ المجلسي ـ أيضاً ـ عن محمد بن أبي نصر أنّه قال : سألت أبا الحسن (ع) عن قبر فاطمة (ع) فقال : دفنت في بيتها ، فلمّا زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد .

٣ ـ ذكر صاحب كشف الغمة أنّ المشهور أنّها دفنت في البقيع ، واختاره السيّد المرتضىٰ في عيون المعجزات ، وذكر ابن الجوزي أنّه يقال : إنّها مدفونة في البقيع .

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ١٨٥ .

ولا يبعد أنّهم استفادوا ذلك ممّا روي أنّ عليّاً سوّىٰ أربعين قبراً حول قبرها ، وهدّدهم بالقتل عندما أرادوا نبشه ، فلا بدّ أن يكون ـ إذن ـ قبرها في هذه الأربعين .

٤ ـ ذكر ابن الجوزي أنّ البعض قالوا : إنّها مدفونة قرب بيت عقيل ، وبين قبرها والطريق سبعة أذرع ، وكان عبدالله بن جعفر يقول : لا شكّ أنّ قبر الزهراء (ع) عند بيت عقيل .

ويترجّح الإحتمال الأوّل والثاني من بين الإحتمالات الأربعة المذكورة .

الفصل السّابع

تحقيق عن منازعة فاطمة "ع" وأبي بكر

قصّة فدك ، والنزاع بين فاطمة (ع) وأبي بكر ، من المواضيع التي وقع عليها البحث والتحقيق منذ صدر الإسلام إلىٰ يوم الناس هذا ، وكتبت عنها الكتب والمطولات ، ونوقشت جميع تفصيلاتها .

وهدفنا من هذا الكتاب هو استلهام النكات التربويّة والتوجيهات التعليمية من حياة فاطمة (ع) وعرضها علىٰ جمهور الناس .

ولكن ، بإعتبار أنّ القراء تختلف مستوياتهم ، وقد يكون فيهم من يحبّ التوسع في فروع المسألة أكثر ، رأينا من المناسب أن نضيف هذا الفصل إلى ما أشرنا إليه في غضون الكتاب ، ونبحث عن مختلف جوانب القصّة بإختصار .

موضوع النزاع :

ينحصر البحث ـ غالباً ـ عن فدك وما يتعلق بها ، وقد يسبب ذلك إبهاماً وغموضاً في الموضوع ، وبعد مراجعة الوثائق التاريخية الأصلية يتّضح أنّ مورد النزاع ليس فدكاً فحسب ، وإنّما هناك أمور أخرىٰ كانت مورداً للنزاع .

فمثلاً ، روي عن عائشة أنّ فاطمة (ع) أرسلت إلىٰ أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (ص) ، وهي حينئذٍ تطلب ما كان لرسول الله (ص) بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر .

فقال أبو بكر : إنَّ رسول الله (ص) قال : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقات رسول الله (ص) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله (ص) ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله (ص) .

فأبىٰ أبو بكر أن يدفع إلىٰ فاطمة منها شيئاً ، فوجدت من ذلك علىٰ أبي بكر وهجرته ، فلم تكلّمه حتىٰ توفيت[1] .

وذكر ابن أبي الحديد عن أبي الطفيل قال : أرسلت فاطمة إلىٰ أبي بكر : أنت ورثت رسول الله (ص) أم أهله ؟

قال : بل أهله .

قالت : فما بال سهم رسول الله (ص) ؟

قال : إنّي سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنَّ الله أطعم نبيّه طعمة » !! ثمّ قبضه وجعله للذي يقوم بعده ، فوليت أنا بعده ، أن أردّه إلىٰ المسلمين[2] .

وعن عروة قال : أرادت فاطمة أبا بكر علىٰ فدك وسهم ذوي القربىٰ ، فأبىٰ عليها وجعلهما في مال الله تعالى[3] .

وعن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب : إنَّ أبا بكر منع فاطمة وبني هاشم سهم ذوي القربىٰ ، وجعله في سبيل الله في السلاح والكراع[4] .

يفهم من النصوص السالفة أنَّ فاطمة (ع) كانت تطالب أبا بكر بفدك وغيرها ، كأموال النبي الخاصة في المدينة ، وباقي خمس خيبر ، وسهمه في الغنائم ، وسهم ذوي القربىٰ ، واختلطت هذه الموارد فيما بعد ، فحصل نوع

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٧ .
(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٩ .
(٣) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٣١ .
(٤) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٣١ .

غموض وإبهام سبّب بعض الإشكالات .

ولكي نجلي الأمر ونرفع الغموض ، لا بدّ أن نفصل كل مورد عن موارد النزاع الأخرىٰ ، ثم نشرع في بحثه مستقلاً .

أموال رسول الله (ص) :

كان للنبيّ (ص) أموال شخصية عائدة له مثل بيوت زوجاته التي يسكن فيها ، وثيابه ، وأثاث منزله ـ من قبيل الفراش والأواني وغيرها ـ وكذا سلاحه ودوابه كالأفراس ، والبغال ، والإبل والحيوانات الأخرىٰ كالغنم والأنعام .

وكانت هذه الأموال ملكاً شخصياً ـ بلا أدنىٰ شك ـ وقد ذكرت ذلك كتب التأريخ والرواية[1] . فلا بدّ من انتقالها إلى الورثة من بعده .

قال الحسن بن علي الوشاء : سألت مولانا أبا الحسن علي بن موسىٰ الرضا (ع) : هل خلف رسول الله (ص) غير فدك شيئاً ؟

فقال أبو الحسن (ع) : إنّ رسول الله (ص) خلّف ستة أفراس ، وثلاث نوق : العضباء ، والصهباء ، والديباج ، وبغلتين : الشهباء والدلدل ، وحماره اليعفور ، وشاتين حلوبتين ، وأربعين ناقة حلوب وسيفه ذا الفقار ، ودرعه ذات الفصول ، وعمامته السحاب ، وحبرتين يمانيتين ، وخاتمه الفاضل ، وقضيبه الممشوق ، وفراشاً من ليف ، وعباءتين قطوانيتين ، ومخاد من أدم ، صار ذلك إلى فاطمة (ع) ما خلا درعه ، وسيفه وعمامته وخاتمه ، فإنّه جعله لأمير المؤمنين[2] (ع) .

ولم يتعرض التأريخ إلى كيفية تقسيم تركة الرسول بين ورثته (فاطمة ، وزوجاته) . إلاّ أنّ المقدار المعلوم أنّ أزواجه بقين كلّ في بيتها الذي كانت تسكنه في حياة النبيّ (ص) .

---

(١) راجع المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٦٨ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٢٢ .

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ١٢٢ .

ولتوجيه هذا الأمر قال بعضهم : إنّ النبيّ (ص) قد وهب البيوت ـ في حياته ـ لأزواجه ، وتمسّكوا لإثبات ذلك بالآية الشريفة ﴿ **وقرن في بيوتكن ، ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولىٰ** ﴾[1] .

فالله سبحانه وتعالىٰ ينسب البيوت لأزواج النبيّ (ص) فيقول ﴿ **وقرن في بيوتكنّ** ﴾ ولولا الملكية لقال : « وقرن في بيوت النبيّ (ص) » .

ولكن لا يخفىٰ علىٰ الحاذق الخبير أنّ الآية المباركة لا تكفي لإثبات المدّعىٰ ، وذلك لأنّ مجرد النسبة لا تكفي دليلاً على الملكية ، وقد أكثر العرف إستعمال النسبة من هذا القبيل ، ويكفي في تصحيح ذلك وجود أيّ مناسبة فيقال مثلاً : للزوجة أو الولد « بيتكم ، أو أرضكم ، وآنيتكم » وهي في الواقع ملك الزوج ، وكذلك من يستأجر بيتاً أو يسكن فيه يقال له : بيتك ، وهكذا .

والنبيّ (ص) خصص لكلّ واحدة من أزواجه بيتاً ، فقيل بيت عائشة ، وبيت أم سلمة ، وبيت زينب ، وبيت أمّ حبيبة ، وبيت . . .

فالآية : إذن ـ لا تدّل علىٰ أنّ النبيّ (ص) وهب البيوت لأزواجه في حياته ، ولا دليل آخر على ذلك ـ غير الآية ـ .

فالبيوت ـ إذن ـ انتقلت كسهام إلىٰ الورثة ، أو أنّ الصحابة أبقوهن في بيوتهن حفاظاً على شأن النبيّ وعرضه ، ووافقتهم فاطمة علىٰ ذلك ـ بإعتبارها من الورثة ـ .

المهمّ ، تبيّن بما لا يقبل التشكيك أنّ للنبيّ (ص) أموالاً شخصية انتقلت بالوراثة لورثته ، وشملتها آيات الإرث وأحكامه .

فدك :

فدك قرية عامرة تبعد عن المدينة المنورة مسيرة يومين ، وكانت ـ كما

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣ .

عن معجم البلدان ـ ذات نخل كثير ، وعيون جارية ، وقد بيّنا سابقاً أهميتها الإقتصادية الكبيرة .

كانت فدك لليهود ، وفي السنة السابعة للهجرة خاف أهلها ـ بعد فتح خيبر ـ وداخلهم الرعب ، فأرسلوا رجلاً يطلب الصلح من النبيّ (ص) ، وفي رواية أنّ النبيّ بعث إليهم محيصة بن مسعود ليدعوهم للإسلام ، فلم يقبلوه ، ورضوا بالصلح ، فقبل منهم النبيّ (ص) ذلك . فأصبحت فدك تحت الحماية الإسلامية .

وذكر البلازري في فتوح البلدان : إنّ يهود فدك سلّموا نصف أراضيهم للنبيّ (ص) مقابل الصلح ، وذكر في مكان آخر . . أنّهم أعطوا نصف الأشجار والثمار والأموال لرسول الله (ص) .

فالتاريخ يشهد أنّ يهود فدك تنازلوا عن نصف أموالهم وأشجارهم وثمارهم وأرضهم مقابل الصلح ، فهي من الأموال الخالصة لرسول الله (ص) ، لأنّها غنمت من دون أن يوجف عليها بخيل ولا ركاب ـ كما تنصّ علىٰ ذلك الشريعة الإسلامية ـ .

وهذا الحكم من الأحكام البديهية في الدين ، وقد نصّ علىٰ ذلك القرآن الكريم في سورة الحشر ﴿ **وما أفاء الله علىٰ رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلّط رسله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير . ما أفاء الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ فللّه وللرسول** ﴾[1] .

فلا ريب ـ إذن ـ في أنّ فدكاً خالصة للنبيّ (ص) ، ولكنّها من أموال الدولة الإسلامية التي تقع تحت تصرف الحاكم الشرعي ـ النبيّ أو الإمام ـ ، فيصرفها كيف يشاء ، وأنّىٰ يشاء بما يراه صالحاً لإدارة شؤون حكمه ، فيقطعها لشخص أو أشخاص ، مجاناً أو مقابل ضرائب مالية معيّنة ، أو يخصص ريعها وثمارها لمن يشاء ، أو يكافىء بها مسلماً قدّم خدمة للإسلام

---

(١) سورة الحشر آية ٦ .

والمسلمين ، أو يجعلها عوناً لبيت المال ودعماً لميزانية الدولة والمشاريع الخيرية العامة ، أو يجعلها ـ أو شيئاً منها ـ لتأمين مصارفه ومصارف أهله الخاصة ، وأخيراً يفعل بها ما يشاء مراعاةً للمصالح الإسلامية .

ويستفاد من بعض الأخبار والشواهد التأريخية ، أنّ النبيّ (ص) استفاد من بعض أراضي فدك لتأمين قوته وقوت عياله ، وقد أحيىٰ بعض أراضيها ـ الميتة ـ بيده الشريفة .

ذكر ابن أبي الحديد أنّ المتوكل أقطع فدكاً عبدالله بن البازيار ، وكان فيها إحدىٰ عشرة نخلة غرسها رسول الله (ص) بيده ، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها ، فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر ، فيصلونهم ، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل ، فصرم عبدالله بن عمر البازيار ذلك التمر ، وجّه رجلاً يقال له بشران بن أبي أميّة الثقفي إلى المدينة فصرمه[١] .

وكان النبيّ (ص) يأخذ منها قوته وينفق الباقي في فقراء بني هاشم ، ويزوّج شبابهم و . . .

إقطاع فدك لفاطمة (ع) :

كانت فدك موضوع النزاع بين فاطمة وأبي بكر ، ففاطمة (ع) تقول : إنّ رسول الله (ص) نحلها فدكاً في حياته ، وأبو بكر ينكر ذلك .

وبدأ النزاع ـ كأيّ مرافعة ـ ثمّ توسّعت شقة الخلاف ، ثمّ صارت من الأحداث الخطيرة في التأريخ ، فبقيت آثارها إلى يوم الناس هذا ، ودوّت في بطون الكتب ففجرت السنين ولا زالت تعيش في واقع المجتمع الإسلامي .

ولكي تتضح الحقيقة ويعرف الحق ، نبحث في عدّة مطالب :

المطلب الأول : هل يجيز الشارع المقدّس للنبيّ أن يقطع أرضاً لفاطمة وهي من ممتلكات الدولة الإسلامية ؟

---

(١) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٧ .

قد يقال : إنّ أموال الدولة والغنائم متعلقة بالمسلمين عامّة ، وتصرف في المصالح العامّة والمشاريع الخيرية ، فكيف أقطع النبيّ فدكاً لفاطمة وهي من الأموال العامّة ، والنبيّ معصوم عن الخطأ والذنب ؟

ويجاب عن ذلك :

إنّنا لا نريد الدخول في بحث الأنفال ، لأنّه من البحوث الواسعة المعقدة ، ولا يمكن استيعابها في هذا المختصر .

وباختصار ، فإنّ فدكاً وإنّ كانت من أموال الدولة ـ أي مقام النبوة والإمامة والحاكم الشرعي ، ولكنّها غير ميزانية الدولة ، وتختلف عن سائر الأموال العامة ، لأنّها ملك خالص للنبيّ (ص) وله التصرف بها حيث يشاء ـ كما نصّت الشريعة علىٰ ذلك ، باعتبارها مفتوحة صلحاً ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ـ وفقاً للمصلحة الإسلامية .

وللنبيّ (ص) إقطاعها لشخص أو أشخاص ، أو تسليم منافعها لمن يشاء ، وليس هذا أمراً غريباً في الإسلام ، فقد أقطع رسول الله (ص) من أراضي بني النضير ، أبا بكر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبا دجانه ، وغيرهم[1] ، وأقطع (ص) الزبير بن العوام من أرض بني النضير ذات نخل[2] ، وأقطع (ص) بلالاً أرضاً فيها جبل ومعدن[3] ، وأقطع (ص) علياً أربع أرضين[4] .

فلا ينبغي الإشكال في أنّ للحاكم الشرعي أنّ يقطع من يشاء من الأراضي الخالصة له ، وقد فعل النبيّ (ص) ذلك فأقطع لعليّ بن أبي طالب (ع) وأبي بكر ، وعمر وعثمان .

فلا محذور شرعاً في أن يقطع النبيّ (ص) فدكاً لفاطمة (ع) .

---

(١) فتوح البلدان ص ٣١ .

(٢) فتوح البلدان ص ٣٤ .

(٣) (٤) فتوح البلدان ص ٢٧ .

ولكن هل أقطعها حقاً ؟ هذا ما يحتاج إلىٰ دليل .

دليل الإقطاع :

لـو راجعنا الأحـاديث والأخبار لعلمنـا أنّ النبيّ (ص) قد أعـطىٰ فدكـاً لفاطمة ، وإليك بعض النماذج بما ورد في ذلك : ـ

عن أبي سعيـد الخدري ، قـال : لما نـزلت ﴿ **وآت ذا القربىٰ حقّـه** ﴾ قال رسول الله (ص) : يا فاطمة لك فدك[1] .

وعن عـطيّـة ، قـال : لمّـا نـزلت ﴿ **وآت ذا القـربىٰ حقـه** ﴾ دعـا رسول الله (ص) ، فاطمة (ع) فأعطاها فدكاً[2] .

وعن علي بن الحسين بن أبي طـالب (ع) : أقـطع رسـول الله (ص) فاطمة فدكاً[3] .

وعن الصـادق (ع) قـال : لمّـا أنـزل الله ﴿ **وآت ذا القـربى حقّـه والمسكين** ﴾ قال رسول الله (ص) : يا جبرئيل ، قد عرفت المسكين فمن ذو القربىٰ ؟ قال : هم أقاربك ، فـدعىٰ حسناً وحسينـاً وفاطمـة ، فقال : إنّ ربي أمرني أن أعطيكم ممّا أفاء عليّ قال : أعطيتكم فدكاً[4] .

وعن أبان بن تغلب قال : قلت لأبي عبدالله (ع) كان رسـول الله أعطىٰ فاطمة فدكاً ؟ قال : كان لها من الله[5] .

عن الصادق (ع) قال : أتت فاطمة أبـا بكر تـريد فـدكاً ، قـال : هاتي من يشهد بذلـك . قال : فـأتت بأم أيمن ، قـال لها : بم تشهـدين ؟ قالت : أشهد أن جبرئيل أتىٰ محمداً فقال : إنّ الله يقول : ﴿ **وآت ذا القربىٰ حقـه** ﴾ فلم يرد محمد (ص) من هم فقال : يا جبـرئيل سـل ربك من هم ؟ فقـال : فاطمة ذو القربىٰ فاعطها فدكاً[6] .

---

(١) (٢) (٣) كشف الغمة ج ٢ ص ١٠٢ ، الدر المنثور ج ٤ ص ١٧٧ .

(٤) (٥) (٦) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٨٧ .

وعن ابن عباس : لمّا نزلت ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ أقطع رسول الله (ص) فدكاً لفاطمة (ع)[1] .

يستفاد من هذه الروايات ، وروايات أخرىٰ وردت في أسباب نزول الآية الشريفة ، أنّ النبيّ (ص) كان مأموراً بإعطاء فدك ـ بعنوان حقّ ذوي القربى ـ لفاطمة (ع) ليدعم البناء الإقتصادي لأسرة الإمام عليّ (ع) المجاهدة المضحية في سبيل الدين .

وقد يقال : إنّ الآية ﴿ **وآت ذا القربىٰ حقّه** ﴾ في سورة الإسراء وهي مكية ، والنبيّ (ص) أقطع فدكاً فاطمة في المدينة بعد فتح خيبر ؟ !

ويجاب علىٰ ذلك بأحد جوابين :

أولاً : إنّ سورة الإسراء مكيّة ، ولكن بعض آياتها مدنية ، ومنها هذه الآية . عن الحسن أنّها مكيّة إلّا خمس آيات منها ، وهي قوله : ﴿ **ولا تقتلوا النفس** ﴾ الآية ﴿ **ولا تقربوا الزنا** ﴾ الآية ﴿ **أولئك الذين يدعون** ﴾ ﴿ **اقم الصلاة** ﴾ ﴿ **وآت ذا القربىٰ** ﴾ .

وثانياً : إنّ حقّ ذوي القربىٰ شرّع في مكة ، ونفّذه النبيّ (ص) في المدينة .

كيفية الإقطاع :

يمكن أن يكون إقطاع فدك لفاطمة (ع) بأحد نحوين :

الأول : أنّ النبيّ (ص) أعطاها لفاطمة (ع) كملك شخصي .

الثاني : أنّه (ص) أوقفها علىٰ بيت عليّ (ع) وفاطمة (ع) ـ بإعتباره مركز الولاية والإمامة ـ بعنوان صدقة جارية تكون لهم .

ظاهر الأخبار يؤيّد الإحتمال الأول ، وإن كان الإحتمال الثاني ليس بعيداً ، وقد ورد ما يؤيّده في بعض الأحاديث .

---

(١) الدر المنثور ج ٤ ص ١٧٧ .

فعن علي بن الحسين السجّاد قال : أقطع رسول الله (ص) فاطمة (ع) فدكاً[1] .

وعن أم هاني : أنّ فاطمة بنت رسول الله (ص) أتت أبا بكر فقالت له : من يرثك إذا مت ؟

قال : ولدي وأهلي .

قالت : فما بالك ورثت رسول الله (ص) دوننا ؟

فقال : يا بنت رسول الله (ص) ، والله ما ورثت أباك ذهباً ولا فضة ولا كذا ولا كذا .

فقالت : سهمنا بخيبر وصدقتنا فدك ؟

فقال : يا بنت رسول الله سمعت رسول الله (ص) يقول : إنّما هي طعمة أطعمنيها الله حياتي ، فإذا مت فهي بين المسلمين[2] .

كما لاحظتم في الرواية عن الصادق (ع) عبّر الإمام (ع) بـ « الوقف » .

وفي الحديث الآخر عن السجّاد (ع) عبّر بـ (الإقطاع) ، والإقطاع هو عبارة عن إعطاء حق التصرف والإنتفاع بأرض من أراضي الحكومة الإسلامية الشرعية .

وعبّرت الزهراء (ع) في احتجاجها على أبي بكر بـ (الصدقة) .

ومرّ في حديث سابق أنّ النبيّ (ص) دعا فاطمة والحسن والحسين وأعطاهم فدكاً .

ومن هذه الروايات يمكن استفادة الإحتمال الثاني من الإحتمالين المذكورين .

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ١٠٢ .

(٢) فتوح البلدان ص ٤٤ .

الحكم في القضية :

لنر ـ الآن ـ مع من سيكون الحق في هذه المرافعة ؟ . .

مع فاطمة (ع) ـ أو مع أبي بكر . . ؟

ذكر المؤرّخون وأصحاب الحديث : أنّ حضور فاطمة (ع) عند أبي بكر كان بعد عشرة أيّام من وفاة النبيّ (ص)[1] ، فلمّا كلّمت فاطمة أبا بكر .

قال : يا بنت رسول الله ، والله ما ورّث أبوك ديناراً ولا درهماً ، وإنّه قال : إنّ الأنبياء لا يورثون .

فقالت : إنّ النبيّ (ص) وهب لي فدكاً .

فقال : فمن يشهد بذلك ؟

فجاء علي بن أبي طالب (ع) فشهد ، وجاءت أم أيمن فشهدت ايضاً .

فجاء عمر وعبد الرحمن بن عوف فشهدا أنّ رسول الله (ص) كان يقسّمها .

قال أبو بكر : صدقت يا ابنة رسول الله (ص) وصدق علي وصدقت أم أيمن وصدق عمر وصدق عبد الرحمن بن عوف ، وذلك أنّ ما لك لأبيك كان رسول الله (ص) يأخذ من فدك قوتكم ، ويقسّم الباقي ويحمل منه في سبيل الله[2] .

قالت فاطمة (ع) لأبي بكر : إنّ رسول الله (ص) جعل لي فدكاً فأعطاني إياها ، وشهد لها علي بن أبي طالب ، فسألها شاهداً آخر ، فشهدت أم أيمن ، فقال : قد علمت يا بنت رسول الله (ص) أنّه لا تجوز إلاّ شهادة رجلين أو رجل وإمرأتين[3] .

---

(١) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٦٣ .

(٢) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٦ .

(٣) فتوح البلدان ص ٤٤ .

وعن علي بن أبي طالب (ع) قال : جاءت فاطمة (ع) إلىٰ أبي بكر وقالت : إنّ أبي أعطاني فدكاً ، وعلي وأم أيمن يشهدان .

فقال : ما كنت لتقولي علىٰ أبيك إلاّ الحق قد أعطيتكها ، ودعا بصحيفة من أدم فكتب لها فيها .

فخرجت ، فلقيت عمر . فقال : من أين جئت يا فاطمة ؟

قالت : جئت من عند أبي بكر ، أخبرته أنّ رسول الله (ص) أعطاني فدكاً ، وأن عليّاً وأم أيمن يشهدان لي بذلك فأعطانيها ، وكتب لي بها .

فأخذ منها الكتاب ثمّ رجع إلىٰ أبي بكر فقال : أعطيت فاطمة فدكاً ، وكتبت بها لها ؟

قال : نعم .

فقال : إنّ عليّاً يجرّ النار إلىٰ نفسه ، وأم أيمن إمرأة ، وبصق في الكتاب فمحاه وحرّقه[1] .

قالت فاطمة لأبي بكر : إنّ أم أيمن تشهد لي أنّ رسول الله (ص) أعطاني فدكاً .

فقال لها : يا ابنة رسول الله ، والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول الله (ص) أبيك ، ولوددت أنّ السماء وقعت علىٰ الأرض يوم مات أبوك ، والله لئن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقري ، أتراني أعطي الأحمر والأبيض حقّه وأظلمك حقّك وأنت ابنة رسول الله (ص) إنّ هذا المال لم يكن للنبيّ (ص) وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين ، يحمل النبيّ به الرجال وينفقه في سبيل الله ، فلمّا توفيّ رسول الله (ص) ولّيته كما كان يليه »[2] .

---

(١) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٧٤ .

(٢) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٤ .

هـذه المحاورات كـانت بين فاطمـة (ع) وأبي بكر ، إلاّ أنّ الأخيـر لم يستسلم وحرم فاطمة من حقّها .

ولا يخفىٰ علىٰ العلمـاء المنصفين وأهل التحقيق أنّ عمـل أبو بكـر كان يخالف موازين القضاء والشهادات . ويمكن الإيراد عليه من عدّة جهات :

الإيراد الأول :

أنّ فدكاً كانت بيد فـاطمة (ع) والمـوازين الشرعيـة لا تطالب صـاحب اليد بإقامة البيّنة ، ويقبل قوله بإعتبار أنّ اليد أمارة الملكية .

وقد أثبتوا هذه الكبرىٰ في الكتب الفقهية ، وتمّ الفراغ عنها هناك .

يبقىٰ علينا أن نثبت أنّ فاطمة (ع) كانت صاحبة يد في فدك ، ولإثبات ذلك نقول :

أوّلاً ـ شهد أبو سعيد الخدري وعطية وغيـرهما بـأنّ النبيّ (ص) أعطىٰ فدكاً لفاطمة بعد نزول آية ﴿ **وآت ذا القربىٰ حقه** ﴾ .

وكلمـة « **أعطىٰ** » ظـاهـرة ، بـل هي نص في تنجّـز العـطاء في حيـاتـه الشريفة .

ثانياً ـ قال الإمام عليّ (ع) في نهج البلاغة « **بلىٰ كانت في أيدينا فـدك من كلّ ما أظلّته السماء ، فشحت عليها نفوس قوم ، وسخت عليها نفوس قوم آخرين ، ونعم الحكم الله** » .

وهذا دليل علىٰ سلطنتهم ـ عليهم السلام ـ عليها .

ثالثاً ـ عن الصادق (ع) قال : لمّا أمر أبو بكر بإخراج وكيـل فاطمـة من فدك ، جاءه عليّ (ع) وقال : لماذا أخذت فدكاً من فاطمـة وأخرجت وكيلهـا منها ، وقد نحلها إيّاها رسول الله (ص) . ؟[(١)]

وكانت نحلة النبيّ (ص) فدكاً لفاطمة أمراً معروفاً مشهـوراً ، حتىٰ كتب

---

(١) نور الثقلين ج ٤ ص ٢٧٢ .

عبدالله بن هارون الرشيد (المأمون) حينما أمر بردّ فدك على ولد فاطمة (ع) كتب إلىٰ عامله على المدينة : أمّا بعد . . . وقد كان رسول الله (ص) أعطىٰ فاطمة بنت رسول الله فدكاً وتصدّق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا إختلاف فيه بين آل الرسول ، ولم تزل ترعىٰ منه ما هو أولىٰ به من صدق عليه فرأىٰ أمير المؤمنين أن يردّها إلىٰ ورثتها[1] .

ووفقاً للقرائن والشواهد المذكورة كانت فدك بيد علي وفاطمة (ع) في حياة رسول الله (ص) ، ولا معنىً للمطالبة بالبينة حينئذٍ ، طبقاً للموازين الشرعية في القضاء والشهادات .

الإيراد الثاني :

إعتراف أبا بكر بأنّ الحق لفاطمة (ع) ، وأنّها صادقة في ما تقول ، حيث يقول « صدقت يا ابنة رسول الله ، وصدق عليّ وصدقت أم أيمن »[2] .

ويقول في مكان آخر « ما كنت لتقولين علىٰ أبيك إلاّ الحق »[3] .

والمسلمون جميعاً يشهدون بذلك .

وهل يحتمل أحد الكذب في شأنها ، وهي واحدة من أصحاب الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير ، وعصمهم الله سبحانه وتعالىٰ من الذنب والخطأ .

هذا ، بالإضافة إلى أنّ الثابت في موازين القضاء ، أنّ القاضي يحكم بعلمه ـ في الديون والأموال ـ . وما دام أبو بكر يعلم بصدق الزهراء (ع) فعليه أن يعطيها فدكاً ويحكم بها لها دون المطالبة بالبيّنة .

نعم . . أبو بكر يعلم واقع الأمر ، ويعلم أن الحق لفاطمة (ع) ، وأنّ النبيّ وهبها فدكاً في حياته ، ولكنّه كان ساخطاً على فعل النبيّ هذا ولم

---

(١) فتوح البلدان ص ٤٦ .

(٢) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٦ .

(٣) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٧٤

يرضىٰ عليه ، لذا قال لها : « إنّ المال لم يكن للنبيّ (ص) وإنّما كان من أموال المسلمين ، يحمل النبيّ به الرجال وينفقه في سبيل الله ، فلمّا توفيّ رسول الله ولّيته كما كان يليه »[1] .

وحينما وجد نفسه أمام محذورين عظيمين :

أحدهما : ادعاء فاطمة بفدك ، وإحضارها لشاهدين عادلين موثوقين - كعلي بن أبي طالب وأم أيمن - لا يمكن تكذيبهم وردّهم مع علمه بصدق فاطمة (ع) .

الثاني : المحذور السياسي والعواقب الوخيمة المترتبة علىٰ ردّ شهادة عمر وعبد الرحمن بن عوف .

أجاب جواباً ينطوي على التواء واحتيال وخداع سياسي ماكر ، صدّق فيه الشهود جميعاً ، وجمع بين شهاداتهم مع ترجيح الجانب الذي فيه عمر فقال : « صدقت يا ابنة رسول الله (ص) وصدق عليّ وصدقت أم أيمن ، وصدق عمر وعبد الرحمن ، وذلك أنّ مالك لأبيك كان رسول الله يأخذ من فدك قوتكم ، ويقسّم الباقي ، ويحمّل في سبيل الله فما تصنعين بها ؟

قالت : أصنع كما يصنع بها أبي .

قال : تلك عليّ الله أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبوك[2] .

وبهذا صدّق أبو بكر جميع الشهود ، واعترف بملك فاطمة (ع) لفدك ، ثمّ اجتهد فجمع بين الأقوال ووصل - باجتهاده - إلىٰ النتيجة التي سمعتها .

ولم يكن من يقول لأبي بكر - يومها - كيف لا تعطي فاطمة (ع) ملكها ، وأنت تعلم صدقها وصدق شهودها ، وأنّ شهادة عمر وعبد الرحمن لا تدلّ علىٰ أكثر من أنّ النبيّ (ص) يقسّم الزائد عن قوته في سبيل الله ، ولا

---

(١) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٤ .

(٢) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٦ .

منافاة بين هذا وبين مالكيّـة فاطمـة (ع) ، ففاطمة (ع) أذنت لأبيها بـالإنفاق ولم تـأذن لك ، فبـأيّ حقّ تقول : « فلك علىٰ الله أنّ أصنـع فيها كمـا صنـع أبوك » ؟ !

المالك يطالب بملكه ويريد إرجاعه ، وأنت تعطي عهداً أنّك تصنع كما صنع أبوها . . . !!!

أحسنت علىٰ هذا القضاء !! .

الإيراد الثالث :

لـو سلّمنا أنّ أبـا بكر وجـد نقصاً في بيّنـة الـزهـراء (ع) ولم يتيقن من حقّها . كان عليه ـ حسب موازين القضاء ـ أنّ يطالب الزهراء (ع) بـاليمين ، ويحكم وفق الشـاهد واليمين ، وقـد قضىٰ بـذلـك النبيّ (ص) كمـا ورد في الرواية[1] .

الإيراد الرابع :

لو تنزلنا عن كل ما مضىٰ ، فإن موازين القضاء تحكم أنّ يذكّر القـاضي المدعي ـ في حال نقصان بيّنته ـ بـإمكان مـطالبة المنكـر باليمين ، وكـان حقّاً عليه أن يذكّر فاطمة (ع) بذلك ، ويحلف لها بـإعتباره منكـراً ، إلاّ أنّه ركـل هذا المقياس القضائي أيضاً ، وختم المرافعة بمجرد نقصان البيّنة .

الإيراد الخامس :

لو تنزلنا ـ أيضاً ـ عن كل ما مضىٰ ، وافتـرضنا أنّ حقّ الـزهراء (ع) لم يثبت لأبي بكر ، نقول :

إنّ فدكاً من الأموال العامة ، ومن حقّ الحاكم أن يتصرف بها كيف يشاء وفق المصلحة الإسلامية .

أليس من الحكمـة والتـدبيـر ومصلحـة المسلمين أن يعـطي أبـو بكـر ـ

---

(١) مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٠٢ .

بإعتباره خليفة المسلمين كما يزعم ـ فدكاً لفاطمة (ع) ويقطع دابر الفرقة والخلاف التي حكمت المسلمين سنين متمادية وذاقوا وبال أمرها ؟

ألم يقطع رسول الله (ص) بعض أراضي بني النضير لأبي بكر وعبد الرحمن بن عوف وأبي دجانة ؟[1] .

ألم يقطع النبيّ (ص) بعض أراضي بني النضير بأشجارها للزبير بن العوام ؟[2] .

ألم يقطع معاوية ثلث فدك لمروان بن الحكم ، وثلثها الآخر لعمر بن عثمان ، وثلثها الآخر لابنه يزيد ؟[3] .

أليس من الأفضل أن يصنع أبو بكر نفس هذا الصنيع مع ابنة رسول الله (ص) ، وبضعته المحبوبة لينهي هذه المأساة ؟

الإيراد السادس :

لا معنىٰ لجلوس أبي بكر للقضاء في هذه المرافعة ، لأنّ الزهراء (ع) مدعيّة ، وأبا بكر منكر ، فلا بّد من رجوعهما لشخص ثالث يقضي بينهما كما فعل رسول الله (ص) والإمام عليّ (ع) ، وليس للمنكر ـ أبي بكر ـ أن يجلس مجلس القاضي ويطالب بالشهود ، ثم يحكم بما يحب .

تحصّل من كلّ ما قلناه أنّ الحق ـ في قصة فدك ـ مع الصديقة فاطمة الزهراء (ع) ، وأنّ أبا بكر تعدّىٰ موازين القضاء والإنصاف وتجاوز العدل ، ولم يحكم بما أنزل الله سبحانه .

أموال رسول الله في المدينة :

كانت أموال بني النضير ممّا أفاء الله علىٰ رسوله ، ولم يوجف

---

(١) فتوح البلدان ص ٣١ .

(٢) فتوح البلدان ص ٣٤ .

(٣) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٦ .

المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله (ص) خالصة ، فقسمها بين المهاجرين ، وأمر علياً (ع) فحاز ما لرسول الله (ص) منها فجعله صدقة . وكان في يده مدّة حياته ثمّ في يد أمير المؤمنين (ع) بعده ، وهو في ولد فاطمة حتىٰ اليوم[1] .

وحينما أسلم نحيريق ـ وهو من علماء يهود بني النظير ـ جعل ماله لرسول الله (ص) ، وهو سبعة حوائط ، فجعلها رسول الله صدقة وهي : المثيب ، والصافية ، والدلال ، وحسنى ، وبرقة ، والأعوف ، وشربة أم إبراهيم ابن رسول الله [2]

عن البزنطي قال : سألت الرضا (ع) عن الحيطان السبعة فقال : كانت ميراثاً من رسول الله وقف ، وكان رسول الله (ص) يأخذ منها ما ينفق على أضيافه والنائبة وما يلزمه فيها ، فلمّا قبض جاء العباس يخاصم فاطمة (ع) فشهد علي (ع) وغيره أنّها وقف ، وهي الدلال ، والعواف ، والحسنى ، والصافية ، ومال أم إبراهيم ، والمثيب وبرقة[3] .

وعن الحلبي ومحمد بن مسلم عن أبي عبدالله (ع) قالا : سألناه عن صدقة رسول الله (ص) وصدقة فاطمة (ع) قال : صدقتهما لبني هاشم وبني المطلب[4] .

وعن أبي مريم قال : سألت أبا عبدالله (ع) عن صدقة رسول الله وصدقة عليّ ، فقال : هي لنا حلال ، وقال : إنّ فاطمة جعلت صدقتها لبني هاشم وبني المطلّب[5] .

والظاهر أنّ الزهراء (ع) انتصرت في هذا الميدان وأخذت صدقات

---

(١) البحار ج ٢٠ ص ١٧٣ .
(٢) فتوح البلدان ص ٣١ .
(٣) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٩٦ .
(٤) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٩٦ .
(٥) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٩٧ .

المدينة ، ويؤيّد ذلك أنّها أوصت بها لعليّ وأبنائه من بعده ، إلّا أنّ العلامة المجلسي رضوان الله عليه قال : فأبىٰ أبو بكر عليها ذلك ثمّ دفع عمر صدقته بالمدينة إلىٰ عليّ والعباس وأمسك خيبراً وفدكاً ، وقال : هما صدقة رسول الله وكانتا لحقوقه التي تعروه ، وكانت هذه الصدقة بيد علي منعها العباس فغلبه عليها ، ثمّ كانت بيد الحسن ، ثمّ بيد الحسين ، ثمّ بيد عبدالله بن الحسن ، حتى ولّي بنو العباس فقبضوها[1] .

باقي خمس خيبر :

افتتح (ص) خيبر في السنة السابعة من الهجرة ، بغزو الجيش الإسلامي عنوة .

فكانت من الأراضي المفتوحة عنوة . فأصبحت الأراضي والأموال للمسلمين فقسّم رسول الله (ص) الأموال المنقول منها ـ بناءً على حكم الله في الغنائم ـ بين المقاتلين ، وأبقىٰ خمسها للمصارف المعينة التي نصّ عليها القرآن بقوله تعالى : ﴿ **واعلموا إنما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل** ﴾ فكان رسول الله (ص) يقسّم الخمس من الغنائم على اليتامىٰ والفقراء وأبناء السبيل من بني هاشم ، ويأخذ قوته منه وينفق الباقي في سبيل الله ، وقد فعل ذلك في خمس غنائم خيبر ، أبقىٰ خمسها للمصارف المذكورة . مثلاً أعطىٰ من خمسها لعائشة ٢٠٠ وسق تمر وحنطة وشعير ، ولفاطمة ٢٠٠ وسق ولعليّ بن أبي طالب ١٠٠ وسق ، وقسّم منها بين ذوي القربىٰ[2] .

ومثل ذلك فعل بأراضي خيبر ، فقسّمها بين المسلمين المقاتلين وأبقىٰ خمسها للمصارف المذكورة .

وقسّم خيبر على ستة وثلاثين سهماً ، وجعل كل سهم مائة سهم ، فعزل نصفها لنوائبه وما ينزل به ، وقسّم النصف الباقي بين المسلمين ، فلمّا صارت الأموال في يديّ رسول الله (ص) لم يكن له من العمال من يكفيه عمل

---

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٠٠

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣٦٥ ـ ٣٧١

الأرض فدفعها إلىٰ اليهود ، يعملونها على نصف ما خرج منها ، من الثمر والحبّ ، يأخذه منهم ويصرفه في المصارف المذكورة[1] .

وحينما توفيّ رسول الله (ص) صادر أبو بكر الباقي من خمس خيبر وسهم بني هاشم ـ فقرائهم ومساكينهم ـ وحرمهم من ذلك .

عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب (ع) قال : إنّ أبا بكر منع فاطمة وبني هاشم سهم ذوي القربىٰ ، وجعله في سبيل الله في السلاح والكراع[2] .

وقال عروة : أرادت فاطمة أبا بكر علىٰ فدك وسهم ذوي القربىٰ فأبىٰ عليها وجعلهما في مال الله تعالى[3] .

علىٰ كل حال فهذا أيضاً من موارد النزاع بين فاطمة (ع) وأبي بكر ، وكانت المطالبة بخمس خيبر مرّة ، وبسهم ذوي القربىٰ أخرىٰ ، والحق مع فاطمة (ع) كما في المنازعات السابقة ، لأنّ القرآن نصّ علىٰ أنّ خمس الغنائم لذوي القربىٰ (وهم الفقراء والمساكين ، وأبناء السبيل من بني هاشم) . وليس النزاع في الإرث ليقول أبو بكر : سمعت رسول الله (ص) يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث .

قالت له فاطمة (ع) : علمت أنّ الله أفاء علينا من الغنائم سهم ذوي القربىٰ ، وأنت لست منهم ، فلماذ أخذت حقّنا ؟

عن أنس بن مالك : إنّ فاطمة (ع) أتت أبا بكر فقالت : لقد علمت الذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات . وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربىٰ ، ثمّ قرأت عليه قوله تعالىٰ : ﴿ **واعلموا إنّما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ . . .** ﴾ .

---

(١) فتوح البلدان ص ٣٦ ـ ٤٢ .

(٢) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٣١ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٣١ .

فقال لها أبو بكر : بأبي أنت وأمي ووالد ولدك ! السمع والطاعة ، لكتاب الله ، ولحق رسول الله (ص) ، وحق قرابته ، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرأين منه، ولم يبلغ علمي منه أنّ هذا السهم من الخمس يسلّم إليكم كاملاً .

قالت : أفلك هو ولأقربائك ؟

قال : لا ، بل أنفق عليكم منه ، وأصرف الباقي في مصالح المسلمين .

قالت : ليس هذا حكم الله تعالىٰ .

قال : هذا حكم الله[1] !!

ميراث رسول الله (ص) :

كان ميراث النبيّ (ص) من موارد النزاع بين فاطمة (ع) وأبي بكر ، وقد ذكرت كتب التاريخ والسير أنّ فاطمة أتت أبا بكر تطالبه بميراث رسول الله (ص) واعتذر أبو بكر بأنّه سمع النبيّ (ص) يقول : « إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا عقاراً ، ولكنّا نورث الإيمان والحكمة والعلم والسنّة » ، وقال : قد عملت بما أمرني ونصحت له[2] . ولم تقبل الزهراء (ع) قوله وردّته بآيات القرآن الكريم .

ولكي يتضح الحقّ تماماً نفصّل البحث في هذه المسألة كالتالي .

الإرث في القرآن :

شرّع القرآن الكريم الأحكام الكلية في الإرث كقوله تعالىٰ : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين** ﴾[3] ، وهذه الآية وغيرها من آيات الإرث والسهام مطلقة تشمل الناس جميعاً بما فيهم الأنبياء .

---

(١) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٣٠

(٢) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٤

(٣) سورة النساء آية ١١

فالأنبياء (ع) بما فيهم النبيّ (ص) مشمولون بهذا الإطلاق ، يرثون ويوّرثون وتنتقل أموالهم لورثتهم .

ولا شكَّ في إطلاق الآية الشريفة ، ولكنّ الكلام في ورود مخصّص يقيّد الإطلاق ويخرج الأنبياء منها .

حديث أبي بكر :

عن أبو بكر خروج الأنبياء (ع) عن إطلاق هذه الآية ، وتمسّك لإثبات مدعاه بحديث رواه هو نفسه ! عن الرسول (ص) ونقل في كتب الحديث بألفاظ متعدّدة .

قال أبو بكر لفاطمة (ع) : فإني سمعت رسول الله (ص) يقول : إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا أرضاً ولا داراً، ولكنّا نورث الإيمان والحكمة والعلم والسنّة . فقد عملت بما أمرني ونصحت له[1] .

وعن عائشة : إنّ فاطمة أرسلت إلىٰ أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (ص) وهي حينئذٍ تطالب بما كان لرسول الله بالمدينة ، وما بقي من خمس خيبر .

فقال أبو بكر : إنّ رسول الله قال : لا نورث ، ما تركناه صدقة إنّما يأكل آل محمد من هذا المال[2] .

لما كلّمت فاطمة أبا بكر بكىٰ ثمّ قال : يا ابنة رسول الله ، ما ورث أبوك ديناراً ولا درهماً وإنّه قال : إنّ الأنبياء لا يورثون[3] .

عن أم هانيء ، إنّ فاطمة قالت لأبي بكر : من يرثك إذا مت ؟

قال : ولدي وأهلي .

---

(١) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٤

(٢) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٧ .

(٣) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٦

قالت : فما بالك ترث رسول الله (ص) دوننا ؟
قال : يا ابنة رسول الله ما ورث أبوك داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضة .

قالت : بل سهم الله الذي جعله لنا وصار فيئنا الذي بيدك ؟

فقال : سمعت رسول الله يقول : إنّما هي طعمة أطعمنا الله فإذا مت كانت بين المسلمين[1] .

جاءت فاطمة (ع) إلىٰ أبي بكر ، فقالت : أعطني ميراثي من رسول الله (ص) .

قال : إنّ الأنبياء لا يورثون ، ما تركوه فهو صدقة[2] .

تمسك أبو بكر بهذا الحديث وحرم فاطمة حقّها في الإرث .

ولكن هذا الحديث لا حجية له ، ويمكن ردّه من وجوه :

مخالفة القرآن :

الحديث الذي رواه أبو بكر يخالف صريح القرآن الكريم في توريث الأنبياء ، وما خالف كتاب الله يضرب عرض الحائط ولا يعتدّ به ـ كما ورد عن الأئمة المعصومين (ع) ـ .

ومن هذه الآيات قوله تعالىٰ : **﴿ ذكر رحمت ربّك عبده زكريا إذ نادىٰ ربّه نداءً خفياً ، قال ربّي أنّي وهن العظم منّي واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك ربّ شقيّاً . وأنّي خفت الموالي من ورائي ، وكانت إمرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضيّاً ﴾**[3] .

قيل : كان لزكريا النبي أبناءٰ أعمام ، وكانوا من الأشرار والفسّاق ، ولم يكن له ولد يرثه ، فخاف من أنّ يرث أبناء أعمامه أمواله فينفقونها في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٨ .
(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ١١٣
(٣) سورة مريم آية ٤ .

الفساد . لأنّه كان يعرف ذلك من أخلاقهم وطريقتهم ، فسأل ربه ولداً يكون أحق بميراثه منهم . فوهب الله له يحيىٰ . ولولا أنّ الأنبياء يورّثون كسائر الناس لما كان معنى لدعائه (ع) .

فإن قيل : إنّ المراد بالميراث هنا ميراث العلم والنبوة دون المال ، وقد خاف زكريا من بني عمه أن يرثوا علمه وهم من أهل الفساد .

قلنا : إنّ لفظة الميراث لا يفيد إطلاقها إلاّ ما يجوز أن ينتقل علىٰ الحقيقة ـ كالأموال وما في معناها ـ ولا تستعمل في غير المال إلاّ تجوزاً ، وليس لنا إن نعدل عن ظاهر الكلام بغير قرينة أولاً .

وثانياً ، لا يليق خوفه منهم إلاّ بالمال دون العلم والنبوة ، وإلاّ لما كان معنىٰ لدعوته (ع) ، لأنّه لا يخلو هذا العلم الذي أشرتم إليه من أن يكون هو كتب علمه وصحف حكمته ، لأنّ ذلك قد يسمّىٰ علماً علىٰ طريق المجاز ، أو يكون هو العلم الذي يحلّ في القلب . فإن كان الأول ، فهو يرجع إلىٰ معنىٰ المال ، ويصح أنّ الأنبياء يورّثون أموالهم وما في معناها ، وإن كان الثاني لم يخلُ من أن يكون هو العلم الذي بعث النبيّ لنشره وأدائه، أو أن يكون علماً مخصوصاً لا يتعلق بالشريعة ولا يجب إطلاع جميع الأمّة عليه .

والقسم الأول لا يجوز علىٰ النبيّ أن يخاف وصوله إلىٰ بني عمه ، وهم من جملة أمّته الذين بعث لإطلاعهم علىٰ ذلك وتأديته إليهم ، وكأنّه علىٰ هذا الوجه يخاف مما هو الغرض من بعثته .

والقسم الثاني فاسد أيضاً ، لأنّ هذا العلم المخصوص إنّما يستفاد من جهته ويتوقف كشفه باطلاعه وإعلامه ، وليس هو مما يجب نشره في جميع الناس ، فقد كان يجب إذا خاف من إلقائه إلى بني عمه فسا.اً ألاّ يلقيه إليهم فإنّ ذلك بيده .

وعلى كلّ حال فلا معنىٰ على فرضكم لخوفه (ع) .

فإن قيل : إنّما خاف زكريا من بني عمه ، لأنّهم من أهل الفساد فخشي

أن يفسدوا الناس ، ويضيّعوا ما قدّم . ومن أجل ذلك سأل ربّه أنّ يعطيه ولداً يبعثه نبياً لإنجاز دعوته وإكمال دينه والدفاع عن رسالته . وبناءً على ذلك يكون المراد من الميراث في الآية ميراث العلم والحكمة لا المال .

قلنا : هذا الكلام أيضاً لا يخلو من الإشكال ، وذلك لأنّ زكريا النبيّ يعلم قطعاً بأنّ الله تبارك وتعالىٰ لا يترك الأرض بعده خالية من الحجة ، من نبيّ أو وصيّ ، ولذلك لا وجه لإحتمال أن يخاف زكريا من عدم بعثة نبيّ بعده ، ومسألة ذلك من الله تعالىٰ بقوله ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً يرثني** ﴾ ومن جهة أخرىٰ لو كان مقصوده مسألة ولد ليكون نبيّاً ومحامياً عن الدين لكان عليه أن يقول : إنّي خفت على الدين أن يحرّفوه من بعدي ، فابعث من يحافظ عليه ، واجعله ربّ من ولدي وهب لي ولداً نبياً .

ثم لا معنىٰ لإشتراطه أن يجعله الله رضيّاً ، لأنّه لو حمل الميراث في الآية علىٰ العلم والنبوة فلا معنىٰ لهذا الإشتراط، لأنّ النبوة تتضمن كونه رضيّاً . وهو (ع) يعلم أنّ الله لا يبعث من لم يكن رضيّاً وأهلاً للنبوة .

تبيّن مما مضىٰ أنّ ميراث يحيىٰ من زكريا هو ميراث المال ، والآية تدلّ دلالة واضحة علىٰ أنّ الأنبياء مورّثون كسائر الناس .

وبناءً علىٰ هذا فحديث أبي بكر مخالف للقرآن الكريم فيجب طرحه وضربه عرض الجدار ـ كما جاءت الرواية بذلك ـ .

لذا احتجت الزهراء (ع) بالآية الشريفة علىٰ أبي بكر ، وهي التي تعلّمت القرآن وأحكامه ، والحديث ومقاييسه ، من أبيها النبيّ المصطفىٰ وزوجها عليّ المرتضىٰ .

واحتجت أيضاً ربيبة البيت الذي نزل فيه القرآن علىٰ أبي بكر بقوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا . الحمد لله الذي فضّلنا علىٰ كثير من عباده المؤمنين . وورث سليمان داود وقال يا أيّها الناس علّمنا منطق**

الطير وأوتينا من كلّ شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين﴾[1] .

والميراث هنا ميراث المال لظهور اللفظ في ذلك ، ولا يجوز العدول عنه إلّا بقرينة قطعية .

إشكال آخر :

لو صحّ حديث أبي بكر ليشمل أموال النبيّ (ص) جميعاً ، ويحرم الورثة منها ـ سواء كانت ثيابه أو سلاحه وحيواناته ـ بكلّ أصنافها ـ أو أثاث بيته وغيرها ـ وتصادر إلى بيت المال وتدخل في الأموال العامّة .

والتاريخ يشهد أنّ الرسول (ص) توفيّ وله أموال خاصة به ولم يمنع منها الورثة ، وبقيت نساؤه في بيوتهن . ولم يرو لنا التأريخ أنّ أبا بكر صادر سلاح النبيّ (ص) وثيابه ودوابه . .

وهذا بنفسه دليل على ضعف الحديث الذي رواه أبو بكر ـ ويبدو أنّه هو نفسه لم يقتنع به ـ وإلّا فما معنىٰ التفكيك بين أمواله (ص) وهو يدّعي أنّه سمع الرسول (ص) يقول : إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ، أموالنا صدقة .

ولكنّه لم يأخذ بيوت النبيّ من أزواجه ، وخدش قلب فاطمة ـ ريحانة النبيّ وعزيزته وحبيبته ـ وحرمها حقّها وهضمها وكدّر عواطفها .

إشكال آخر :

لو صحّ إدعاء أبي بكر في أنّ الأنبياء لا يورثون لكان لزاماً علىٰ النبيّ (ص) أن يقول لعلي بن أبي طالب (ع) وفاطمة (ع) : إنّ ما أتركه صدقة وليس لكم المطالبة بالإرث بعدي . . لئلا يقع النزاع فيما بعد بينهم وبين خليفة زمانهم بسبب المطالبة بميراثه ، ويقطع بذلك دابر الفرقة والإختلاف .

---

(١) سورة النمل آية ١٦ .

فهل أنّ النبيّ (ص) لا يعلم أنّ ورثته سيقسمون تركته من بعده وفقاً لأحكام الشريعة ؟

أو أنّه يعلم ذلك ولكنّه ـ والعياذ بالله ـ قصّر في تبليغ الأحكام ؟

أمّا نحن فلا نجرؤ بل لا نستطيع تصوّر ذلك .

قالوا : لا يلزم النبيّ (ص) أن يبلغ ذلك لورثته ، وإنّما يكفي أن يبلغه لأبي بكر باعتباره إمام المسلمين ، لأنّ الخليفة هو المسؤول عن تنفيذ أحكام الله وتطبيقها . .

ولكن هذا القول ليس صحيحاً ، وذلك لأنّ أبا بكر لم يكن خليفة المسلمين علىٰ عهد النبيّ (ص) ليقال : إنّ النبيّ (ص) بلّغه الأحكام اللازمة في هذه القضية ، هذا أولاً .

ولأنّ الإرث له علاقة مباشرة بالورثة ، وهم الذين سيطالبون بالإرث غداً ، فينبغي تبليغهم بوظائفهم كي لا يكونوا سبباً للفرقة والإختلاف ، ثانياً .

ترىٰ هل يمكن أن يقال : إنّ عليّ بن أبي طالب خزانة علم النبوة ، وفاطمة بنت محمد ربيبة بيت النبوة والولاية ، لم يعرفا هذا الحكم المهمّ من أحكام الإسلام ـ وهو محل ابتلائهم ـ ولكن أبا بكر يعرف ذلك ؟

هل يمكن أن يقال : إنّ فاطمة (ع) المعصومة ، الطاهرة ، الصديقة ، تعرف الحكم في المسألة ولكنّها خالفت أمر أبيها ؟ !

هل يمكن أن يقال : إنّ علياً (ع) يعرف الحكم ولكنّه أجاز لزوجته أن تخالف أمر الرسول (ص) ، وتطالب بإرثها وتقف ذلك الموقف ، وتخطب تلك الخطبة التاريخية للدفاع عن حقها ـ مع ما لعلي من الزهد والعصمة والطهارة والذوبان في ذات الله ، والحبّ الشديد لإجراء أحكامه ؟

لا أظن أنّ منصفاً يسمح لنفسه بقبول ذلك .

إشكال آخر :

حينما حضرت أبا بكر الوفاة أوصىٰ أن يدفن في حجرة رسول الله (ص) ، واستأذن ـ لذلك ـ من عائشة . ولو كان يعتقد ـ حقّاً ـ أنّ النبيّ (ص) لا يورث وأمواله صدقة ، فحجرته من أموال عامة المسلمين ، وينبغي أن يستأذنهم ـ جميعاً ـ ويكسب رضاهم لذلك .

ملاحظة :

أموال النبيّ (ص) علىٰ نوعين :

الأول : الأموال العامّة : وهي من بيت مال المسلمين ، وللنبيّ (ص) حق التصرف بها ، وصرفها في المصالح العامّة ـ باعتباره الحاكم الشرعي ـ . وقد ثبت في محلّه أنّ هذه الأموال لمنصب الإمامة ، ولا تشملها عمومات الوراثة ، وإنّما تنتقل بعد موت الحاكم الشرعي إلىٰ خليفته .

والزهراء (ع) لم تطالب أبا بكر بهذه الأموال ، وإذا ما طالبته ـ أحياناً ـ فلأنّها تنكر خلافته ولم تقبله حاكماً شرعياً ، وتطالبه بحق زوجها باعتباره الخليفة والحاكم الشرعي المنصوب المنصوص عليه بعد النبيّ (ص) .

وحديث أبي بكر ـ علىٰ فرض صحته ـ يشمل هذا النوع من الأموال فحسب ، لا مطلق أمواله (ص) .

الثاني : الأموال الشخصية : إنّ النبيّ (ص) كأيّ فرد من أفراد المجتمع له الحق في الملكية ، له أموال اكتسبها بالطرق المشروعة ـ كالعمل والتجارة وسهمه من الغنائم كسائر المسلمين ـ وهذه الأموال تشملها أحكام الملكية جميعاً بما فيها أحكام الإرث ، ولا شك في أنّه (ص) كانت له أموال من هذا القبيل ـ والزهراء (ع) إنّما كانت تطالب بهذه الأموال خاصة .

يقول ابن أبي الحديد : أرسلت فاطمة إلىٰ أبي بكر :
أنت ورثت رسول الله (ص) أم أهله ؟
فقال : بل أهله .

قالت : فما بال سهم رسول الله (ص) .

ولا فرق بين أموال النبيّ (ص) ـ الشخصية ـ وأموال أبي بكر الذي كان يعدّ نفسه خليفة للمسلمين وهو يتصرف بأمواله ، ويعتبرها ملكاً لورثته من بعده .

لذا قالت له الزهراء (ع) : يا أبا بكر ! أيرثك بناتك ولا يرث رسول الله (ص) بناته ؟

فقال : هو ذاك[1] .

تمّ بعون الله تبارك وتعالىٰ والحمد لله .

---

(١) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٩ .

محتويات الكتاب

العنوان - ايران - قم - شارع الشهداء - مؤسسة أنصاريان
للطباعة والنشر - ص.ب : ١٨٧ - تليفون ٢١٧٤٤ - ٢٥١ - ٠٠٩٨